

شرح نهج البلاغة

ابن أبي الحديد المعتزلي

الجزء العشرون



تتمة باب الحكم و المواعظ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل



وَ قَالَ ع : مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ إِلَى هَذَا نَظَرِ الْمَتَنَّبِيِّ فِي قَوْلِهِ

و خلة في جليس أتقيه بها

كيما يرى أننا مثلان في الوهن

و كلمة في طريق خفت أعربها

فيهدى لي فلم أقدر على اللحن

و قال الشاعر

و ما أنا إلا كالزمان إذا صحا

صحت و إن ماق الزمان أموق

و كان يقال إذا نزلت على قوم فتشبهه بأخلاقهم فإن الإنسان من حيث يوجد لا من حيث يولد و في الأمثال القديمة من دخل

ظفار حمر . شاعر

أحامقه حتى يقال سجية

و لو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وَقَالَ ع لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ وَ قَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْعَرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلٍ مِثْلِهَا لَقَدْ طَرَّتْ شَكِيرًا وَ هَدَرَتْ سَقْبًا قَالَ الشَّكِيرُ هَاهُنَا
 أول ما ينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى و يستحصف و السقب الصغير من الإبل و لا يهدر إلا بعد أن يستفحل هذا مثل
 قولهم قد زبب قبل أن يحصرم . و من أمثال العامة يقرأ بالشواذ و ما حفظ بعد جزء المفصل

وَ قَالَ ع : مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَّفَاوِتٍ خَدَلْتُهُ أَلْحَيْلُ قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ اسْتَدَلَّ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ انْكَشَفَتْ

حِيلَتُهُ فَإِنَّ عُلَمَاءَ التَّوْحِيدِ قَدْ أَوْضَحُوا تَأْوِيلَ ذَلِكَ . وَقِيلَ مِنْ بَنَى عَقِيدَةً لَهُ مَخْصُوصَةً عَلَى أَمْرَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ حَقٌّ وَ بَاطِلٌ

كَانَ مَبْطَلًا . وَقِيلَ مِنْ أَوْمَأَ بِطَمَعِهِ وَ أَمَلَهُ إِلَى فَائِتٍ قَدْ مَضَى وَ انْقَضَى لَنْ تَنْفَعَهُ حَيْلَةٌ أَيَّ لَا يَتَّبِعُنَ أَحَدَكُمْ أَمَلَهُ مَا قَدْ فَاتَهُ وَ

هَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّ الْمُتَّفَاوِتَ فِي اللُّغَةِ غَيْرُ الْفَائِتِ

وَقَالَ ع وَ قَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا مَا هُوَ أَمْلِكُ بِهِ مِنَّا كَلْفَنَا وَ مَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ ع جَعَلَ الْحَوْلَ عِبَارَةً عَنِ الْمَلَكَِيَّةِ وَ التَّصَرُّفِ وَ جَعَلَ الْقُوَّةَ عِبَارَةً عَنِ التَّكْلِيفِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَا تَمْلِكُ وَ لَا تَصْرِفُ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَكْلِفُ لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا بِاللَّهِ فَنَحْنُ لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا أَيْ لَا نَسْتَقِلُّ بِأَنَّ نَمْلِكُ شَيْئًا لِأَنَّهُ لَوْ لَا إِقْدَارُهُ إِيَّانَا وَ خَلَقْتَهُ لَنَا أَحْيَاءَ لَمْ نَكُنْ مَالِكِينَ وَ لَا مُتَصَرِّفِينَ فَإِذَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا هُوَ أَمْلِكُ بِهِ أَيْ أَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنَّا صَرْنَا مَالِكِينَ لَهُ كَالْمَالِ مِثْلًا حَقِيقَةً وَ كَالْعَقْلِ وَ الْجَوَارِحِ وَ الْأَعْضَاءِ مَجَازًا وَ حِينَئِذٍ يَكُونُ مَكْلَفًا لَنَا أَمْرًا يَتَعَلَّقُ بِمَا مَلَكَتْ إِيَّاهُ نَحْوُ أَنْ يَكْلِفَنَا الزَّكَاةَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْمَالَ وَ يَكْلِفَنَا النَّظَرَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْعَقْلَ وَ يَكْلِفَنَا الْجِهَادَ وَ الصَّلَاةَ وَ الْحَجَّ وَ غَيْرَ ذَلِكَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْأَعْضَاءَ وَ الْجَوَارِحَ وَ مَتَى أَخَذَ مِنَّا الْمَالَ وَضَعَ عِنَّا تَكْلِيفَ الزَّكَاةِ وَ مَتَى أَخَذَ الْعَقْلَ سَقَطَ تَكْلِيفَ النَّظَرِ وَ مَتَى أَخَذَ الْأَعْضَاءَ وَ الْجَوَارِحَ سَقَطَ تَكْلِيفَ الْجِهَادِ وَ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ . هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ ع فَأَمَّا غَيْرُهُ فَقَدْ فَسَّرَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ قَالَ

[7]

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ع فَلَا حَوْلَ عَلَى الطَّاعَةِ وَ لَا قُوَّةَ عَلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي إِلَّا بِاللَّهِ وَ قَالَ قَوْمٌ وَ هُمُ الْمَجْبُرَةُ لَا فِعْلَ مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَّا وَ هُوَ صَادِرٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَيْسَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ مَا ادَّعَوْا وَ إِنَّمَا فِيهِ أَنَّهُ لَا إِقْتِدَارَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ الْإِقْتِدَارِ إِلَّا بِاللَّهِ صَدَقَ قَوْلُنَا لَا فِعْلَ مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَّا وَ هُوَ صَادِرٌ عَنِ اللَّهِ وَ الْأَوْلَى فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَنْ تَحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِهَا وَ ذَلِكَ أَنَّ الْحَوْلَ هُوَ الْقُوَّةُ وَ الْقُوَّةُ هِيَ الْحَوْلُ كِلَاهُمَا مُتَرَادِفَانِ وَ لَا رَيْبَ أَنَّ الْقُدْرَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ الَّذِي أَقْدَرُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْإِيمَانِ وَ الْكَافِرَ عَلَى الْكُفْرِ وَ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ مُخَالَفَةُ الْقَوْلِ بِالْعَدْلِ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ لَيْسَتْ مُوجِبَةٌ . فَإِنْ قُلْتَ فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي ذِكْرِ ذَلِكَ وَ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْقُدْرَةَ فِي جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ قُلْتَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَثْبَتَ صَانِعًا غَيْرَ اللَّهِ كَالْمَجُوسِ وَ الثَّنَوِيَّةِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا بِالْهَيْبَةِ أَحَدُهُمَا يَخْلُقُ قُدْرَةَ الْخَيْرِ وَ الْآخَرُ يَخْلُقُ قُدْرَةَ الشَّرِّ

[8]

وَقَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ قَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمَغِيرَةَ بِنِ شُعْبَةَ كَلَاماً دَعَاهُ يَا عَمَّارُ فَإِنَّهُ لَنْ يَأْخُذَ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ
الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَ عَلَى عَمْدٍ لَبَسَ لَبْسَ عَلَى نَفْسِهِ لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَازِراً لِسَقَطَاتِهِ



المغيرة بن شعبة

أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة بل أكثر البغداديين يفسقونه و يقولون فيه ما يقال في الفاسق و لما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله ص عام الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله ص مقلدا سيفاً فقيل من هذا قيل ابن أخيك المغيرة قال و أنت هاهنا يا غدر و الله إنني إلى الآن ما غسلت سوءتك . و كان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح و لا إنابة و نية جميلة كان قد صحب قوما في بعض الطرق فاستغفلهم و هم نيام فقتلهم و أخذ أموالهم و هرب خوفاً أن يلحق فيقتل أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم فقدم المدينة فأظهر الإسلام و كان رسول الله

[9]

ص لا يرد على أحد إسلامه أسلم عن علة أو عن إخلاص فامتنع بالإسلام و اعتصم و حمي جانبه . ذكر حديثه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني قال كان المغيرة يحدث حديث إسلامه قال خرجت مع قوم من بني مالك و نحن على دين الجاهلية إلى المقوقس ملك مصر فدخلنا إلى الإسكندرية و أهدينا للملك هدايا كانت معنا فكنت أهون أصحابي عليه و قبض هدايا القوم و أمر لهم بجوائز و فضل بعضهم على بعض و قصر بي فأعطاني شيئا قليلا لا ذكر له و خرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم و هم مسرورون و لم يعرض أحد منهم علي مواساة فلما خرجوا حملوا معهم خمرا فكانوا يشربون منها فأشرب معهم و نفسي تأبى أن تدعني معهم و قلت ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا و ما حباهم به الملك و يخبرون قومي بتقصيره بي و ازدرائه إياي فأجمعت على قتلهم فقلت إنني أجد صداعا فوضعوا شرابهم و دعوني فقلت رأسي يصدع و لكن اجلسوا فأسقيكم فلم ينكروا من أمري شيئا فجلست أسقيهم و أشرب القدر بعد القدر فلما دبت الكأس فيهم اشتبهوا الشراب فجعلت أصرف لهم و أترع الكأس فيشربون و لا يدرون فأهدتهم الخمر حتى ناموا ما يعقلون فوثبت إليهم فقتلتهم جميعا و أخذت جميع ما كان معهم . و قدمت المدينة فوجدت النبي ص بالمسجد و عنده أبو بكر و كان بي عارفا فلما رأيته قال ابن أخي عروة قلت نعم قد جئت أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله فقال رسول الله ص الحمد لله فقال أبو بكر من مصر أقبلت قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك قلت كان

[10]

بيني و بينهم بعض ما يكون بين العرب و نحن على دين الشرك فقتلتهم و أخذت أسلابهم و جئت بها إلى رسول الله ص ليخمسها و يرى فيها رأيها فإنها غنيمة من المشركين فقال رسول الله ص أما إسلامك فقد قبلته و لا تأخذ من أموالهم شيئا و لا نخمسها لأن هذا غدر و الغدر لا خير فيه فأخذني ما قرب و ما بعد فقلت يا رسول الله إنما قتلتهم و أنا على دين قومي ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة فقال ع الإسلام يجب ما قبله قال و كان قتل منهم ثلاثة عشر إنسانا و احتوى ما معهم فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف فتداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن حمل عمي عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية . قال فذلك معنى قول عروة يوم الحديبية يا غدر أنا إلى الأمس أغسل سوءتك فلا أستطيع أن أغسلها فلماذا قال أصحابنا البغداديون من كان إسلامه على هذا الوجه و كانت خاتمة ما قد تواتر الخبر به من لعن علي ع على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل و كان المتوسط من عمره الفسق و الفجور و إعطاء البطن و الفرج سؤالهما و مبالأة الفاسقين و صرف الوقت إلى غير طاعة الله كيف نتولاه و أي عذر لنا في الإمساك عنه و ألا نكشف للناس فسقه

إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة و الرد عليه

و حضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في سنة إحدى عشرة و ستمائة ببغداد و عنده جماعة و أحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج فمر ذكر المغيرة بن شعبة و خاض القوم فذمه بعضهم و أثنى عليه بعضهم و أمسك عنه آخرون فقال

[11]

بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأي الأشعري الواجب الكف و الإمساك عن الصحابة و عما شجر بينهم فقد قال أبو المعالي الجويني إن رسول الله ص نهى عن ذلك و

قال إياكم و ما شجر بين صحابتي و

قال دعوا لي أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه و

قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم و

قال خيركم القرن الذي أنا فيه ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم الذي يليه و قد ورد في القرآن الثناء على الصحابة و على التابعين و

قال رسول الله ص و ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم و قد روي عن الحسن البصري أنه ذكر عنده الجمل و صفيين فقال تلك دماء طهر الله منها أسيافاً فلا نلطح بها ألسنتنا . ثم إن تلك الأحوال قد غابت عنا و بعدت أخبارها على حقائقها فلا يليق بنا أن نخوض فيها و لو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب أن يحفظ رسول الله ص فيه و من المروءة أن يحفظ رسول الله ص في عائشة زوجته و في الزبير ابن عمته و في طلحة الذي وقاه بيده ثم ما الذي ألزمننا و أوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه و أي ثواب في اللعنة و البراءة إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف لم لم تلعن بل قد يقول له لم لعنت و لو أن إنساناً عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يكن عاصياً و لا آثماً و إذا جعل الإنسان عوض اللعنة أستغفر الله كان خيراً له ثم كيف يجوز للعامة أن تدخل أنفسها في أمور الخاصة و أولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة و قادتها و نحن اليوم في طبقة سافلة جدا عنهم فكيف يحسن بنا التعرض لذكرهم أ ليس يقبح من الرعية أن تخوض في دقائق أمور الملك و أحواله و شؤونه التي تجري بينه و بين أهله و بني عمه و سنانه و سراريه و قد كان

[12]

رسول الله ص صهراً لمعاوية و أخته أم حبيبة تحته فالأدب أن تحفظ أم حبيبة و هي أم المؤمنين في أخيها . و كيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه و بين رسوله مودة أ ليس المفسرون كلهم قالوا هذه الآية أنزلت في أبي سفيان و آله و هي قوله تعالى **عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً** فكان ذلك مصاهرة رسول الله ص أبا سفيان و

تزويجه ابنته على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم و المشاجرة لم يثبت و ما كان القوم إلا كني أم واحدة و لم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط و لا وقع بينهم اختلاف و لا نزاع . فقال أبو جعفر رحمه الله قد كنت منذ أيام علقت بخطي كلاما وجدته لبعض الزيدية في هذا المعنى نقضا و ردا على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي و أنا أخرجه إليكم لأستغني بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه فإني أجد ألما ينعني من الإطالة في الحديث لا سيما إذا خرج مخرج الجدل و مقاومة الخصوم ثم أخرج من بين كتبه كراسا قرأناه في ذلك المجلس و استحسنة الحاضرون و أنا أذكر هاهنا خلاصته . قال لو لا أن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه كما أوجب موالاة أوليائه و ضيق على المسلمين تركها إذا دل العقل عليها أو صح الخبر عنها بقوله سبحانه لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ وَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ بِقَوْلِهِ سبحانه لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا

[13]

عَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ و لإجماع المسلمين على أن الله تعالى فرض عداوة أعدائه و ولاية أوليائه و على أن البغض في الله واجب و الحب في الله واجب لما تعرضنا لمعاداة أحد من الناس في الدين و لا البراءة منه و وكانت عداوتنا للقوم تكلفا و لو ظننا أن الله عز و جل يعذرنا إذا قلنا يا رب غاب أمرهم عنا فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنا معنى لاعتمدنا على هذا العذر و واليناهم و لكننا نخاف أن يقول سبحانه لنا إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم فلم يغيب عن قلوبكم و أسماعكم قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي يمثلها ألزمت أنفسكم الإقرار بالنبي ص و موالاة من صدقه و معاداة من عصاه و جده و أمرتم بتدبير القرآن و ما جاء به الرسول فهلا حذرتهم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غدا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا . فاما لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها و أوجبها أ لا ترى إلى قوله **أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** فهو إخبار معناه الأمر كقوله **وَ الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** و قد لعن الله تعالى العصاة بقوله **لَعْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ قَوْلِهِ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا** و قوله **مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِلُوا تَفْتِيلًا** و قال الله تعالى لإبليس **وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** و قال إن الله **لَعْنِ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا .**

[14]

فأما قول من يقول أي ثواب في اللعن و إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم لعن بل قد يقول له لم لعنت و أنه لو جعل مكان لعن الله فلانا اللهم اغفر لي لكان خيرا له و لو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يواخذ بذلك فكلام جاهل لا يدري ما يقول اللعن طاعة و يستحق عليها الثواب إذا فعلت على وجهها و هو أن يلعن مستحق اللعن لله و في الله لا في العصبية و الهوى أ لا ترى أن الشرع قد ورد بها في نفي الولد و نطق بها القرآن و هو أن يقول الزوج في الخامسة **أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة و أنه قد تعبد بهم بها لما جعلها من معالم الشرع و لما كررها في كثير من كتابه العزيز و لما قال في حق القاتل **وَ عَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعْنَهُ** و ليس المراد من قوله **وَ لَعْنَهُ** إلا الأمر لنا بأن نلعنه و لو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه لأن الله تعالى قد لعنه أ فيلعن الله تعالى إنسانا و لا يكون لنا أن نلعنه هذا ما لا يسوغ في العقل كما لا يجوز أن يمدح الله إنسانا إلا و لنا أن نمدحه و لا يذمه إلا و

لنا أن نذمه و قال تعالى هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله و قال ربنا آتهم ضعفين من العذاب و العنهم
لغنا كبيرا و قال عز و جل و قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا و كيف يقول القائل إن الله تعالى لا
يقول للمكلف لم تلعن أ لا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه و أمر بعداوة أعدائه فكما يسأل عن التولي
يسأل عن التبري أ لا ترى أن اليهودي إذا أسلم يطالب بأن يقال له تلفظ بكلمة الشهادتين ثم قل برئت

[15]

من كل دين يخالف دين الإسلام فلا بد من البراءة لأن بها يتم العمل أ لم يسمع هذا القائل قول الشاعر

تود عدوي ثم تزعم أنني
صديقك إن الرأي عنك لعازب

فمودة العدو خروج عن ولاية الولي و إذا بطلت المودة لم يبق إلا البراءة لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان في درجة
متوسطة مع أعداء الله تعالى و عصاته بالأ يودهم و لا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي هذه الوسطة . و أما قوله لو
جعل عوض اللعنة أستغفر الله لكان خيرا له فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره و لا
قبل منه لأنه يكون عاصيا لله تعالى مخالفا أمره في إمساكه عن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه و إظهار البراءة و
المصر على بعض المعاصي لا تقبل توبته و استغفاره عن البعض الآخر و أما من يعيش عمره و لا يلعن إبليس فإن كان لا
يعتقد وجوب لعنه فهو كافر و إن كان يعتقد وجوب لعنه و لا يلعنه فهو مخطئ على أن الفرق بينه و بين ترك لعنة رءوس
الضلال في هذه الأمة كمعاوية و المغيرة و أمثالهما أن أحدا من المسلمين لا يورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبيهه
في أمر إبليس و الإمساك عن لعن هؤلاء و أضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم و تجنب ما يورث
الشبهة في الدين واجب فلماذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيرا للإمساك عن أمر هؤلاء . قال ثم يقال للمخالفين أ
رأيتم لو قال قائل قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية و الحجاج بن يوسف فليس ينبغي أن نخوض في قصتهما و لا أن
نلعنهما و نعاديهما و نبرأ منهما هل كان هذا إلا كقولكم قد غاب عنا أمر معاوية و المغيرة بن

[16]

شعبة و أضرابهما فليس لخوضنا في قصتهم معنى . و بعد فكيف أدخلتم أيها العامة و الحشوية و أهل الحديث أنفسكم في
أمر عثمان و خضتم فيه و قد غاب عنكم و برنتم من قتلته و لعنتموه و كيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق في محمد ابنه
فإنكم لعنتموه و فسقتموه و لا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور و منعتونا أن نخوض و ندخل أنفسنا
في أمر علي و الحسن و الحسين و معاوية الظالم له و لهما المتغلب على حقه و حقوقهما و كيف صار لعن ظالم عثمان
من السنة عندكم و لعن ظالم علي و الحسن و الحسين تكلفا و كيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة و برنت ممن نظر
إليها و من القائل لها يا حميراء أو إنما هي حميراء و لعنته بكشفه سترها و منعتنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة و ما
جرى لها بعد وفاة أبيها . فإن قلتم إن بيت فاطمة إنما دخل و سترها إنما كشف حفظا لنظام الإسلام و كيلا ينتشر الأمر و
يخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربة الطاعة و لزوم الجماعة . قيل لكم و كذلك ستر عائشة إنما كشف و هودجها
إنما هتك لأنها نشرت جبل الطاعة و شقت عصا المسلمين و أراقت دماء المسلمين من قبل وصول علي بن أبي طالب ع

إلى البصرة و جرى لها مع عثمان بن حنيف و حكيم بن جبلة و من كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل و سفك
الدماء ما تنطق به كتب التواريخ و السير فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعد جاز كشف ستر عائشة على ما قد
وقع و تحقق فكيف صار هتك ستر عائشة من الكباثر التي يجب معها التخليد في النار

[17]

و البراءة من فاعله و من أوكد عرى الإيمان و صار كشف بيت فاطمة و الدخول عليها منزلها و جمع حطب بيابها و
تهدها بالتحريق من أوكد عرى الدين و أثبت دعائم الإسلام و مما أعز الله به المسلمين و أطفأ به نار الفتنة و الحرمتان
واحدة و الستران واحد و ما نحب أن نقول لكم أن حرمة فاطمة أعظم و مكاتها أرفع و صياتها لأجل رسول الله ص أولى
فإنها بضعة منه و جزء من لحمه و دمه و ليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها و بين الزوج و إنما هي وصلة
مستعارة و عقد يجري مجرى إجارة المنفعة و كما يملك رق الأمة بالبيع و الشراء و لهذا قال الفرضيون أسباب التوارث
ثلاثة سبب و نسب و ولاء فالنسب القرابة و السبب النكاح و الولاء و لاء العتق فجعلوا النكاح خارجا عن النسب و لو
كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين . و كيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة و قد أجمع
المسلمون كلهم من يحبها و من لا يحبها منهم أنها سيدة نساء العالمين . قال و كيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله ص في
زوجته و حفظ أم حبيبة في أخيها و لم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ص في أهل بيته و لا ألزمت الصحابة أنفسها
حفظ رسول الله ص في صهره و ابن عمه ابن عفان و قد قتلوه و لعنوه و لقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان و هو
خليفة منهم عائشة كانت تقول اقتلوا نعتلا لعن الله نعتلا و منهم عبد الله بن مسعود و قد لعن معاوية علي بن أبي طالب و
ابنيه حسنا و حسينا و هم أحياء يرزقون بالعراق و هو يلعنهم بالشام على المنابر و يقنت عليهم في الصلوات و قد لعن
أبو بكر و عمر سعد بن عبادة و هو حي و برءا منه و أخرجاه من المدينة إلى الشام و لعن عمر

[18]

خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة و ما زال اللعن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن و
البراءة . قال و لو كان هذا أمرا معتبرا و هو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم فلا
يلعنوا لأجل آبائهم فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين و أن يحفظ معاوية فلا
يلعن يزيد صاحب وقعة الحرة و قاتل الحسين و مخيف المسجد الحرام بمكة و أن يحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه
قاتل الهرمزان و المحارب عليا ع في صفين . قال على أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول
الله ص من حفظ رسول الله ص في أصحابه و رعاية عهده و عقده لم نعادهم و لو ضربت رقابنا بالسيوف و لكن محبة
رسول الله ص لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يصنع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية و إنما أوجب الله رسول
الله ص محبة أصحابه لطاعتهم لله فإذا عصوا الله و تركوا ما أوجب محبتهم فليس عند رسول الله ص محاباة في ترك لزوم
ما كان عليه من محبتهم و لا تغطرس في العدول عن التمسك بموالاتهم فلقد كان ص يحب أن يعادي أعداء الله و لو كانوا
عترته كما يحب أن يوالي أولياء الله و لو كانوا أبعد الخلق نسبا منه و الشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد
أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام و عداوة من نافق و إن كان من أصحاب رسول الله ص و أن رسول الله ص هو الذي
أمر بذلك و دعا إليه

و ذلك أنه ص قد أوجب قطع السارق و ضرب القاذف و جلد البكر إذا زنى و إن كان من المهاجرين أو الأنصار أ لا ترى أنه قال لو سرقت فاطمة لقطعها فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها في دين الله و لا راقبها في حدود الله و قد جلد أصحاب الإفك و منهم مسطح بن أثاة و كان من أهل بدر . قال و بعد فلو كان محل أصحاب رسول الله ص محل من لا يعادي إذا عصى الله سبحانه و لا يذكر بالقبیح بل يجب أن يراقب لأجل اسم الصحبة و يغضى عن عيوبه و ذنوبه لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه في القرآن لما اتبع هواه فانسخ مما أوتي من الآيات و غوى قال سبحانه **وَ أَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** و لكان ينبغي أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل لأن هؤلاء كلهم قد صحبوا رسولا جليلا من رسل الله سبحانه . قال و لو كانت الصحابة عند أنفسهم بهذه المنزلة لعلمت ذلك من حال أنفسهم لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا و إذا قدرت أفعال بعضهم ببعض دلتك على أن القصة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم هذا علي و عمار و أبو الهيثم بن التيهان و خزيمة بن ثابت و جميع من كان مع علي ع من المهاجرين و الأنصار لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة و الزبير حتى فعلوا بهما و بمن معهما ما يفعل بالشرارة في عصرنا و هذا طلحة و الزبير و عائشة و من كان معهم و في جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي حتى قصدوا له كما يقصد للمتغلبين في زماننا و هذا معاوية و عمرو لم يريا

عليا بالعين التي يرى بها العامي صديقه أو جاره و لم يقصرا دون ضرب وجهه بالسيف و لعنه و لعن أولاده و كل من كان حيا من أهله و قتل أصحابه و قد لعنهما هو أيضا في الصلوات المفروضات و لعن معهما أبا الأعور السلمي و أبا موسى الأشعري و كلاهما من الصحابة و هذا سعد بن أبي وقاص و محمد بن مسلمة و أسامة بن زيد و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و عبد الله بن عمر و حسان بن ثابت و أنس بن مالك لم يروا أن يقتلوا عليا في حرب طلحة و لا طلحة في حرب علي و طلحة و الزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين لأنهم زعموا أنهم قد خافوا أن يكون علي قد غلط و زل في حربهما و خافوا أن يكونا قد غلطا و زلا في حرب علي و هذا عثمان قد نفى أبا نر إلى الربرة كما يفعل بأهل الخنا و الريب و هذا عمار و ابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لما ظهر لهما بزعمهما منه ما و عظه لأجله ثم فعل بهما عثمان ما تناهى إليكم ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم و علم الناس كلهم و هذا عمر يقول في قصة الزبير بن العوام لما استأذنه في الغزو ها إني ممسك بباب هذا الشعب أن يتفرق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم و زعم أنه و أبو بكر كانا يقولان إن عليا و العباس في قصة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين و ما رأينا عليا و العباس اعتذرا و لا تنصلا و لا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك و لا رأينا أصحاب رسول الله ص أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما و نسبه إليهما و لا أنكروا أيضا على عمر قوله في أصحاب رسول الله ص إنهم يريدون إضلال الناس و يهيمون به و لا أنكروا على عثمان دوس بطن عمار و لا كسر ضلع ابن مسعود و لا على عمار و ابن مسعود ما تلقيا به عثمان كإتكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة و لا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما يعتقد العامة فيها اللهم إلا أن يزعموا أنهم أعرف بحق القوم منهم و هذا علي

و فاطمة و العباس ما زالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية نحن معاشر الأنبياء لا نورث و يقولون إنها مختلفة . قالوا و كيف كان النبي ص يعرف هذا الحكم غيرنا و يكتمه عنا و نحن الورثة و نحن أولى الناس بأن يؤدي هذا الحكم إليه و هذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم النفر الذين توفي رسول الله ص و هو عنهم راض ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخوا فصل حال الإمامة هذا بعد أن تلبهم و قال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحباً إلى السلطان ثم شهدت عليه بالرفض و استحلته دمه فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمر بن الخطاب أرفض الناس و إمام الروافض كلهم ثم ما شاع و اشتهر من قول عمر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه و هذا طعن في العقد و قدح في البيعة الأصلية . ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته و قوله عن عبد الرحمن ابنه دويبة سوء و لهو خير من أبيه ثم عمر القائل في سعد بن عباد و هو رئيس الأنصار و سيدها اقتلوا سعدا قتل الله سعدا اقتلوه فإنه منافق و قد شتم أبا هريرة و طعن في روايته و شتم خالد بن الوليد و طعن في دينه و حكم بفسقه و بوجوب قتله و خون عمرو بن العاص و معاوية بن أبي سفيان و نسبهما إلى سرقة مال الفيء و اقتطاعه و كان سريعا إلى المساءة كثير الجبه و الشتم و السب لكل أحد و قل أن يكون في الصحابة من سلم من معرفة لسانه أو يده و لذلك أبغضوه و ملوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة إما أن يكون عمر مخطئا و إما أن تكون العامة على الخطأ .

[22]

فإن قالوا عمر ما شتم و لا ضرب و لا أساء إلا إلى عاص مستحق لذلك قيل لهم فكأننا نحن نقول إنا نريد أن نبرأ و نعادي من لا يستحق البراءة و المعادة كلا ما قلنا هذا و لا يقول هذا مسلم و لا عاقل و إنما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس و عليهم ما عليهم من أساء منهم ذمناهم و من أحسن منهم حمدناهم و ليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول و معاصرتة لا غير بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام و المعجزات فقربت اعتقاداتهم من الضرورة و نحن لم نشاهد ذلك فكانت عقائدنا محض النظر و الفكر و بعرضية الشبه و الشكوك فمعاصينا أخف لأننا أعذر . ثم نعود إلى ما كنا فيه فنقول و هذه عائشة أم المؤمنين خرجت بقميص رسول الله ص فقالت للناس هذا قميص رسول الله لم يبيل و عثمان قد أبلى سنته ثم تقولوا اقتلوا نعتلا قتل الله نعتلا ثم لم ترض بذلك حتى قالت أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدا فمن الناس من يقول روت في ذلك خبرا و من الناس من يقول هو موقوف عليها و بدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقا ثم قد حصر عثمان حصرتة أعيان الصحابة فما كان أحد ينكر ذلك و لا يعظمه و لا يسعى في إزالته و إنما أنكروا على من أنكروا على المحاصرين له و هو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ص ثم من أشرفهم ثم هو أقرب إليه من أبي بكر و عمر و هو مع ذلك إمام المسلمين و المختار منهم للخلافة و للإمام حق على رعيته عظيم فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة و إن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول من أن الخطأ جازز على

[23]

آحاد الصحابة كما يجوز على آحادنا اليوم و لسنا نقدح في الإجماع و لا ندعي إجماعا حقيقيا على قتل عثمان و إنما نقول إن كثيرا من المسلمين فعلوا ذلك و الخصم يسلم أن ذلك كان خطأ و معصية فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يخطئ و

يعصي و هو المطلوب . و هذا المغيرة بن شعبة و هو من الصحابة ادعى عليه الزنا و شهد عليه قوم بذلك فلم ينكر ذلك عمر و لا قال هذا محال و باطل لأن هذا صحابي من صحابة رسول الله ص لا يجوز عليه الزنا و هلا أنكر عمر على الشهود و قال لهم ويحكم هلا تغافلتم عنه لما رأيتموه يفعل ذلك فإن الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول الله ص و أوجب الستر عليهم و هلا تركتموه لرسول الله ص في قوله دعوا لي أصحابي ما رأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى و إقامة الشهادة و أقبل يقول للمغيرة يا مغيرة ذهاب ربعك يا مغيرة ذهاب نصفك يا مغيرة ذهاب ثلاثة أرباعك حتى اضطرب الرابع فجلد الثلاثة و هلا قال المغيرة لعمر كيف تسمع في قول هؤلاء و ليسوا من الصحابة و أنا من الصحابة و

رسول الله ص قد قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ما رأيناه قال ذلك بل استسلم لحكم الله تعالى و هاهنا من هو أمثل من المغيرة و أفضل قدامة بن مظعون لما شرب الخمر في أيام عمر فأقام عليه الحد و هو رجل من علية الصحابة و من أهل بدر و المشهود لهم بالجنة فلم يرد عمر الشهادة و لا درأ عنه الحد لعله أنه بدري و لا قال قد نهى رسول الله ص عن ذكر مساوئ الصحابة و قد ضرب عمر أيضا ابنه حدا فمات و كان ممن عاصر رسول الله ص و لم تمنع معاصرتة له من إقامة الحد عليه . و هذا

علي ع يقول ما حدثني أحد بحديث عن رسول الله ص

[24]

إلا استخلفته عليه أ ليس هذا اتهاما لهم بالكذب و ما استثنى أحدا من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر و قد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة و

قال لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله ص و قال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه وددت أني لم أكشف بيت فاطمة و لو كان أغلق على حرب فندم و الندم لا يكون إلا عن ذنب . ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي ع عن بيعة أبي بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة فإن كان مصيبا فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة و إن كان أبو بكر مصيبا فعلي على الخطأ في تأخره عن البيعة و حضور المسجد ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضا للصحابة فلما استخلفت عليكم خيركم في نفسي يعني عمر فكلكم ورم لذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له لما رأيتم الدنيا قد جاءت أما و الله لتتخذن ستائر الديباج و نضاند الحرير أ ليس هذا طعنا في الصحابة و تصريحاً بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر لما نص عليه بالعهد و لقد قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر ما ذا تقول لربك إذا سألك عن عبادته و قد وليت عليهم فظا غليظا فقال أبو بكر أجلسوني أجلسوني بالله تخوفني إذا سألتني قلت وليت عليهم خير أهلك ثم شتمه بكلام كثير منقول فهل قول طلحة إلا طعن في عمر و هل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة . ثم الذي كان بين أبي بن كعب و عبد الله بن مسعود من السباب حتى نفى كل واحد منهما الآخر عن أبيه و كلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم و قوله ألا هلك أهل العقيدة و الله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلون من الناس .

[25]

ثم قول عبد الرحمن بن عوف ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان يا منافق و قوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما ولت عثمان شسع نعلي و قوله اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به و افعل . و قال عثمان لعلي ع في كلام دار بينهما أبو بكر و عمر خير منك فقال علي كذبت أنا خير منك و منهما عبت الله قبلهما و عبتة بعدهما . و روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال كنت عند عروة بن الزبير فتذاكرناكم أقام النبي بمكة بعد الوحي فقال عروة أقام عشرا فقلت كان ابن عباس يقول ثلاث عشرة فقال كذب ابن عباس و قال ابن عباس المتعة حلال فقال له جبير بن مطعم كان عمر ينهى عنها فقال يا عدي نفسه من هاهنا ضللتم أحدثكم عن رسول الله ص و تحدثني عن عمر . و

جاء في الخبر عن علي ع لو لا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زنى إلا شقي و قيل ما زنى إلا شفا أي قليلا فأما سبب بعضهم بعضا و قدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية فأكثر من أن يحصى مثل قول ابن عباس و هو يرد على زيد مذهبه القول في الفرائض إن شاء أو قال من شاء باهلتة إن الذي أحصى رمل عالج عددا أعدل من أن يجعل في مال نصفًا و نصفًا و ثلثًا هذان النصفان قد ذهب بالمال فأين موضع الثلث .

[26]

و مثل قول أبي بن كعب في القرآن لقد قرأت القرآن و زيد هذا غلام ذو ذواتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب . و

قال علي ع في أمهات الأولاد و هو على المنبر كان رأيي و رأي عمر ألا يبعن و أنا أرى الآن يبعهن فقام إليه عبيدة السلماني فقال رأيك في الجماعة أحب إلينا من رأيك في الفرقة . و كان أبو بكر يرى التسوية في قسم الغنائم و خالفه عمر و أنكر فعله . و أنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلفه على ابن عباس في عدة المتوفى عنها زوجها و هي حامل و قالت فزوج يصقع مع الديكة . و أنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصرف و سفهوا رأيه حتى قيل إنه تاب من ذلك عند موته . و اختلفوا في حد شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضا . و

روى بعض الصحابة عن النبي ص أنه قال الشوم في ثلاثة المرأة و الدار و الفرس فأنكرت عائشة ذلك و كذبت الراوي و قالت إنه إنما قال ع ذلك حكاية عن غيره . و

روى بعض الصحابة عنه ع أنه قال التاجر فاجر فأنكرت عائشة ذلك و كذبت الراوي و قالت إنما قاله ع في تاجر دلس . و أنكروا قوم من الأنصار

رواية أبي بكر الأئمة من قريش و نسبوه إلى افتعال هذه الكلمة .

[27]

و كان أبو بكر يقضي بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصحابة كبلال و صهيب و نحوهما قد روي ذلك في عدة قضايا . و قيل لابن عباس إن عبد الله بن الزبير يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل فقال كذب عدو الله أخبرني أبي بن كعب قال خطبنا رسول الله ص و ذكر كذا بكلام يدل على أن موسى صاحب الخضر هو موسى بني إسرائيل . و باع معاوية أواني ذهب و فضة بأكثر من وزنها فقال له أبو الدرداء سمعت رسول الله ص ينهى عن ذلك فقال معاوية أما أنا فلا

أرى به بأسا فقال أبو الدرداء من عذيري من معاوية أخبره عن الرسول ص و هو يخبرني عن رأيه و الله لا أسألك
بأرض أبدا . و طعن ابن عباس في أبي هريرة

عن رسول الله ص إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخلن يده في الإناء حتى يتوضأ و قال فما نضع بالمهراس . و

قال علي ع لعمر و قد أفتاه الصحابة في مسألة و أجمعوا عليها إن كانوا راقبوك فقد غشوك و إن كان هذا جهد رأيهم فقد
أخطئوا . و قال ابن عباس أ لا يتقي الله زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابنا و لا يجعل أب الأب أبا . و قالت عائشة أخبروا
زيد بن أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله ص .

[28]

و أنكرت الصحابة على أبي موسى قوله إن النوم لا ينقض الوضوء و نسبته إلى الغفلة و قلة التحصيل و كذلك أنكرت على
أبي طلحة الأنصاري قوله إن أكل البرد لا يفسد الصائم و هزنت به و نسبته إلى الجهل . و سمع عمر عبد الله بن مسعود و
أبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد فصعد المنبر و قال إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله ص فعن
أي فتياكم يصدر المسلمون لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلا فعلت و صنعت . و

قال جرير بن كليب رأيت عمر ينهى عن المتعة و علي ع يأمر بها فقلت إن بينكما لشرا فقال علي ع ليس بيننا إلا الخير و
لكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين . قال هذا المتكلم و كيف يصح أن يقول رسول الله ص أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم لا
شبهة أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى و أن يكون أهل العراق أيضا على هدى و أن يكون قاتل
عمار بن ياسر مهتديا و

قد صح الخبر الصحيح أنه قال له تقتلك الفئة الباغية و قال في القرآن **فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَبِيٍّ حَتَّى تَبْغِيَ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** فدل على
أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي مفارقة لأمر الله و من يفارق أمر الله لا يكون مهتديا . و كان يجب أن يكون بسر
بن أبي أرطاة الذي ذبح ولدي عبید الله بن عباس الصغيرين مهتديا لأن بسرا من الصحابة أيضا و كان يجب أن يكون
عمرو بن العاص و معاوية اللذان كانا يلعنان عليا أذبار الصلاة و ولديه مهتديين و قد كان في الصحابة من يزني و من
يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي و من يرتد عن الإسلام كطليحة بن خويلد فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء في
أفعالهم مهتديا .

[29]

قال و إنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية فإن لهم من ينصرهم بلسانه و بوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم
بالسيف . و كذا القول في الحديث الآخر و هو قوله القرن الذي أنا فيه و مما يدل على بطلانه أن القرن الذي جاء بعده
بخمسين سنة شر قرون الدنيا و هو أحد القرون التي ذكرها في النص و كان ذلك القرن هو القرن الذي قتل فيه الحسين و
أوقع بالمدينة و حوصرت مكة و نقضت الكعبة و شربت خلفاؤه و القانمون مقامه و المنتصبون في منصب النبوة الخمر
و ارتكبوا الفجور كما جرى ليزيد بن معاوية و ليزيد بن عاتكة و للوليد بن يزيد و أريقت الدماء الحرام و قتل المسلمون و
سبي الحريم و استعبد أبناء المهاجرين و الأنصار و نقش على أيديهم كما ينقش على أيدي الروم و ذلك في خلافة عبد

الملك و إمرة الحجاج و إذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرا كلها لا خير فيها و لا في رؤسائها و أمرانها و الناس برؤسائهم و أمرانهم و القرن خمسون سنة فكيف يصح هذا الخبر . قال فأما ما ورد في القرآن من قوله تعالى **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ** و قوله **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ .** و

قول النبي ص إن الله اطلع على أهل بدر إن كان الخبر صحيحا فكله مشروط بسلامة العاقبة و لا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفا غير معصوم بأنه لا عقاب عليه فليفعل ما شاء . قال هذا المتكلم و من أنصف و تأمل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا يجوز عليهم ما يجوز علينا و لا فرق بيننا و بينهم إلا بالصحبة لا غير فإن لها منزلة و شرفا

[30]

و لكن لا إلى حد يمتنع على كل من رأى الرسول أو صحبه يوما أو شهرا أو أكثر من ذلك أن يخطئ و يزل و لو كان هذا صحيحا ما احتاجت عائشة إلى نزول براءتها من السماء بل كان رسول الله ص من أول يوم يعلم كذب أهل الإفك لأنها زوجته و صحبتها له أكد من صحبة غيرها و صفوان بن المعطل أيضا كان من الصحابة فكان ينبغي ألا يضيق صدر رسول الله ص و لا يحمل ذلك الهم و الغم الشديدين اللذين حملهما و يقول صفوان من الصحابة و عائشة من الصحابة و المعصية عليهما ممتنعة . و أمثال هذا كثير و أكثر من الكثير لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم و قد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك و يقولون في العصاة منهم مثل هذا القول و إنما اتخذهم العامة أربابا بعد ذلك . قال و من الذي يجترئ على القول بأن أصحاب محمد لا تجوز البراءة من أحد منهم و إن أساء و عصى بعد قول الله تعالى للذي شرفوا برويته **لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** بعد قوله **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** و بعد قوله **فَأَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** إلا من لا فهم له و لا نظر معه و لا تمييز عنده . قال و من أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة و طعن بعضهم في بعض و رد بعضهم على بعض و ما رد به التابعون عليهم و اعترضوا به أقوالهم و اختلاف التابعين أيضا فيما بينهم و قدح بعضهم في بعض فليُنظر في كتاب النظام قال الجاحظ كان النظام

[31]

أشد الناس إنكارا على الرافضة لطعنهم على الصحابة حتى إذا ذكر الفتيا و تنقل الصحابة فيها و قضاياهم بالأمر المختلفة و قول من استعمل الرأي في دين الله انتظم مطاعن الرافضة و غيرها و زاد عليها و قال في الصحابة أضعاف قولها . قال و قال بعض رؤساء المعتزلة غلط أبي حنيفة في الأحكام عظيم لأنه أضل خلقا و غلط حماد أعظم من غلط أبي حنيفة لأن حمادا أصل أبي حنيفة الذي منه تفرع و غلط إبراهيم أغلظ و أعظم من غلط حماد لأنه أصل حماد و غلط علقمة و الأسود أعظم من غلط إبراهيم لأنهما أصله الذي عليه اعتمد و غلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعا لأنه أول من بدر إلى وضع الأديان برأيه و هو الذي قال أقول فيها برأبي فإن يكن صوابا فمن الله و إن يكن خطأ فمني . قال و استأذن أصحاب الحديث على ثمامة بخراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدي فسأله كتابه الذي صنفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأي فقال لست على أبي حنيفة كتبت ذلك الكتاب و إنما كتبت على علقمة و الأسود و عبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة . قال و كان بعض المعتزلة أيضا إذا ذكر ابن عباس استصغره و قال صاحب الذوابة

يقول في دين الله برأيه . و ذكر الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب التوحيد أن أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله ص قال و لم يكن علي ع يوثقه في الرواية بل يتهمه و يقدح فيه و كذلك عمر و عائشة .

[32]

و كان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز و يستهزئ به و يكفره و عمر بن العزيز و إن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة . و كيف يجوز أن نحكم حكما جزما أن كل واحد من الصحابة عدل و من جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص و كفاك به عدوا مبغضا لرسول الله ص و من الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنص الكتاب و منهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية و بشر بن أبي أرطاة عدو الله و عدو رسوله و في الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس و قال كثير من المسلمين مات رسول الله ص و لم يعرفه الله سبحانه كل المنافقين بأعيانهم و إنما كان يعرف قوما منهم و لم يعلم بهم أحدا إلا حذيفة فيما زعموا فكيف يجوز أن نحكم حكما جزما أن كل واحد ممن صحب رسول الله أو رآه أو عاصره عدل مأمون لا يقع منه خطأ و لا معصية و من الذي يمكنه أن يتحجر واسعا كهذا التحجر أو يحكم هذا الحكم قال و العجب من الحشوية و أصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء و يثبتون أنهم عصوا الله تعالى و ينكرون على من ينكر ذلك و يطعنون فيه و يقولون قدرني معتزلي و ربما قالوا ملحد مخالف لنص الكتاب و قد رأينا منهم الواحد و المائة و الألف يجادل في هذا الباب فتارة يقولون إن يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة و تارة يقولون إن داود قتل أوريا لينكح امرأته و تارة يقولون إن رسول الله كان كافرا ضالا قبل النبوة و ربما ذكروا زينب بنت جحش و قصة الفداء يوم بدر . فأما قدحهم في آدم ع و إثباتهم معصيته و مناظرتهم من يذكر ذلك

[33]

فهو دأبهم و دينهم فإذا تكلم واحد في عمرو بن العاص أو في معاوية و أمثالهما و نسبهم إلى المعصية و فعل القبيح احمرت وجوههم و طالت أعناقهم و تخازرت أعينهم و قالوا مبتدع رافضي يسب الصحابة و يشتم السلف فإن قالوا إنما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب قيل لهم فاتبعوا في البراءة من جميع العصاة نصوص الكتاب فإنه تعالى قال **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ قَالَ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَ قَالَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ .** ثم يسألون عن بيعة علي ع هل هي صحيحة لازمة لكل الناس فلا بد من بلى فيقال لهم فإذا خرج على الإمام الحق خارج أ ليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة فهل يكون هذا القتال إلا البراءة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين و إنما برئنا منهم لأننا لسنا في زمانهم فيمكننا أن نقاتل بأيدينا فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم و نلنهم و ليكون ذلك عوضا عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه . قال هذا المتكلم على أن النظام و أصحابه ذهبوا إلى أنه لا حجة في الإجماع و أنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ و المعصية و على الفسق بل على الردة و له كتاب موضوع في الإجماع يطعن فيه في أدلة الفقهاء و يقول إنها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجة نحو قوله **جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا وَ قَوْلُهُ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ وَ قَوْلُهُ وَ يَنْبَغُ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ .**

[34]

لا تجتمع أمتي على الخطأ فخير واحد و أمثل دليل للفقهاء قولهم إن الهمم المختلفة و الآراء المتباينة إذا كان أربابها كثيرة عظيمة فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ و هذا باطل باليهود و النصارى و غيرهم من فرق الضلال . هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفر علقه بخطه من الجزء الذي أقرأناه . و نحن نقول أما إجماع المسلمين فحجة و لسنا نرتضي ما ذكره عنا من أنه أمثل دليل لنا أن الهمم المختلفة و الآراء المتباينة يستحيل أن تتفق على غير الصواب و من نظر في كتبنا الأصولية علم وثيقة أدلتنا على صحة الإجماع و كونه صوابا و حجة تحريم مخالفته و قد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى على ما طعن به المرتضى في أدلة الإجماع . و أما ذكره من الهجوم على دار فاطمة و جمع الحطب لتحريقها فهو خبر واحد غير موثوق به و لا معول عليه في حق الصحابة بل و لا في حق أحد من المسلمين ممن ظهرت عدالته . و أما عائشة و الزبير و طلحة فمذهبنا أنهم أخطوا ثم تابوا و أنهم من أهل الجنة و أن عليا ع شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل . و أما طعن الصحابة بعضهم في بعض فإن الخلاف الذي كان بينهم في مسائل الاجتهاد لا يوجب إثما لأن كل مجتهد مصيب و هذا أمر مذكور في كتب أصول الفقه و ما كان من الخلاف خارجا عن ذلك فالكثير من الأخبار الواردة فيه غير موثوق بها و ما جاء من جهة صحيحة نظر فيه و رجح جانب أحد الصحابييين على قدر منزلته في الإسلام كما يروى عن عمر و أبي هريرة .

[35]

فأما علي ع فإنه عندنا بمنزلة الرسول ص في تصويب قوله و الاحتجاج بفعله و وجوب طاعته و متى صح عنه أنه قد برئ من أحد من الناس برننا منه كأننا من كان و لكن الشأن في تصحيح ما يروى عنه ع فقد أكثر الكذب عليه و ولدت العصبية أحاديث لا أصل لها . فأما براءته ع من المغيرة و عمرو بن العاص و معاوية فهو عندنا معلوم جار مجرى الأخبار المتواترة فلذلك لا يتولاها أصحابنا و لا يثنون عليهم و هم عند المعتزلة في مقام غير محمود و حاش لله أن يكون ع ذكر من سلف من شيوخ المهاجرين إلا بالجميل و الذكر الحسن بموجب ما تقتضيه رناسته في الدين و إخلاصه في طاعة رب العالمين و من أحب تتبع ما روي عنه مما يوهم في الظاهر خلاف ذلك فليراجع هذا الكتاب أعني شرح نهج البلاغة فأنا لم نترك موضعا يوهم خلاف مذهبنا إلا و أوضحناه و فسرناه على وجه يوافق الحق و بالله التوفيق

عمار بن ياسر و طرف من أخباره

فأما عمار بن ياسر رحمه الله فنحن نذكر نسبه و طرفا من حاله مما ذكره ابن عبد البر في كتاب الإستيعاب قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن لوذ بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن نام بن عنس بالنون بن مالك بن أدد العنسي المذحجي يكنى أبا اليقظان حليف لبني مخزوم كذا قال ابن شهاب و غيره .

[36]

و قال موسى بن عقبة و ممن شهد بدرا عمار بن ياسر حليف لبني مخزوم بن يقظة . و قال الواقدي و طائفة من أهل العلم إن ياسرا والد عمار بن ياسر عربي قحطاني من عنس من مذحج إلا أن ابنه عمارا مولى لبني مخزوم لأن أباه ياسرا تزوج أمه لبعض بني مخزوم فأولدها عمارا و ذلك أن ياسر قدم مكة مع أخوين له يقال لهما الحارث و مالك في طلب أخ لهم رابع فرجع الحارث و مالك إلى اليمن و أقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية بنت خياط فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة فصار ولاؤه لبني مخزوم و للحلف و الولاء الذي بين بني مخزوم و عمار بن ياسر كان اجتماع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق في بطنه و كسروا ضلعا من أضلاعه فاجتمعت بنو مخزوم و قالوا و الله لنن مات لا قتلنا به أحدا غير عثمان . قال أبو عمر و أسلم عمار و عبد الله أخوه و ياسر أبوهما و سمية أمهما و كان إسلامهم قديما في أول الإسلام فعذبوا في الله عذابا عظيما و

كان رسول الله ص يمر بهم و هم يعذبون فيقول صبيرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة و يقول لهم أيضا صبيرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر و قد فعلت . قال أبو عمر و لم يزل عمار مع أبي حذيفة بن المغيرة حتى مات و جاء الله بالإسلام . فأما سمية فقتلها أبو جهل طعنها بحربة في قبلها فماتت و كانت من الخيرات

[37]

الفاضلات و هي أول شهيدة في الإسلام و قد كانت قريش أخذت ياسرا و سمية و ابنيهما و بلالا و خبابا و صهيبا فألبسوهم أدرع الحديد و صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ فأعطوهم ما سألوا من الكفر و سب النبي ص ثم جاء إلى كل واحد منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيها ثم حملوا بجوانبها فلما كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية و يرفث ثم وجأها بحربة في قبلها فقتلها فهي أول من استشهد في الإسلام فقال عمار للنبي ص يا رسول الله بلغ العذاب من أمة كل مبلغ فقال صبيرا يا أبا اليقظان اللهم لا تعذب أحدا من آل ياسر بالنار قال أبو عمر و فيهم أنزل **إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** . قال و هاجر عمار إلى أرض الحبشة و صلى القبلتين و شهد بدرا و المشاهد كلها و أبلى بلاء حسنا ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضا و يومئذ قطعت أذنه . قال و ذكر الواقدي عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة و قد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أ من الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلموا إلي و أنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب و هو يقاتل أشد القتال . قال أبو عمر و

كان عمار طويلا أشهل بعيد ما بين المنكبين قال و قد قيل في صفته كان آدم طوالا مضطربا أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين رجلا لا يغير شبيهه .

[38]

قال و كان عمار يقول أنا ترب رسول الله ص لم يكن أحد أقرب إليه سنا مني . قال و قتل عمار و هو ابن ثلاث و تسعين سنة و

الخبر المرفوع مشهور في حقه تقتلك الفنة الباغية و هو من دلائل نبوة رسول الله ص لأنه إخبار عن غيب . و

قال رسول الله ص في عمار ملئ إيمانا إلى مشاشه و يروى إلى أخصص قدميه . و فضائل عمار كثيرة و قد تقدم القول في ذكر عمار و أخباره و ما ورد في حقه

[39]

وَ قَالَ ع : مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعِ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَبًا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ وَ أَحْسَنُ مِنْهُ تِيَهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ إِتْكَالًا عَلَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحٌ مِثْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَرَارًا . وَ قَالَ الشَّاعِرُ

قنعت فأعتقت نفسي و لن

أملك ذا ثروة رفقها

و نزهتها عن سؤال الرجال

و منة من لا يرى حقها

و إن القناعة كنز اللبيب

إذا ارتتقت فتقت رفقها

سبيعت رزق الشفاه الغراث

و خمص البطون الذي شقها

فما فارقت مهجة جسمها

لعمرك أو وفيت رفقها

مواعيد ربك مصدوقة

إذا غيرها ففقدت صدقها

قَالَ ع : مَا اسْتَوَدَعَ اللَّهُ امْرَأً عَقْلاً إِلَّا لِيَسْتَنْفِذَهُ اسْتَنْفَذَهُ بِهِ يَوْمًا مَا لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لِلْبَارِئِ تَعَالَى فِي إِيدَاعِ الْعَقْلِ قَلْبَ زَيْدٍ مِثْلًا غَرَضٌ وَلَا غَرَضٌ إِلَّا أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى مَا فِيهِ نَجَاتُهُ وَخَلَاصُهُ وَذَلِكَ هُوَ التَّكْلِيفُ فَإِنْ قَصَرَ فِي النَّظَرِ وَجَهَلَ وَأَخْطَأَ الصَّوَابَ فَلَا بَدَّ أَنْ يَنْقُذَهُ عَقْلُهُ مِنْ وَرْطَةٍ مِنْ وَرَطَاتِ الدُّنْيَا وَلَيْسَ يَخْلُو أَحَدٌ عَنْ ذَلِكَ أَصْلًا لِأَنَّ كُلَّ عَاقِلٍ لَا بَدَّ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ مَضْرَةٍ سَبِيلُهَا أَنْ تَنَالَ بِأَعْمَالِ فِكْرَتِهِ وَعَقْلُهُ فِي الْخَلَاصِ مِنْهَا فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْعَقْلَ إِذَا أَنْ يَنْقُذَ الْإِنْقَازَ الدِّينِيَّ وَهُوَ الْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْ يَنْقُذَ مِنْ بَعْضِ مَهَالِكِ الدُّنْيَا وَأَفَاتِهَا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ صَحَّ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ قَدْ رُوِيَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَرْفُوعَةً وَرُوِيَ إِلَّا اسْتَنْفَذَهُ بِهِ يَوْمًا مَا . وَ

عنه ص العقل نور في القلب يفرق به بين الحق و الباطل . و

عن أنس قال سئل رسول الله ص عن الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب فقال ما من بشر إلا و له ذنوب و خطايا يقتترفها فمن كانت سجيته العقل و غريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل كيف ذلك يا رسول الله قال

[41]

كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة و ندامة على ما فرط منه فيمحو ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة

نكت في مدح العقل و ما قيل فيه

و قد تقدم من قولنا في العقل و ما ذكر فيه ما فيه كفاية و نحن نذكر هاهنا شيئا آخر كان يقال العاقل يروي ثم يروي و يخبر ثم يخبر . و قال عبد الله بن المعتز ما أبين وجوه الخير و الشر في مرآة العقل .

لقمان يا بني شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء و تأخذه أنت بالمجان . أردشير بن بابك أربعة تحتاج إلى أربعة الحسب إلى الأدب و السرور إلى الأمن و القرابة إلى المودة و العقل إلى التجربة . الإسكندر لا تحتقر الرأي الجزيل من الحقير فإن الدرّة لا يستهان بها لهوان غانصها . مسلمة بن عبد الملك ما ابتدأت أمرا قط بحزم فرجعت على نفسي بلانمة و إن كانت العاقبة علي و لا أضعت الحزم فسررت و إن كانت العاقبة لي . وصف رجل عضد الدولة بن بويه فقال لو رأيت لرأيت رجلا له وجه فيه ألف عين و فم فيه ألف لسان و صدر فيه ألف قلب . أثنى قوم من الصحابة على رجل عند رسول الله ص بالصلاة و العبادة و خصال الخير حتى بالغوا

فقال ص كيف عقله قالوا يا رسول الله

[42]

نخبرك باجتهاده في العبادة و ضروب الخير و تسأل عن عقله فقال إن الأحقق ليصيب بحمقه أعظم مما يصيبه الفاجر بفجوره و إنما ترتفع العباد غدا في درجاتهم و ينالون من الزلفى من ربهم على قدر عقولهم . الريحاني العقل ملك و الخصال رعيته فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها و سمع هذا الكلام أعرابي فقال هذا كلام يقطر عسله . قال معن بن زائدة ما رأيت قفا رجل إلا عرفت عقله قيل فإن رأيت وجهه قال ذا كتاب يقرأ . بعض الفلاسفة عقل الغريزة مسلم إلى عقل التجربة . بعضهم كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا . قالوا في قوله تعالى **لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا** أي من كان عاقلا . و من كلامهم العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أنس منه بلين العيش مع السفهاء . أعرابي لو صور العقل أظلمت معه الشمس و لو صور الحمق لأضاء معه الليل . قيل لحكيم متى عقلت قال حين ولدت فأنكروا ذلك فقال أما أنا فقد بكيت حين جعت و طلبت الثدي حين احتجت و سكت حين أعطيت يريد أن من عرف مقادير حاجته فهو عاقل . المأمون إذا أنكرت من عقلك شيئا فاقدحه بعاقل . بزرجمهر العاقل الحازم إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها و كذلك العاقل يجمع وجوه

[43]

الرأي في الأمر المشكل ثم يضرب بعضها في بعض حتى يستخلص الرأي الأصوب . كان يقال هجين عاقل خير من هجان جاهل . كان بعضهم إذا استشير قال لمشاوره أنظرنى حتى أصقل عقلي بنومة . إذا نزلت المقادير نزلت التدابير من نظر في المغاب ظفر بالمحاب من استتدت عزائمه اشتدت دعائمه الرأي السديد أجدى من الأيد الشديد . بعضهم

و ما ألف مطرور السنان مشدد

يعارض يوم الروع رأيا مسددا

الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة
بلغت من العلياء كل مكان
و لربما طعن الفتى أقرانه
بالرأي قبل تطاعن الأقران
لو لا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الإنسان
و لما تفاضلت النفوس و دبرت
أيدي الكمأة عوالي المران

ذكر المأمون ولد علي ع فقال خصوا بتدبير الآخرة و حرموا تدبير الدنيا . كان يقال إذا كان الهوى مقهورا تحت يد العقل و العقل مسلط عليه صرفت مساوي صاحبه إلى المحاسن فعدت بلادته حلما و حدته نكاء و حذره بلاغة و عية صمتا و جنبه حذرا و إسرافه جودا .

[44]

و ذكر هذا الكلام عند بعضهم فقال هذه خصيصة الحظ نقلها مرتب هذا الكلام إلى العقل . سمع محمد بن يزيد كاتب المأمون قول الشاعر

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأي أن تترددا

فأضاف إليه

و إن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا
فإن فساد العزم أن ينفندا

[45]

وَقَالَ ع : مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعهُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ أَيْدِي صَفْحَتِهِ لِلْحَقِّ هَلْكَ وَ نَحْوِ هَذَا قَوْلِ الطَّائِفِي

و من قامر الأيام عن ثمراتها

فأحج بها أن تنجلي و لها القمر

[46]

وَ قَالَ ع : أَلْقَلْبُ مُصْحَفُ أَلْبَصَرِ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ

تخبرني العينان ما القلب كاتم

و ما جن بالبغضاء و النظر الشزر

يقول ع كما أن الإنسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه كذلك إذا أبصر الإنسان صاحبه فإنه يرى قلبه بوساطة رؤية وجهه ثم يعلم ما في قلبه من حب و بغض و غيرهما كما يعلم بروية الخط الذي في المصحف ما يدل الخط عليه . و قال

الشاعر

إن العيون لتبدي في تقلبها

ما في الضمائر من ود و من حنق

وَقَالَ ع : أَلْتَقَى رَنبِسُنُ الْأَخْلَاقِ يَعْنِي رَنبِسُ الْأَخْلَاقِ الدِّينِيَّةِ لِأَنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ كَالْجُودِ وَالشَّجَاعَةَ وَالْحِلْمَ وَالْعِفَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ لَوْ قَدَرْنَا انْتِفَاءَ التَّكَالِيفِ الْعَقْلِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ لَمْ يَكُنِ التَّقَى رَنبِسًا لَهَا وَإِنَّمَا رِنَاسَةُ التَّقَى لَهَا مَعَ ثُبُوتِ التَّكْلِيفِ لَا سِيَّمَا الشَّرْعِيِّ وَالتَّقَى فِي الشَّرْعِ هُوَ الْوَرَعُ وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَإِذَا حَصَلَ الطَّاعَاتُ كُلُّهَا وَانْتَفَتِ الْقَبَاحُ كُلُّهَا فَصَارَ الْإِنْسَانُ مَعْصُومًا وَتَلَّكَ طَبَقَةً عَالِيَةً وَهِيَ أَشْرَفُ مِنْ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا الْإِنْسَانُ نَحْوَ قَوْلِنَا جَوَادٌ أَوْ شَجَاعٌ أَوْ نَحْوَهُمَا لِأَنَّهَا طَبَقَةٌ يَنْتَقِلُ الْإِنْسَانُ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ وَدَارِ الثَّوَابِ الدَّائِمِ وَهَذِهِ مَزِيَّةٌ عَظِيمَةٌ يَفْضَلُ بِهَا عَلَى سَائِرِ طَبَقَاتِ الْأَخْلَاقِ

وَقَالَ ع : لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ وَ بَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ يَقُولُ لَا شَبِيهَةَ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْطَقَكَ
و سدّد لفظك و علمك البيان كما قال سبحانه **خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** فقبیح أن يجعل الإنسان ذرب لسانه و فصاحة
منطقه على من أنطقه و أقدره على العبادة و قبیح أن يجعل الإنسان بلاغة قوله على من سدّد قوله و جعله بليغا حسن
التعبير على المعاني التي في نفسه و هذا كمن ينعم على إنسان بسيف فإنه يقبّح منه أن يقتله بذلك السيف ظلما قبحا زاندا
على ما لو قتله بغير ذلك السيف و ما أحسن قول المتنبي في سيف الدولة

و لما كسا كعبا ثيابا طغوا بها

رمى كل ثوب من سنان بخارق

و ما يوجع الحرمان من كف حازم

كما يوجع الحرمان من كف رازق

وَ قَالَ ع : كَفَاكَ أَدْبَابُ لِنَفْسِكَ إِجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ قَدْ قَالَ ع هَذَا اللَّفْظُ أَوْ نَحْوَهُ مَرَارًا وَ قَدْ تَكَلَّمْنَا نَحْنُ عَلَيْهِ وَ ذَكَرْنَا
نَظَائِرَ لَهُ كَثِيرَةً نَثَرًا وَ نَظْمًا . وَ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ فِي حَالِ اقْتَضَتْ ذَلِكَ

مَا عَلَى ذَا افْتَرَقْنَا بِشِبْذَانَ إِذْ كُنَّا
وَ لَا هَكَذَا عَهْدَنَا الْإِخَاءَ
تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمَهْنَدَةِ الْبَيْضِ
عَلَى غَدْرِهِمْ وَ تَنْسَى الْوَفَاءَ

وَقَالَ ع يُعْزِي قَوْمًا مَّنْ صَبَرَ صَبَرَ الْأَحْرَارِ وَ إِلَّا سَلَا سَلَوُ الْأَعْمَارِ وَ فِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ ع قَالَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مُّعْرِيًا عَنْ
 ابْنِ لَهُ إِنَّ صَبْرَتَ صَبَرَ الْأَكْرَامِ وَ إِلَّا سَلَوْتَ سَلَوُ الْبِهَائِمِ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو تَمَامٍ بَلْ حَكَاهُ فَقَالَ

و قال علي في التعازي لأشعث
 و خاف عليه بعض تلك المآثم
 أ تصبر للبلوى عزاء و حسبة
 فتوَجِر أم تسلو سلو البهائم

[51]

وَ قَالَ ع فِي صِفَةِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا تَغْرُ وَ تَضُرُّ وَ تَمُرُّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا نَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ وَ لَا عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ قَدْ تَقَدَّمَ
لَنَا كَلَامٌ طَوِيلٌ فِي ذَمِّ الدُّنْيَا وَ مِنْ الكَلَامِ الْمُسْتَحْسَنِ قَوْلُهُ تَغْرُ وَ تَضُرُّ وَ تَمُرُّ وَ الكَلِمَةُ الثَّانِيَّةُ أَحْسَنُ وَ أَجْمَلُ . وَ

قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْآثَارِ أَنَّ عِيسَى ع مَرَّ بِقَرْيَةٍ وَ إِذَا أَهْلُهَا مَوْتَى فِي الطَّرِيقِ وَ الْأَفْنِيَةِ فَقَالَ لِلتَّلَامِذَةِ إِنْ هُوَ لَاءَ مَا تَوَا عَنْ
سَخَطَةٍ وَ لَوْ مَا تَوَا عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ لَتَدَافَنُوا فَقَالُوا يَا سَيِّدَنَا وَ دَدْنَا أَنَا عَلِمْنَا خَبْرَهُمْ فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ لَهُ إِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَنَادَهُمْ
بِجَبِّيوكَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَشْرَفَ عَلَى نَشْزِ ثَمَّ نَادَاهُمْ فَأَجَابَهُ مَجِيبٌ فَقَالَ مَا حَالُكُمْ وَ مَا قَصْتُمْ فَقَالَ بِنْتَانِي فِي عَافِيَةٍ وَ أَصْبَحْنَا
فِي الْهَآوِيَةِ قَالَ وَ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ لِحُبِّنَا الدُّنْيَا قَالَ كَيْفَ كَانَ حِكْمُ لَهَا قَالَ حُبِّ الصَّبِيِّ لِأُمِّهِ إِذَا أَقْبَلْتَ فَرِحَ بِهَا وَ إِذَا أَدْبَرْتَ
حَزَنَ عَلَيْهَا وَ بَكَى قَالَ فَمَا بَالُ أَصْحَابِكَ لَمْ يَجِيبُونِي قَالَ لِأَنَّهُمْ مَلْجَمُونَ بِلِجْمٍ مِنْ نَارِ بَأْيَدِي مَلَانِكَةٌ غَلَاظُ شَدَادٍ قَالَ فَكَيْفَ
أَجِيبْتَنِي أَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ قَالَ لِأَنِّي كُنْتُ فِيهِمْ وَ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ فَلَمَّا نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ أَصَابَنِي مَعَهُمْ فَأَنَا مَعْلُوقٌ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ لَا
أَدْرِي أَنْجُو مِنْهَا أَكْبَكِبُ فِيهَا فَقَالَ الْمَسِيحُ لِلتَّلَامِذَةِ لِأَكْلِ خَبْزِ الشَّعِيرِ بِالْمَلْحِ الْجَرِيشِ وَ لِبَسِّ الْمَسْوُوحِ وَ النَّوْمِ عَلَى الْمَزَابِلِ
وَ سَبَاحِ الْأَرْضِ فِي حَرِّ الصَّيْفِ كَثِيرٍ مَعَ الْعَافِيَةِ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ

وَ إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكِبَ بَيْنَنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا روي بيناهم حلول و بينا هي بين نفسها و وزنها فعلى
 أشبعت فتحة النون فصارت ألفا ثم قالوا بينما فزادوا ما و المعنى واحد تقول بينا نحن نفعل كذا جاء زيد أي بين أوقات
 فعلنا كذا جاء زيد و الجمل قد يضاف إليها أسماء الزمان نحو قولهم أتيتك زمن الحجاج أمير ثم حذفوا المضاف الذي هو
 أوقات و ولي الظرف الذي هو بين الجملة التي أقيمت مقام المحذوف . و كان الأصمعي يخفض بعد بينا إذا صلح في
 موضعه بين و ينشد قول أبي ذؤيب بالكسر

بيننا تعنقه الكمأة و روغه

يوما أتيح له جري سلفع

و غيره يرفع ما بعد بينا و بينما على الابتداء و الخبر فأما إذ و إذا فإن أكثر أهل العربية يمنعون من مجيئها بعد بينا و
 بينما و منهم من يجيزه و عليه جاء كلام أمير المؤمنين و أنشدوا

بينما الناس على عليائها

إذ هووا في هوة منها فغاروا

[53]

و قالت الحرقة بنت النعمان بن المنذر

و بينا نسوس الناس و الأمر أمرنا

إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

و قال الشاعر

أستقدر الله خيرا و أرضين به

فبينما العسر إذ دارت مياسير

و بينما المرء في الأحياء معتبط

إذ صار في اللحد تعفوه الأعاصير

و مما جاء في وصف الدنيا مما يناسب كلام أمير المؤمنين قول أبي العتاهية

إن دارا نحن فيها لدار

ليس فيها لمقيم قرار

كم و كم قد حلها من أناس

ذهب الليل بهم و النهار

فهم الريب قد أصابوا مناخا
فاسترحوا ساعة ثم ساروا
و كذا الدنيا على ما رأينا
يذهب الناس و تخلو الديار

وَ قَالَ ع لِابْنِهِ الْحَسَنِ ع يَا بُنَيَّ لَا تُخْلِفَنَّ وِرَاعَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تَخْلِفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةَ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ وَ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَ لَيْسَ أَحَدٌ هَدَيْنَ حَقِيقًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ قَالَ الرَّضِيُّ وَ يُرْوَى هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ وَ هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدَيْكَ بِدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ وَ هُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ وَ إِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ عَمِلَ فِيهَا جَمَعَتْهُ بِطَاعَةَ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ فِيهَا جَمَعَتْهُ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ وَ لَيْسَ أَحَدٌ هَدَيْنَ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ وَ لَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ وَ لِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ تَعَالَى رُوِيَ فَإِنَّكَ لَا تَخْلِفُهُ إِلَّا لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ وَ هَذَا الْفَصْلُ نَهَى عَنِ الْإِدْخَارِ وَ قَدْ سَبَقَ لَنَا فِيهِ كَلَامٌ مَقْتَعٌ . وَ خِلَاصَةُ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّكَ إِنْ خَلَفْتَ مَا لَا فِيمَا أَنْ تَخْلِفَهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةَ اللَّهِ أَوْ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِمَعْصِيَتِهِ فَالْأَوَّلُ يَسْعَدُ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ أَنْتَ وَ الثَّانِي يَكُونُ مَعَانَا

[55]

منك على المعصية بما تركته له من المال و كلا الأمرين مذموم و إنما قال له فارح لمن مضى رحمة الله و لمن بقي رزق الله لأنه قال في أول الكلام قد كان لهذا المال أهل قبلك و هو صائر إلى أهل بعدك . و الكلام في ذم الادخار و الجمع كثير و للشعراء فيه مذاهب واسعة و معان حسنة و قال بعضهم

يا جامعا مانعا و الدهر يرمقه
مدبرا أي يغلغه
و ناسيا كيف تأتيه منيته
أ غاديا أم بها يسري فتطرقه
جمعت مالا فقل لي هل جمعت له
يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه
ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة
أن الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه
و الوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق في ظلها هما يورقه

[56]

وَقَالَ ع لِقَائِهِ قَالَ بِحَضْرَتِهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَكَلُّمًا أَمْكَ أ تَدْرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ إِنَّ لِلْإِسْتِغْفَارِ دَرَجَةَ الْعَلِيِّينَ الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ
 وَ هُوَ اسْمٌ وَقَعَ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ أَوْلَاهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى وَ النَّثَامُ عَلَى تَرْكِ الْعُودِ إِلَيْهِ أَبَدًا وَ الثَّلَاثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى
 الْمَخْلُوقِينَ حُفُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَمَلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ وَ الرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَعَتْهَا فَتُؤَدِّيَ
 حَقَّهَا وَ الْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُدْبِيهِ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلصِقَ الْجُلْدَ بِالْعَظْمِ وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ
 جَدِيدٌ وَ السَّادِسُ أَنْ تُدْبِقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةَ كَمَا أَدْفَتَهُ حَلَاوَةَ الْمُعْصِيَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ

قد روي أن الاستغفار درجة العليين . فيكون على تقدير حذف مضاف أي أن درجة الاستغفار درجة العليين و على الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف أي أن لصاحب الاستغفار درجة العليين و هو هاهنا جمع على فعيل كضليل و خمير تقول هذا رجل علي أي كثير العلو و منه العلية للغرفة على إحدى اللغتين و لا يجوز أن يفسر بما فسر به الراوندي من قوله إنه اسم السماء السابعة و نحو قوله هو سدرة المنتهى و نحو قوله هو موضع تحت قائمة العرش اليمنى لأنه لو كان كذلك لكان

[57]

علما فلم تدخله اللام كما لا يقال الجهنم و كذلك أيضا لا يجوز تفسيره بما فسر به الراوندي أيضا قال العليين جمع علي الأمكنة في السماء لأنه لو كان كذلك لم يجمع بالنون لأنها تختص بمن يعقل و تصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيراً لقوله تعالى **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ** . قوله نبت على السحت أي على الحرام يقال سحت بالتسكين و سحت بالضم و أسحت الرجل في تجارته أي اكتسب السحت

فصل في الاستغفار و التوبة

و ينبغي أن نذكر في هذا الموضوع كلاما مختصرا مما يقوله أصحابنا في التوبة فإن كلام أمير المؤمنين هو الأصل الذي أخذ منه أصحابنا مقالتهم و الذي يقولونه في التوبة فقد أتى على جوامعه ع في هذا الفصل على اختصاره . قال أصحابنا الكلام في التوبة يقع من وجوه منها الكلام في ماهية التوبة و الكلام في إسقاطها الذم و العقاب و الكلام في أنه يجب علينا فعلها و الكلام في شرطها أما ماهية التوبة فهي الندم و العزم لأن التوبة هي الإنبابة و الرجوع و ليس يمكن أن يرجع الإنسان عما فعله إلا بالندم عليه و العزم على ترك معاودته و ما يتوب الإنسان منه إما أن يكون فعلا قبيحا و إما أن يكون إخلالا بواجب فالتوبة من الفعل القبيح هي أن يندم عليه و يعزم ألا يعود إلى مثله و عزمه على ذلك هو كراهيته لفعله و التوبة من الإخلال بالواجب هي أن يندم على إخلاله بالواجب

[58]

و يعزم على أداء الواجب فيما بعد فأما القول في أن التوبة تسقط العذاب فعندنا أن العقل يقتضي قبح العقاب بعد التوبة و خالف أكثر المرجئة في ذلك من الإمامية و غيرهم و احتج أصحابنا بقبح عقوبة المسيء إلينا بعد ندمه و اعتذاره و تنصله و العلم بصدقه و العلم بأنه عازم على ألا يعود . فأما القول في وجوب التوبة على العصاة فلا ريب أن الشرع يوجب ذلك فأما العقل فالقول فيه أنه لا يخلو المكلف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة أو يعلم أنها صغيرة أو يجوز فيها كلا الأمرين فإن علم كونها كبيرة و جب عليه في العقول التوبة منها لأن التوبة مزيله لضرر الكبيرة و إزالة المضار واجبة في العقول و إن جوز كونها كبيرة و جوز كونها صغيرة لزمه أيضا في العقل التوبة منها لأنه يأمن بالتوبة من مضرة مخوفة و فعل ما يؤمن من المضار المخوفة واجب و إن علم أن معصيته صغيرة و ذلك كمعاصي الأنبياء و كمن عصى ثم علم بإخبار نبي أن معصيته صغيرة محبطة فقد قال الشيخ أبو علي إن التوبة منها واجبة في العقول لأنه إن لم يتب كان مصرا و الإصرار قبيح . و قال الشيخ أبو هاشم لا تجب التوبة منها في العقل بالشرع لأن فيها مصلحة يعلمها الله تعالى قال إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب و من الإصرار عليه لأن الإصرار عليه هو العزم على معاودة مثله و التوبة منه أن يكره معاودة مثله مع الندم على ما مضى و يجوز أن يخلو الإنسان من العزم على الشيء و من كراهته . و مال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة هاهنا عقلا لدليل غير دليل أبي علي رحمه الله .

[59]

فأما القول في صفات التوبة و شروطها فإنها على ضربين أحدهما يعم كل توبة و الآخر يختلف بحسب اختلاف ما يتاب منه فالأول هو الندم و العزم على ترك المعاودة . و أما الضرب الثاني فهو أن ما يتوب منه المكلف إما أن يكون فعلا أو إخلالا بواجب فإن كان فعلا قبيحا و جب عند الشيخ أبي هاشم رحمه الله أن يندم عليه لأنه فعل قبيح و أن يكره معاودة مثله لأنه قبيح و إن كان إخلالا بواجب و جب عليه عنده أن يندم عليه لأنه إخلال بواجب و أن يعزم على فعل مثل ما أخل به لأنه واجب فإن ندم خوف النار فقط أو شوقا إلى الجنة فقط أو لأن القبيح الذي فعله يضر ببدنه كانت توبته صحيحة و إن ندم على القبيح لقبحه و لخوف النار و كان لو انفرد قبحه ندم عليه فإن توبته تكون صحيحة و إن كان لو انفرد القبح لم يندم عليه فإنه لا تكون توبته صحيحة عنده و الخلاف فيه مع الشيخ أبي علي و غيره من الشيوخ رحمهم الله و إنما اختار أبو

هاشم هذا القول لأن التوبة تجري مجرى الاعتذار بيننا و معلوم أن الواحد منا لو أساء إلى غيره ثم ندم على إساءته إليه و اعتذر منها خوفا من معاقبته له عليها أو من معاقبة السلطان حتى لو أمن العقوبة لما اعتذر و لا ندم بل كان يواصل الإساءة فإنه لا يسقط ذمه فذلك التوبة خوف النار لا لقبح الفعل . و قد نقل قاضي القضاة هذا المذهب عن أمير المؤمنين ع و الحسن البصري و علي بن موسى الرضا و القاسم بن إبراهيم الزينبي . قال أصحابنا و للتوبة شروط آخر تختلف بحسب اختلاف المعاصي و ذلك أن

[60]

ما يتوب منه المكلف إما أن يكون فيه لآدمي حق أو لا حق فيه لآدمي فما ليس للآدمي فيه حق فنحو ترك الصلاة فإنه لا يجب فيه إلا الندم و العزم على ما قدمنا و ما لآدمي فيه حق على ضربين أحدهما أن يكون جنائية عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله أو دينه و الآخر ألا يكون جنائية عليه في شيء من ذلك فما كان جنائية عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله فالواجب فيه الندم و العزم و أن يشرع في تسليم بدل ما أتلّف فإن لم يتمكن من ذلك لفقر أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب و إن جنى عليه في دينه بأن يكون قد أضله بشبهة استزله بها فالواجب عليه مع الندم العزم و الاجتهاد في حل شبهته من نفسه فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن فإن مات قبل التمكن أو تمكن منه و اجتهد في حل الشبهة فلم تنحل من نفس ذلك الضال فلا عقاب عليه لأنه قد استفرغ جهده فإن كانت المعصية غير جنائية نحو أن يعتابه أو يسمع غيبته فإنه يلزمه الندم و العزم و لا يلزمه أن يستحله أو يعتذر إليه لأنه ليس يلزمه أرس لمن اعتابه فيستحله ليسقط عنه الأرش و لا غمه فيزيل غمه بالاعتذار و في ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمه منها إدخال غم عليه فلم يجز ذلك فإن كان قد أسمع المغتاب غيبته فذلك جنائية عليه لأنه قد أوصل إليه مضرة الغم فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار

[61]

وَقَالَ عِ الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ كَانَ يُقَالُ الْحِلْمُ جُنُودٌ مَجْنُودَةٌ لَا أَرْزَاقَ لَهَا . وَ

قَالَ عِ وَجَدْتُ الْإِحْتِمَالَ أَنْصُرَ لِي مِنَ الرِّجَالِ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ

وَ لِلْكَفِّ عَنِ الشَّتْمِ اللَّيْمِ تَكْرِمًا

أَضْرَ لَهْ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يَشْتَمُ

وَ كَانَ يُقَالُ مِنْ غَرَسَ شَجْرَةَ الْحِلْمِ اجْتَنَى ثَمْرَةَ السَّلْمِ . وَ قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ فِي الْحِلْمِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ

وَقَالَ ع : مَسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ مَكْنُومٌ الْأَجَلِ مَكْنُونُ الْعَلْلِ مَحْفُوظٌ الْعَمَلِ تَوْلِمُهُ الْبَقَّةُ وَ تَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَ تَنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ قَدْ تَقْدَمُ
 هَاهُنَا خَيْرُ الْمَبْتَدِإِ عَلَيْهِ وَ التَّقْدِيرُ ابْنُ آدَمَ مَسْكِينٌ ثُمَّ بَيْنَ مَسْكِنَتِهِ مِنْ أَيْنَ هِيَ فَقَالَ إِنَّهَا مِنْ سِتَّةِ أَوْجِهٍ أَجْلُهُ مَكْتُومٌ لَا يَدْرِي
 مَتَى يَخْتَرِمُ وَ عِلُّهُ بَاطِنَةٌ لَا يَدْرِي بِهَا حَتَّى تَهِيَجَ عَلَيْهِ وَ عَمَلُهُ مَحْفُوظٌ مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا
 أَحْصَاهَا وَ قَرَصَ الْبَقَّةُ يَوْلِمُهُ وَ الشَّرْقَةُ بِالْمَاءِ تَقْتُلُهُ وَ إِذَا عَرِقَ أَنْتَنَتِ الْعَرْقَةُ الْوَاحِدَةُ وَ غَيْرَتَ رِيحُهُ فَمَنْ هُوَ عَلَى هَذِهِ
 الصِّفَاتِ فَهُوَ مَسْكِينٌ لَا مَحَالَةَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْمَنَ وَ لَا أَنْ يَفْخَرَ

و يُرَوَى رُوِيَ أَنَّهُ ع كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ إِذْ مَرَّتْ فَمَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ ع إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ
 الْفُحُولِ طَوَامِحٌ وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ هَبَابُهَا فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلْمَسْ أَهْلَهُ فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَاتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ
 مِنَ الْخَوَارِجِ قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهُهُ قَالَ فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ ع رُوَيْدًا إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ تَقُولُ هَب
 الْفَحْلُ وَالتَّيْسُ يَهَبُ بِالْكَسْرِ هَبِيًّا أَوْ هَبَابًا إِذَا هَاجَ لِلضَّرَابِ أَوْ لِلْفَسَادِ وَالهَبَابُ أَيْضًا صَوْتُ وَالتَّيْسُ إِذَا هَبَ فَهُوَ مَهَبَابٌ وَ
 قَدْ هَبَّهتَهُ أَيْ دَعَوْتَهُ لِيَنْزُو فَتَهَبُّهُ أَي تَزْعُرُ . وَ سَأَلَنِي صَدِيقُنَا عَلِيُّ بْنُ الْبَطْرِيقِ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَقَالَ مَا بَالَهُ عَفَا عَنِ
 الْخَارِجِيِّ وَ قَدْ طَعَنَ فِيهِ بِالْكَفْرِ وَ أَنْكَرَ عَلَى الْأَشْعَثِ قَوْلَهُ هَذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ فَقَالَ

[64]

مَا يَدْرِيكَ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ مَا عَلِيٌّ مِمَّا لِي حَانَكَ ابْنُ حَانَكَ مَنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ وَ مَا وَاجِهَهُ بِهِ الْخَارِجِيُّ أَفْطَعُ مِمَّا وَاجِهَهُ الْأَشْعَثُ
 فَقُلْتُ لَا أَدْرِي . قَالَ لِأَنَّ كُلَّ صَاحِبِ فَضِيلَةٍ يَعْظُمُ عَلَيْهِ أَنْ يَطْعَنَ فِي فَضِيلَتِهِ تِلْكَ وَ يَدْعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ فِيهَا نَاقِصٌ وَ كَانَ عَلِيُّ ع
 بَيْتَ الْعِلْمِ فَلَمَّا طَعَنَ فِيهِ الْأَشْعَثُ طَعَنَ بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَلَيْكَ مِمَّا لَكَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَ امْتَعَضَ مِنْهُ وَ جَبَّهَهُ وَ لَعَنَهُ وَ أَمَا
 الْخَارِجِيُّ فَلَمْ يَطْعَنَ فِي عِلْمِهِ بَلْ أَثْبَتَهُ لَهُ وَ اعْتَرَفَ بِهِ وَ تَعَجَّبَ مِنْهُ فَقَالَ قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهُهُ فَاعْتَفَرَ لَهُ لَفْظَةَ كَافِرٍ بِمَا
 اعْتَرَفَ لَهُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ طَبَقَتِهِ فِي الْفَقْهِ وَ لَمْ يَخْشَنَ عَلَيْهِ خَشُونَتَهُ عَلَى الْأَشْعَثِ وَ كَانَ قَدْ مَرَّنَ عَلَى سَمَاعِ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَنَّكَ
 كَافِرٌ وَ قَدْ كَفَرْتَ يَعْنُونَ التَّحْكِيمَ فَلَمْ يَحْفَلْ بِتِلْكَ اللَّفْظَةِ وَ نَهَى أَصْحَابَهُ عَنِ قَتْلِهِ مَحَافِظَةً وَ رِعَايَةً لَهُ عَلَى مَا مَدَحَهُ بِهِ

[65]

وَقَالَ ع : كَفَّاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ عَيْكَ مِنْ رُشْدِكَ يَقُولُ ع كَفَى الْإِنْسَانَ مِنْ عَقْلِهِ مَا يَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْغَيِّ وَالرُّشَادِ
وَبَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْبَاطِلِ فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَتِمُّ تَكْلِيفُهُ وَلا حَاجَةَ فِي التَّكْلِيفِ وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْغَيِّ وَالرُّشَادِ إِلَى زِيَادَةِ عِلْمِهِ ذَلِكَ
نَحْوَ التَّجَارِبِ الَّتِي تَفِيدُهُ الْحَزْمَ التَّامَ وَمَعْرِفَةَ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا وَ أَيْضًا لا حَاجَةَ لَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْفِطْنَةِ الثَّاقِبَةِ
وَالذُّكَاةِ التَّامِ مَا يَسْتَتَبُّ بِهِ دِقَاقِقَ الْكَلَامِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْعُلُومِ الْغَامِضَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَضْلٌ مُسْتَعْنَى عَنْهُ فَإِنْ
حَصَلَ لِلْإِنْسَانِ فَقْدُ كَمَلٍ وَ إِنْ لَمْ يَحْصَلْ لِلْإِنْسَانِ فَقْدُ كِفَاةٍ فِي تَكْلِيفِهِ وَ نَجَاتِهِ مِنْ مَعَاطِبِ الْعَصِيَانِ مَا يَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْغَيِّ وَ
الرُّشَادِ وَ هُوَ حَصُولُ الْعُلُومِ الْبَدِيعِيَّةِ فِي الْقَلْبِ وَ مَا جَرَى مَجْرَاهَا مِنْ عُلُومِ الْعَادَاتِ وَ مَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُنَا فِي بَابِ التَّكْلِيفِ

وَقَالَ ع : اَفْعَلُوا الْخَيْرَ وَ لَا تَحْفَرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَ قَلِيلُهُ كَثِيرٌ وَ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونُ وَ اللَّهُ كَذَلِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ عَدَمِ الْخَيْرِ أَصْلًا . قَالَ ع لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ فُلَانًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونُ وَ اللَّهُ كَذَلِكَ مِثَالُهُ قَوْمٌ مُوسِرُونَ فِي مَحَلَّةٍ وَاحِدَةٍ قَصْدٌ وَاحِدًا مِنْهُمْ سَائِلٌ فَرَدَّهُ وَ قَالَ لَهُ اذْهَبْ إِلَى فُلَانٍ فَهُوَ أَوْلَى بِأَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْكَ مِنِّي فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تَقَالُ دَائِمًا نَهَى ع عَنْ قَوْلِهَا وَ قَالَ فَيَكُونُ وَ اللَّهُ كَذَلِكَ أَيَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يُوَفِّقُ ذَلِكَ الشَّخْصَ الَّذِي أَحْيَلُ ذَلِكَ السَّائِلَ عَلَيْهِ وَ يَيْسِرُ الصَّدَقَةَ عَلَيْهِ وَ يَقْوِي دَوَاعِيَهُ إِلَيْهَا فَيَفْعَلُهَا فَتَكُونُ كَلِمَةً ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ قَدْ صَادَفَتْ قَدْرًا وَ قَضَاءً وَ وَقَعَ الْأَمْرُ بِمُوجِبِهَا

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللِّئْسَرِ أَهْلًا فَمَهْمَا تَرَكَتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَأَكُمُوهُ أَهْلُهُ يَقُولُ عَ إِذْ عَنِ لِكَ بَابِ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَتَرَكَتَهُ فَسَوْفَ يَكْفِيكَ
بَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلًا لِلْخَيْرِ وَإِسْدَاءَ الْمَعْرُوفِ إِلَى النَّاسِ وَ إِذْ عَنِ لِكَ بَابِ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ فَتَرَكَتَهُ فَسَوْفَ
يَكْفِيكَ بَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلْتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَ سَوْءَ اخْتِيَارِهِمْ أَهْلًا لِلشَّرِّ وَ أَذَى النَّاسِ فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَيَّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ تَحْظِيَ
بِالْمَحْمُودَةِ وَ الثَّوَابِ وَ تَفْعَلْ مَا إِذْ تَرَكَتَهُ فَعَلَهُ غَيْرِكَ وَ حَظِيَ بِحَمْدِهِ وَ ثَوَابِهِ أَوْ أَنْ تَتْرَكَهُ وَ أَيَّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ تَتَشَقَّى بِالذَّمِّ
عَاجِلًا وَ الْعِقَابِ آجِلًا وَ تَفْعَلْ مَا إِذْ تَرَكَتَهُ كَفَاكَهُ غَيْرِكَ وَ بَلَغْتَ غَرَضَكَ مِنْهُ عَلَى يَدِ غَيْرِكَ أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ وَ لَا رَيْبَ أَنَّ الْعَاقِلَ
يَخْتَارُ فِعْلَ الْخَيْرِ وَ تَرَكَ الشَّرِّ إِذَا أَفْكَرَ حَقَّ الْفِكْرِ فِيمَا قَدْ أَوْضَحْنَاهُ

وَقَالَ ع : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ لَا رَيْبَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ تَبِعَ لِلْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ فَمَنْ صَلَحَ بَاطِنَهُ صَلَحَ ظَاهِرُهُ وَبِالْعَكْسِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَلْبَ أَمِيرَ مَسْلُطٍ عَلَى الْجَوَارِحِ وَالرَّعِيَّةِ تَتَّبِعُ أَمِيرَهَا وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَقَدْ شَهِدَ بِذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** . وَهَذَا أَيْضًا عِلَّةُ ظَاهِرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ عَمِلَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَلِلدِّينِ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى حَالُهُ فِي أَكْثَرِ الْأُمُورِ عَنِ النَّاسِ وَلَا شَبْهَةٌ أَنَّ النَّاسَ إِذَا حَسَنَتْ عَقِيدَتَهُمْ فِي إِنْسَانٍ وَعَلِمُوا مَتَانَةَ دِينِهِ بَوَّبُوا لَهُ إِلَى الدُّنْيَا أَبْوَابًا لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَتَكَلَّفَهَا وَلَا يَتَعَبُ فِيهَا فَيَأْتِيهِ رِزْقُهُ مِنْ غَيْرِ كَلْفَةٍ وَلَا كَدٍ وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُلُوبَ بِالضَّرُورَةِ تَمِيلُ إِلَيْهِ وَتُحِبُّهُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مُحْسِنًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ عَفَى عَنِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَتَرَكَ الدُّخُولَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ وَلَا شَبْهَةٌ أَنَّ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَإِنَّهُ يَحْسُنُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ

وَقَالَ ع : أَلْحَلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ وَ الْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ فَاسْتُرَّ خَلْلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ وَ قَاتَلَ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ الْحِلْمَ غِطَاءً وَ

العقل حساما أمره أن يستر خلل خلقه بذلك الغطاء و أن يقاتل هواه بذلك الحسام و قد سبق القول في الحلم و العقل

[70]

وَ قَالَ ع : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ اللَّهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيَقْرَهُهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَّلُوها فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ قَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِيمَا تَقَدَّمَ وَ قَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِيهِ فَأَكْثَرُوا وَ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ

وَ بِالنَّاسِ عَاشِ النَّاسِ قَدَمَا وَ لَمْ يَزَلْ
مِنَ النَّاسِ مَرْغُوبٍ إِلَيْهِ وَ رَاغِبٍ

وَ أَشَدُّ تَصْرِيحًا بِالْمَعْنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ

لَمْ يَعْطِكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ نِعَمٍ
إِلَّا لِتُوسِعَ مِنْ يَرْجُوكَ إِحْسَانًا
فَإِنْ مَنَعْتَ فَأَخْلُقْ أَنْ تَصَادَفَهَا
تَطِيرُ عَنْكَ زُرَافَاتٌ وَ وَحْدَانَا

وَ قَالَ ع : لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَّقَ بِخَصْلَتَيْنِ الْعَافِيَةَ وَ الْغِنَى بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافَى إِذْ سَقَمَ وَ بَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذْ ائْتَقَرَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَ قَالَ الشَّاعِرُ

وَ بَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْتَبِطٌ
إِذْ صَارَ فِي اللَّحْدِ تَسْفِيهِهِ الْأَعَاصِيرُ

وَ قَالَ آخِرُ

لَا يَغْرُنُكَ عِشَاءُ سَاكِنٍ
قَدْ يُوَافِي بِالْمَنْبِيَّاتِ السَّحَرُ

وَ قَالَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ

وَ إِذَا مَا أَعَارَكَ الدَّهْرُ شَيْئًا
فَهُوَ لَا يَدَّ أَخْذًا مَا أَعَارَا

آخِرُ

يَغْرُ الْفَتَى مَرَّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً
وَ هُنَّ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَاطِرُ

وَ قَالَ آخِرُ

وَ رَبُّ غَنِيٍّ عَظِيمِ الثَّرَاءِ
أَمْسَى مَقْلًا عَدِيمًا فَقِيرًا
وَ كَمْ بَاتَ مِنْ مَتْرَفٍ فِي الْقُصُورِ
فَعَوَّضَ فِي الصَّبْحِ عَنْهَا الْقُبُورَا

وَ قَالَ ع : مَنْ شَكَأَ الْحَاجَّةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهَا شَكَأَتْهُ شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ وَ مَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّهَا شَكَأَ اللَّهَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي

شكوى الحال و كراهيتها و كلام أمير المؤمنين ع يدل على أنه لا يكره شكوى الحال إلى المؤمن و يكرهها إلى غير المؤمن و هذا مذهب ديني غير المذهب العرفي . و أكثر مذاهبه و مقاصده ع في كلامه ينحو فيها نحو الدين و الورع و الإسلام و كأنه يجعل الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه لأنه لا يشكو إلى المؤمن إلا و قد خلت شكواه من التسخط و التأفف و لا يشكو إلى الكافر إلا و قد شاب شكواه بالاستزادة و التضجر فافتقرت الحال في الموضوعين . فأما المذهب المشهور في العرف و العادة فاستهجان الشكوى على الإطلاق لأنها دليل على ضعف النفس و خذلاتها و قلة الصبر على حوادث الدهر و ذلك عندهم غير محمود

وَ قَالَ ع فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللَّهَ صِيَامَهُ وَ شَكَرَ قِيَامَهُ وَ كُلُّ يَوْمٍ لَا نَعَصِي اللَّهَ يُعَصِي اللَّهَ فِيهِ فَهُوَ يَوْمٌ
عِيدٌ الْمَعْنَى ظَاهِرٌ وَ قَدْ نَقَلَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ إِلَى الْغَزَلِ فَقَالَ

قالوا أتى العيد قلت أهلا
إن جاء بالوصل فهو عيد
من ظفرت بالمنى يداه
فكل أيامه سعود

و رأيت بعض الصوفية و قد سمع هذين البيتين من مغن حاذق فطرب و صفق و أخذهما لمعنى عنده . و قد قال بعض
المحدثين في هذا المعنى أيضا

قالوا أتى العيد و الأيام مشرقة
و أنت تبكي و كل الناس مسرور
فقلت إن واصل الأحباب كان لنا
عيدا و إلا فهذا اليوم عاشور

وَ قَالَ ع : إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسْرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَوَرَّثَهُ رَجُلًا فَوَرَّثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَ دَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ كَانَ يُقَالُ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ السَّعِيدِ ابْنِ الشَّقِيِّ وَ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ مَلَكَ ضِيَاعًا كَثِيرَةً بِمِصْرَ وَ الشَّامَ وَ الْعِرَاقَ وَ الْمَدِينَةَ مِنْ غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ بَلْ بِسُلْطَانِ أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَ بَوْلَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَفْسَهُ مِصْرَ وَ غَيْرَهَا ثُمَّ تَرَكَهَا لِابْنِهِ عَمْرٍ فَكَانَ يَنْفِقُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ فِي وَجْهِ الْبِرِّ وَ الْقُرْبَاتِ إِلَى أَنْ أَفْضَتِ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيْهِ أَخْرَجَ سَجَلَاتِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِهَا لِعَبْدِ الْعَزِيزِ فَمَزَقَهَا بِمَحْضَرٍ مِنَ النَّاسِ وَ قَالَ هَذِهِ كَتَبْتُ مِنْ غَيْرِ أَصْلِ شَرْعِي وَ قَدْ أَعَدْتَهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ

[75]

وَقَالَ ع : إِنَّ أَحْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً وَ أَخْيَبَهُمْ سَعِيًّا رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ آمَالِهِ مَالِهِ وَ لَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ
فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ وَ قَدِمَ عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ هَذِهِ صُورَةٌ أَكْثَرُ النَّاسِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَكْدُ بَدَنَهُ وَ نَفْسَهُ فِي بُلُوغِ
الْأَمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ الْقَلِيلُ مِنْهُمْ مَنْ تَسَاعَدَ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ وَ إِنْ سَاعَدَتْهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَقِيَ فِي نَفْسِهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ كَمَا
قِيلَ

نروح و نغدو لحاجاتنا

و حاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته

و تبقى له حاجة ما بقي

فأكثرهم إذن يخرج من الدنيا بحسرتة و يقدم على الآخرة بتبعته لأن تلك الآمال التي كانت الحركة و السعي فيها ليست
متعلقة بأمور الدين و الآخرة لا جرم أنها تبعات و عقوبات و نسأل الله عفوه

وَقَالَ ع : الرَّزْقُ رِزْقَانِ طَالِبٌ وَ مَطْلُوبٌ فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَ الْمَوْتَ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا وَ مَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ مِنْهَا هَذَا تَحْرِيزٌ عَلَى طَلَبِ الآخِرَةِ وَ وَعَدَ لِمَنْ طَلَبَهَا بِأَنَّهُ سَيَكْفِي طَلَبَ الدُّنْيَا وَ إِنْ الدُّنْيَا سَطَلَتْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا . وَ قَدْ قِيلَ مِثْلَ الدُّنْيَا مِثْلَ ذَلِكَ كَلِمَا طَلَبْتَهُ بَعْدَ عَنكَ فَإِنْ أَدْبَرْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ

وَقَالَ ع : مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ وَ لَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ وَ لَا لِيَفْتَحَ عَلَيْهِ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الشُّكْرِ وَ اقْتِضَانَهُ الزِّيَادَةَ وَ اقْتِضَاءَ الدُّعَاءِ الْإِجَابَةَ وَ التَّوْبَةَ الْمَغْفِرَةَ عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِقْصَاءِ فِي الْجَمِيعِ

وَقَالَ ع : أَوْلَى النَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عَرَفَتْ عُرْفَتْ فِيهِ الْكِرَامُ أَعْرَقَتْ وَ عَرَقَتْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى أَي ضَرَبَتْ عُرُوقَهُ فِي الْكَرَمِ أَي لَهُ سَلْفٌ وَ آبَاءُ كِرَامٍ وَ قَالَ الْمَبْرَدُ أَنْشَدَنِي أَبُو مُحَلِّمٍ السَّعْدِيُّ

إِنَّا سَأَلْنَا قَوْمَنَا فَخِيَارَهُمْ
مَنْ كَانَ أَفْضَلَهُمْ أَبُوهُ الْأَفْضَلُ
أَعْطَى الَّذِي أَعْطَى أَبُوهُ قَبْلَهُ
وَ تَبَخَّلْتَ أَبْنَاءَ مَنْ يَتَبَخَّلُ

قال و أنشدني أيضا في المعنى

لَطَلْحَةَ بْنِ خَثِيمٍ حِينَ تَسْأَلُهُ
أَنْدَى وَ أَكْرَمٌ مِنْ فَنْدِ بْنِ هَطَالٍ
وَ بَيْتِ طَلْحَةَ فِي عِزٍّ وَ مَكْرَمَةٍ
وَ بَيْتِ فَنْدٍ إِلَى رَبِيقٍ وَ أَحْمَالٍ
أَلَا فَتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ يَحْمَلُنِي
وَ لَيْسَ يَحْمَلُنِي إِلَّا ابْنُ حِمَالٍ
فَقُلْتُ طَلْحَةَ أَوْلَى مِنْ عَمَدَتِ لَهُ
وَ جِنْتِ أَمْشِي إِلَيْهِ مَشِي مَخْتَالٍ
مَسْتَيْقِنَا أَنْ حَبْلِي سَوْفَ يَعْطِقُهُ
فِي رَأْسِ ذِيَالَةٍ أَوْ رَأْسِ ذِيَالٍ

[84]

و قال آخر

عِنْدَ الْمَلُوكِ مُضْرَةٌ وَ مَنَافِعُ
وَ أَرَى الْبِرَامِكُ لَا تَضُرُّ وَ تَنْفَعُ
إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَ بِهَا الثَّرَى
أَثْرَى النَّبَاتِ بِهَا وَ طَابَ الْمَرْزَعُ
وَ إِذَا جَهَلْتَ مِنْ أَمْرِئِ أَعْرَاقِهِ
وَ قَدِيمِهِ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

و قال آخر

إن السري إذا سرى فبنفسه
و ابن السري إذا سرى أسراهما

وقال البخاري

و أرى النجابة لا يكون تمامها
لنجيب قوم ليس بابن نجيب

وَ سُنِلَ عَ أَيَّمَا أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْعَدْلُ أَوْ الْجُودُ فَقَالَ الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَ الْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا وَ الْعَدْلُ سَائِسٌ
 عَامٌّ وَ الْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَ أَفْضَلُهُمَا هَذَا كَلَامَ شَرِيفِ جَلِيلِ الْقَدْرِ فَضَّلَ عَ الْعَدْلِ بِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ الْعَدْلَ
 وَضَعَ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَ هَكَذَا الْعَدَالَةُ فِي الْإِصْطِلَاحِ الْحَكْمِيِّ لِأَنَّهَا الْمَرْتَبَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ بَيْنَ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَ التَّفْرِيطِ وَ
 الْجُودَ يُخْرِجُ الْأُمْرَ مِنْ مَوْضِعِهِ وَ الْمَرَادُ بِالْجُودِ هَاهُنَا هُوَ الْجُودُ الْعَرْفِيُّ وَ هُوَ بِذَلِكَ الْمُقْتَنِيَاتِ لِلْغَيْرِ لَا الْجُودَ الْحَقِيقِي لِأَنَّ
 الْجُودَ الْحَقِيقِي لَيْسَ يُخْرِجُ الْأُمْرَ مِنْ جِهَتِهِ نَحْوَ جُودِ الْبَارِئِ تَعَالَى . وَ الْوَجْهَ الثَّانِي أَنَّ الْعَدْلَ سَائِسَ عَامًّا فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ
 الدِّينِيَّةِ وَ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ بِهِ نِظَامُ الْعَالَمِ وَ قَوَامُ الْوُجُودِ وَ أَمَّا الْجُودُ فَأَمْرٌ عَارِضٌ خَاصٌّ لَيْسَ عَمُومٌ نَفْعُهُ كَعَمُومِ نَفْعِ الْعَدْلِ

وَقَالَ ع : النَّاسُ أُعْدَاءُ مَا جَهِلُوا هَذِهِ مِنْ أَلْفَاظِهِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا وَ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَ ذَكَرَ مَا يَنَاسِبُهَا وَ كَانَ يُقَالُ
مِنْ جَهْلٍ شَيْئًا عَادَاهُ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ

جهلت أمرا فأبديت النكير له
و الجاهلون لأهل العلم أعداء

و قيل لأفلاطون لم يبغض الجاهل العالم و لا يبغض العالم الجاهل فقال لأن الجاهل يستشعر النقص في نفسه و يظن أن
العالم يحتقره و يزدريه فيبغضه و العالم لا نقص عنده و لا يظن أن الجاهل يحتقره فليس عنده سبب لبغض الجاهل

وَقَالَ ع : الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَمَنْ لَمْ يَأْسَ
عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَيْنِ الْمَعْنِيَيْنِ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ

وَ قَالَ ع : أَلْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ أَي تَعْرِفُ الرِّجَالَ بِهَا كَمَا تَعْرِفُ الْخَيْلَ بِالْمُضْمَارِ وَ هُوَ الْمَوْضِعُ أَوْ الْمُدَّةُ الَّتِي تَضْمُرُ فِيهَا الْخَيْلَ فَمَنْ الْوَلَاةُ مَنْ يَظْهَرُ مِنْهُ أَخْلَاقٌ حَمِيدَةٌ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَظْهَرُ مِنْهُ أَخْلَاقٌ ذَمِيمَةٌ وَ قَالَ الشَّاعِرُ

سكرات خمس إذا مني المرء
بها صار عرضة للزمان
سكرة المال و الحداثة و العشق
و سكر الشراب و السلطان

و قال آخر

يا ابن وهب و المرء في دولة السلطان
أعمى ما دام يدعى أميراً
فإذا زالت الولاية عنه
و استوى بالرجال عاد بصيرا

و قال البحري

و تاه سعيد أن أعير رئاسة
و قلد أمرا كان دون رجاله
و ضاق على حقي بعقب اتساعه
فأوسعته عذرا لضيق احتماله
فأدبر عني عند إقبال حظه
و غير حالي عنده حسن حاله
فليت أبا عثمان أمسك تيهه
كإمساكه عند الحقوق بماله

وَ قَالَ ع : مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَرَائِمِ الْيَوْمِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ قَدْ سَبَقَتْ وَ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا وَ مَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمُعَرِّي

ما قضى الحاجات إلا شمل

نومه فوق فراش من نمال

وَ قَالَ الرُّضِي رَحِمَهُ اللَّهُ

عليها أخامس مثل الصقور

طوال الرجاء جسام الأرب

و كل فتى حظ أجفانه

من النوم مضمضة يستلب

فبيننا يقال كرى جفنه

بقطع من الليل إذ قيل هب

وَ قَالَ ع : أَلْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ أَي تَعْرِفُ الرِّجَالَ بِهَا كَمَا تَعْرِفُ الْخَيْلَ بِالْمُضْمَارِ وَ هُوَ الْمَوْضِعُ أَوْ الْمُدَّةُ الَّتِي تَضْمُرُ فِيهَا الْخَيْلَ فَمَنْ الْوَلَاةُ مَنْ يَظْهَرُ مِنْهُ أَخْلَاقٌ حَمِيدَةٌ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَظْهَرُ مِنْهُ أَخْلَاقٌ ذَمِيمَةٌ وَ قَالَ الشَّاعِرُ

سكرات خمس إذا مني المرء
بها صار عرضة للزمان
سكرة المال و الحداثة و العشق
و سكر الشراب و السلطان

و قال آخر

يا ابن وهب و المرء في دولة السلطان
أعمى ما دام يدعى أميراً
فإذا زالت الولاية عنه
و استوى بالرجال عاد بصيرا

و قال البحري

و تاه سعيد أن أعير رئاسة
و قلد أمرا كان دون رجاله
و ضاق على حقي بعقب اتساعه
فأوسعته عذرا لضيق احتماله
فأدبر عني عند إقبال حظه
و غير حالي عنده حسن حاله
فليت أبا عثمان أمسك تيهه
كإمساكه عند الحقوق بماله

وَ قَالَ ع : مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَرَائِمِ الْيَوْمِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ قَدْ سَبَقَتْ وَ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا وَ مَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمُعَرِّي

ما قضى الحاجات إلا شمل

نومه فوق فراش من نمال

وَ قَالَ الرُّضِي رَحِمَهُ اللَّهُ

عليها أخامس مثل الصقور

طوال الرجاء جسام الأرب

و كل فتى حظ أجفانه

من النوم مضمضة يستلب

فبيننا يقال كرى جفنه

بقطع من الليل إذ قيل هب

وَ قَالَ ع : لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ هَذَا الْمَعْنَى قَدْ قِيلَ كَثِيرًا وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ

لا يصدفك عن أمر تحاوله

فراق أهل و أحباب و جيران

تلقى بكل ديار ما حللت بها

أهلا بأهل و أوطانا بأوطان

وَ قَالَ شَيْخِي أَبُو جَعْفَرٍ يَحْيَى بْنُ أَبِي زَيْدٍ نَقِيبَ الْبَصْرَةِ

أنسيتني بلدي و أرض عشيرتي

و نزلت من نعماك أكرم منزل

و أخذت فيك مدائحي فكأنها

في آل شماس مدائح جرول

أبو عبادة البحتري

في نعمة أوطأتها و أقمت في

أكنافها فكأنني في منبج

وَ مِنْبَجُ هِيَ مَدِينَةُ الْبَحْتَرِيِّ أَبُو تَمَامٍ

كل شعب كنتم به آل و هب

فهو شعبي و شعب كل أديب

[91]

إن قلبي لكم لكالكبد الحرى

و قلبي لغيركم كالقلوب

وَ قَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى غَيْرِ هَذَا الْمَذْهَبِ فَجَعَلُوا بَعْضَ الْبِلَادِ أَحَقَّ بِالْإِنْسَانِ مِنْ بَعْضِ وَ هُوَ الْوَطْنُ الْأَوَّلُ وَ مَسْقُطُ

الرَّأْسِ قَالَ الشَّاعِرُ

أحب بلاد الله ما بين منبج

إلي و سلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها نيطت علي تمانمي

و أول أرض مس جلدي ترابها

و كان يقال ميلك إلى مولدك من كرم محتدك . و قال ابن عباس لو وقع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم لما اشتكى أحد الرزق . و كان يقال كما أن لحاضنتك حق لبنها فلأرضك حرمة وطنها . و كانت العرب تقول حماك أحمى لك و أهلك أحفى بك . و قال الشاعر

و كنا ألفناها و لم تك مألفا

و قد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

كما تؤلف الأرض التي لم يطب بها

هواء و لا ماء و لكنها وطن

أعرابي رملة حضنتني أحشاؤها و أرضعتني أحساؤها . كانت العرب إذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه و تطرحه في الماء إذا شربته و كذلك كانت فلاسفة يونان تفعل . و قال الشاعر في هذا المعنى

نسير على علم بكنه مسيرنا

بعفة زاد في بطون المزاود

[92]

و لا بد في أسفارنا من قبضة

من التراب نسقاها لحب الموالد

و قالت الهند حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك كان غذاؤك منهما و أنت جنين و كان غذاؤهما منك . و من الكلام القديم لو لا الوطن و حبه لخرت بلد السوء . ابن الرومي

و حبيب أوطان الرجال إليهم

مأرب قضاها الشباب هنالك

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم

عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

[93]

وَقَالَ ع وَ قَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْأَشْتَرِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَالِكٌ وَ مَا مَالِكٌ وَ اللَّهُ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا أَوْ لَوْ كَانَ حَجْرًا لَكَانَ صَلْدًا لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ وَ لَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ قَالَ الرضِي رحمه الله تعالى الفند المنفرد من الجبال يقال إن الرضي ختم كتاب نهج البلاغة بهذا الفصل و كتبت به نسخ متعددة ثم زاد عليه إلى أن وفي الزيادات التي نذكرها فيما بعد . و قد تقدم ذكر الأستر و إنما قال لو كان جبلا لكان فندا لأن الفند قطعة الجبل طولا و ليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت و لذلك قال لا يرتقيه الحافر لأن القطعة المأخوذة من الجبل طولا في دقة لا سبيل للحافر إلى صعودها و لو أخذت عرضا لأمكن صعودها . ثم وصف تلك القطعة بالعلو العظيم فقال و لا يوفي عليه الطائر أي لا يصعد عليه يقال أوفى فلان على الجبل أشرف

وَ قَالَ ع : قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوءٍ مِنْهُ هَذَا كَلَامٌ يَخَاطَبُ بِهِ أَهْلَ الْعِبَادَاتِ وَالصَّلَاةِ قَالَ قَلِيلٌ مِنَ النَّوَافِلِ يَدُومُ
المرء عليه خير له من كثير منها يملءه و يتركه . و الجيد النادر في هذا

قول رسول الله ص إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقى . و كان يقال كل كثير
مملول . و قالوا كل كثير عدو للطبيعة . و قال الشاعر

إني كثرت عليه في زيارته
فمل و الشيء مملول إذا كثرا
و رابني أني لا أزال أرى
في طرفه قصرا عني إذا نظرا

وَقَالَ ع : إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِعَةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرُوا مِنْهُ أَخَوَاتِهَا مِثَالِ ذَلِكَ إِنْسَانٍ مَسْتَوِرِ الْحَالِ عِنَا رَأْيَانِهِ وَ قَدْ صَدَرَتْ عَنْهُ حَرَكَةٌ تَرُوعُكَ وَ تَعْجَبُكَ إِمَّا لِحَسَنِهَا أَوْ لِقَبْحِهَا مِثْلَ أَنْ يَتَّصِقَ بِشَيْءٍ لَهُ وَقَعٌ وَ مَقْدَارٌ مِنْ مَالِهِ أَوْ يَنْكُرُ مِنْكَرًا عَجَزَ غَيْرِهِ عَنِ إِنْكَارِهِ أَوْ يَسْرِقُ أَوْ يَزْنِي فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْتَظِرَ وَ يَتَرَقَّبَ مِنْهُ أَخَوَاتِ مَا وَقَعَ مِنْهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَقْلَ وَ الطَّبِيعَةَ الَّتِي فِيهِ الْمَحْرُوكَةَ لَهُ إِلَى فِعْلِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ لَا بَدَّ أَنْ تَحْرُكَهُ إِلَى فِعْلِ مَا يَنْسَابُهَا لِأَنَّهَا مَا دَعَتْهُ إِلَى فِعْلِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ لِخُصُوصِيَّةِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ بَلْ لَمَّا فِيهَا مِنَ الْمَعْنَى الْمَقْتَضِي وَ قَوَعِهَا وَ هَذَا يَتَّعَدَى إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا يَجَانِسُهَا وَ لِذَلِكَ لَا تَرَى أَحَدًا قَدْ أَطْلَعَتْ مِنْ حَالِهِ يَوْمًا عَلَى أَنَّهُ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ إِلَّا وَ سَوْفَ تَطَّلِعُ فِيمَا بَعْدَ مِنْهُ عَلَى أَنَّهُ يَشْرِبُهَا وَ بِالْعَكْسِ فِي الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ لَا تَرَى أَحَدًا قَدْ صَدَرَ عَنْهُ فِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ الْخَيْرِ وَ الْمَرْوَعَةِ إِلَّا وَ سَتَرَاهُ فِيمَا بَعْدَ فَاعِلًا نَظِيرَهُ أَوْ مَا يَقَارِبُهُ . وَ شَتَمَ بَعْضُ سَفَهَاءِ الْبَصْرَةِ الْأَحْنَفَ شَتْمًا قَبِيحًا فَحَلَمَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ دَعُوهُ فَإِنِّي قَدْ قَتَلْتَهُ بِالْحَلْمِ عَنْهُ وَ سَيَقْتُلُ نَفْسَهُ بِجِرَاعَتِهِ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ جَاءَ ذَلِكَ السَّفِيهِ فَشَتَمَ زِيَادًا وَ هُوَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ حِينَئِذٍ وَ ظَنَّ أَنَّهُ كَالْأَحْنَفِ فَأَمَرَ بِهِ فَقَطَعَ لِسَانَهُ وَ يَدَهُ

وَ قَالَ عِ لِعَالِبِ بِنِ صَعْصَعَةَ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فِي كَلَامِ دَارِ بَيْنَهُمَا مَا فَعَلْتُ إِبْلِكَ الْكَثِيرَةَ قَالَ ذَعْدَعْتُهَا دَعْدَعْتُهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عِ ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلَهَا ذَعْدَعْتُهَا بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ مَكْرَرَةً فَرَقْتُهَا ذَعْدَعْتَهُ فَتَذَعْدَعِ وَ ذَعْدَعَةُ السَّرِ أَدَاعَتَهُ وَ الذَّعَادِعُ الْفَرَقُ الْمَتَفَرِّقَةُ الْوَاحِدَةُ ذَعْدَعَةٌ وَ رَبَّمَا قَالُوا تَفَرَّقُوا ذَعَادِعَ .

دخِلَ عَالِبِ بِنِ صَعْصَعَةَ بِنِ نَاجِيَةَ بِنِ عَقَالِ الْمَجَاشِعِيِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ أَيَّامِ خِلَافَتِهِ وَ عَالِبِ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَ مَعَهُ ابْنُهُ هَمَامُ الْفَرَزْدَقِ وَ هُوَ غُلَامٌ يَوْمِنْدٌ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِ مِنَ الشَّيْخِ قَالَ أَنَا عَالِبِ بِنِ صَعْصَعَةَ قَالَ ذُو الْإِبْلِ الْكَثِيرَةَ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا فَعَلْتُ إِبْلِكَ قَالَ ذَعْدَعْتُهَا الْحُقُوقُ وَ أَذْهَبْتُهَا الْحَمَلَاتِ وَ النَّوَائِبِ قَالَ ذَاكَ أَحْمَدُ سَبَلَهَا مِنْ هَذَا الْغُلَامِ مَعَكَ قَالَ هَذَا ابْنِي قَالَ مَا اسْمُهُ قَالَ هَمَامٌ وَ قَدْ رَوَيْتَهُ الشَّعْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ كَلَامَ الْعَرَبِ وَ يَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا مَجِيدًا فَقَالَ لَوْ أَقْرَأْتَهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فَكَانَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ يَرْوِي هَذَا الْحَدِيثَ وَ يَقُولُ مَا زَالَتْ كَلِمَتُهُ فِي نَفْسِي حَتَّى قَيَّدَ نَفْسَهُ بِقَيْدِ وَ آلَى الْإِلَهِ بِفِكَهٍ حَتَّى يَحْفَظَ الْقُرْآنَ فَمَا فِكَهَ حَتَّى حَفِظَهُ

وَقَالَ ع : مَنْ إِتْجَرَ بِغَيْرِ فِقْهِ فَقَدْ ارْتَطَمَ فِي الرِّبَا يَقُولُ تَجْرُ فُلَانٌ وَ اتْجَرَ فَهُوَ تَاجِرٌ وَ الْجَمْعُ تَجْرٌ مِثْلُ صَاحِبٍ وَ صَحْبٍ وَ التَّجَارَةُ وَ التَّجْرُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ إِذَا أَخَذْتَهُمَا مَصْدَرَيْنِ لَتَجْرُ وَ أَرْضٌ مَتَجْرَةٌ يَتَجَرُّ فِيهَا . وَ ارْتَطَمَ فُلَانٌ فِي الْوَحْلِ وَ الْأَمْرُ إِذَا ارْتَبَكَ فِيهِ وَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ وَ إِنَّمَا قَالَ ع ذَلِكَ لِأَنَّ مَسَائِلَ الرِّبَا مُشْتَبِهَةٌ بِمَسَائِلِ الْبَيْعِ وَ لَا يَفْرُقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا الْفَقِيهُ حَتَّى أَنْ الْعِظْمَاءَ مِنَ الْفُقَهَاءِ قَدْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ فِيهَا فَاخْتَلَفُوا فِيهَا أَشَدَّ اخْتِلَافٍ كَبِيعِ لَحْمِ الْبَقْرِ بِالْغَنَمِ مَتَفَاضِلًا هَلْ يَجُوزُ أَمْ لَا وَ كَذَلِكَ لَبِنِ الْبَقْرِ بِلَبْنِ الْغَنَمِ وَ جُلُودِ الْبَقْرِ بِجُلُودِ الْغَنَمِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ اللَّحُومُ وَ الْأَلْبَانُ وَ الْجُلُودُ أَجْنَاسٌ مُخْتَلِفَةٌ فَيَجُوزُ بَيْعُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ مَتَفَاضِلًا نَظْرًا إِلَى أَنَّ أَصُولَهَا أَجْنَاسٌ مُخْتَلِفَةٌ وَ الشَّافِعِيُّ لَا يَجِيزُ ذَلِكَ وَ يَقُولُ هُوَ رِبَاً وَ كَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي مَدَى عَجْوَةٍ وَ دَرَاهِمٍ بِمَدَى عَجْوَةٍ وَ كَذَلِكَ بَيْعُ الرُّطْبِ بِالتَّمْرِ مَتَسَاوِيًا كَيْلًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ الشَّافِعِيُّ إِنَّهُ رِبَاً وَ أَبُو حَنِيفَةَ يَخْرُجُهُ عَنْ كَوْنِهِ رِبَاً وَ مَسَائِلُ هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ

وَقَالَ ع : مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَابِيحِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ بِكِبَارِهَا إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَشْكُو اللَّهُ وَيَتَسَخَطُ قَضَاءَهُ وَيَجِدُ النِّعْمَةَ فِي التَّخْفِيفِ عَنْهُ وَيَدْعِي فِيهَا لَيْسَ بِمَجْحَفٍ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ أَنَّهُ مَجْحَفٌ وَيَتَأَلَّمُ بَيْنَ النَّاسِ لِذَلِكَ أَكْثَرَ مِمَّا تَقْتَضِيهِ نَكْبَتُهُ وَمِنْ فِعْلِ ذَلِكَ اسْتَوْجِبَ السَّخَطَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَابْتَلِيَ بِالكَثِيرِ مِنَ النِّكْبَةِ وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ وَقَعَ فِي أَمْرٍ يَشْقَى عَلَيْهِ وَيَتَأَلَّمُ مِنْهُ وَيُنَالُ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ نِيْلًا مَا إِنْ يَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ لَعَلَّهُ قَدْ دَفَعَ بِهَذَا عَنِّي مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَلَنْ كَانَ قَدْ ذَهَبَ مِنْ مَالِي جُزْءٌ فَلَقَدْ بَقِيَ أَجْزَاءٌ كَثِيرَةٌ . وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ لَمَّا وَقَعَتِ الْأَكْلَةُ فِي رِجْلِهِ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ ابْنَهُ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ عَضْوًا وَتَرَكْتَ أَعْضَاءَهُ وَأَخَذْتَ ابْنًا وَتَرَكْتَ أَبْنَاءَ فُلَيْهِنِكَ لَنْنَ كُنْتَ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ وَ لَنْنَ كُنْتَ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ

وَقَالَ ع : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ شَهْوَاتُهُ قَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُ هَذَا الْمَعْنَى مَرَارًا وَ مِنْ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْعَامَّةِ قَبِيحُ اللَّهِ أَمْرًا تَغْلِبُ شَهْوَتَهُ عَلَى نَخْوَتِهِ . وَ الْجَيْدُ النَّادِرُ فِي هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ

فإنك إن أعطيت بطنك سؤله
و فرجك نالا منتهى الذم أجمعا

[100]

وَقَالَ ع : مَا مَرَّحَ إِمْرُؤُ مَرَّحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْمَزَاحِ . وَكَانَ يُقَالُ خَيْرَ الْمَزَاحِ لَا يَنْتَالُ وَشَرُّهُ لَا يَسْتَقَالُ . وَقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَزَاحُ مَزَاحًا لِأَنَّهُ أَزِيحٌ عَنِ الْحَقِّ

[101]

وَقَالَ ع : زُهِدْ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نَقْصَانُ حَظِّكَ وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ نُدُ نَفْسٍ أَي نَقْصَانُ حَظِّكَ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّكَ مِنْ رَغْبٍ فِيكَ أَنْ تَزْهَدَ فِيهِ لِأَنَّ الْإِحْسَانَ لَا يَكْفِي بِالْإِسَاءَةِ وَ لِلْقَصْدِ حَرَمَةٌ وَ لِلْأَمَلِ ذِمَامٌ وَ مَنْ طَلَبَ مَوَدَّتَكَ فَقَدْ قَصَدَكَ وَ أَمَلَكَ فَلَا يَجُوزُ رَفْضُهُ وَ اطْرَاحَهُ وَ الزَّهْدُ فِيهِ وَ إِذَا زْهَدْتَ فِيهِ فَذَلِكَ لِنَقْصَانِ حَظِّكَ لَا لِنَقْصَانِ حَظِّهِ فَأَمَّا رَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ فَمَذَلَّةٌ لِأَنَّكَ تَطْرَحُ نَفْسَكَ لِمَنْ لَا يَعْأَبُ بِكَ وَ هَذَا ذُلٌّ وَ صِغَارٌ . وَ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فِي نَسِيبِهِ وَ كَانَ جَيِّدَ النِّسَبِ

ما زلت أزهد في مودة راغب

حتى ابتليت برغبة في زاهد

هذا هو الداء الذي ضاقت به

حيل الطبيب و طال يأس العائد

أي ما زلت عزيزا حتى أدلني الحب



وَقَالَ ع : مَا زَالَ الزَّبِيرُ رَجُلًا مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْنُومُ عَبْدُ اللَّهِ ذَكَرَ هَذَا الْكَلَامَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ

الْإِسْتِيعَابِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لَفْظَةَ الْمَشْنُومِ



عبد الله بن الزبير و ذكر طرف من أخباره

و نحن نذكر ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن الزبير فإن هذا المصنف يذكر جمل أحوال الرجل دون تفاصيلها ثم نذكر تفصيل أحواله من مواضع أخرى . قال أبو عمر رحمه الله يكنى عبد الله بن الزبير أبا بكر و قال بعضهم أبا بكر ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم الحافظ في كتابه في الكنى و الجمهور من أهل السير و أهل الأثر على أن كنيته أبو بكر و له كنية أخرى أبو خبيب بابنه خبيب

[103]

و كان أسن ولده و خبيب هو صاحب عمر بن عبد العزيز الذي مات من ضربه إذ كان واليا على المدينة للوليد و كان الوليد أمره بضربه فمات من أذية ذلك فوداه عمر بعد . قال أبو عمر و سماه رسول الله ص باسم جده و كناه بكنية جده عبد الله أبي بكر و هاجرت أمه أسماء من مكة إلى المدينة و هي حامل به فولدته في سنة اثنتين من الهجرة لعشرين شهرا من التاريخ و قيل ولد في السنة الأولى و هو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة . و روى هشام بن عروة عن أسماء قالت حملت بعبد الله بمكة فخرجت و أنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ثم أتيت رسول الله ص فوضعت في حجره فدعا بتمرة فمضغها ثم تغل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ص ثم حنكه بالتمرة ثم دعا له و بارك عليه و هو أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة قال ففرحوا به فرحا شديدا و ذلك أنهم قد كان قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم . قال أبو عمر و شهد عبد الله الجمل مع أبيه و خالته و كان شهما ذكرا ذا أنفة و كان له لسن و فصاحة و كان أطلس لا حية له و لا شعر في وجهه و كان كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجدات و الأمهات و الخالات إلا أنه كان فيه خلال لا يصلح معها للخلافة فإنه كان بخيلا ضيق العطن سيئ الخلق حسودا كثير الخلاف أخرج محمد بن الحنفية من مكة و المدينة و نفى عبد الله بن عباس إلى الطائف .

[104]

و

قال علي ع في أمره ما زال الزبير يعد منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله قال أبو عمر و بويع له بالخلافة سنة أربع و ستين في قول أبي معشر . و قال المدائني بويع له بالخلافة سنة خمس و ستين . و كان قبل ذلك لا يدعى باسم الخلافة و كانت بيعته بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية على طاعته أهل الحجاز و اليمن و العراق و خراسان و حج بالناس ثماني حجج و قتل في أيام عبد الملك بن مروان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقين من جمادى الأولى و قيل من جمادى الآخرة سنة ثلاث و سبعين و هو ابن اثنتين و سبعين سنة و صلب بمكة بعد قتله و كان الحجاج قد ابتدأ بحصاره من أول ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين و سبعين و حج الحجاج بالناس في ذلك العام و وقف بعرفة و عليه درع و مغفر و لم يطوفوا بالبيت في تلك السنة فحاصره ستة أشهر و سبعة عشر يوما إلى أن قتله . قال أبو عمر فروى هشام بن عروة عن أبيه قال لما كان قبل قتل عبد الله بعشرة أيام دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر و هي شاكية فقال كيف تجدنيك يا أمه قالت ما أجدني إلا شاكية فقال لها إن في الموت لراحة فقالت لعلك تمنيته لي و ما أحب أن أموت حتى يأتي على إحدى حالتك إما قتلت

فأحتسبك و إما ظفرت بعدوك ففرت عيني . قال عروة فالتفت عبد الله إلي و ضحك فلما كان اليوم الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد فقالت يا بني لا تقبل منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل فو الله لضربة سيف في عز خير من ضربة سوط في مذلة قال فخرج

[105]

عبد الله و قد نصب له مصراع عند الكعبة فكان يكون تحته فأتاه رجل من قريش فقال له أ لا نفتح لك باب الكعبة فتدخلها فقال و الله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم عن آخركم و هل حرمة البيت إلا كحرمة الحرم ثم أنشد

و لست بمبتاع الحياة بسببة

و لا مرتق من خشية الموت سلما

ثم شد عليه أصحاب الحجاج فسأل عنهم فقيل هؤلاء أهل مصر فقال لأصحابه اكسروا أعماد سيوفكم و احملوا معي فإنني في الرعيل الأول ففعلوا ثم حمل عليهم و حملوا عليه فكان يضرب بسيفين فلحق رجلا فضربه فقطع يده و انهزموا و جعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد و جعل رجل منهم أسود يسبه فقال له اصبر يا ابن حام ثم حمل عليه فصرعه ثم دخل عليه أهل حمص من باب بني شيببة فسأل عنهم فقيل هؤلاء أهل حمص فشد عليهم و جعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ثم انصرف و هو يقول

لو كان قرني واحدا أرديته

أوردته الموت و قد نكيتته

ثم دخل عليه أهل الأردن من باب آخر فقال من هؤلاء قيل أهل الأردن فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ثم انصرف و هو يقول

لا عهد لي بغارة مثل السيل

لا ينجلي قتامها حتى الليل

فأقبل عليه حجر من ناحية الصفا فأصابه بين عينيه فنكس رأسه و هو يقول

و لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا

و لكن على أقدامنا تقطر الدما

[106]

أنشده متمثلا و حماه موليان له فكان أحدهما يرتجز فيقول

العبد يحمي ربه و يحتمي

قال ثم اجتمعوا عليه فلم يزلوا يضربونه و يضربهم حتى قتلوه و موليينه جميعا فلما قتل كبر أهل الشام فقال عبد الله بن عمر المكبرون يوم ولد خير من المكبرين يوم قتل . قال أبو عمر و قال يعلى بن حرملة دخلت مكة بعد ما قتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أيام فإذا هو مصلوب فجاءت أمه أسماء و كانت امرأة عجوزا طويلة مكفوفة البصر تقاد فقالت للحجاج أ ما أن لهذا الراكب أن ينزل فقال لها المنافق قالت و الله ما كان منافقا و لكنه كان صواما قواما برا قال انصرفي فإنك عجوز قد خرفت قالت لا و الله ما خرفت و

إني سمعت رسول الله ص يقول يخرج من ثقيف كذاب و مبير أما الكذاب فقد رأيناه تعني المختار و أما المبير فأنت . قال أبو عمر و روى سعيد بن عامر الخراز عن ابن أبي مليكة قال كنت الأذن لمن بشر أسماء بنزول ابنها عبد الله من الخشبية فدعت بمركن و شب يمان فأمرتني بغسله فكنا لا نتناول منه عضوا إلا جاء معنا فكنا نغسل العضو و ندعه في أكفانه و نتناول العضو الذي يليه فنغسله ثم نضعه في أكفانه حتى فرغنا منه ثم قامت فصلت عليه و قد كانت تقول اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجنته فلما دفنته لم يأت عليها جمعة حتى ماتت . قال أبو عمر و قد كان عروة بن الزبير رحل إلى عبد الملك فرغب إليه في إنزال عبد الله من الخشبية فأسعفه بذلك فأنزل .

[107]

قال أبو عمر و قال علي بن مجاهد قتل مع ابن الزبير مانتان و أربعون رجلا إن منهم لمن سال دمه في جوف الكعبة . قال أبو عمر و روى عيسى عن أبي القاسم عن مالك بن أنس قال كان ابن الزبير أفضل من مروان و أولى بالأمر منه و من أبيه قال و قد روى علي بن المدانني عن سفيان بن عيينة أن عامر بن عبد الله بن الزبير مكث بعد قتل أبيه حولا لا يسأل الله لنفسه شيئا إلا الدعاء لأبيه . قال أبو عمر و روى إسماعيل بن علية عن أبي سفيان بن العلاء عن ابن أبي عتيق قال قالت عائشة إذا مر ابن عمر فأرونيه فلما مر قالوا هذا ابن عمر فقالت يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري قال رأيت رجلا قد غلب عليك و رأيتك لا تخالفينه يعني عبد الله بن الزبير فقالت أما إنك لو نهيتني ما خرجت . فأما الزبير بن بكار فإنه ذكر في كتاب أنساب قريش من أخبار عبد الله و أحواله جملة طويلة نحن نختصرها و نذكر اللباب منها مع أنه قد أذنب في ذكر فضائله و الثناء عليه و هو معذور في ذلك فإنه لا يلام الرجل على حب قومه و الزبير بن بكار أحد أولاد عبد الله بن الزبير فهو أحق بتقريظه و تأيينه . قال الزبير بن بكار أمه أسماء ذات النطاقين ابنة أبي بكر الصديق و إنما سميت ذات النطاقين

لأن رسول الله ص لما تجهز مهاجرا إلى المدينة و معه أبو بكر لم يكن لسفرتهم شناق فشقت أسماء نطاقها فشنقتها به فقال لها رسول الله

[108]

ص قد أبدلك الله تعالى بنطاقك هذا نطاقين في الجنة فسميت ذات النطاقين قال و قد روى محمد بن الضحاك عن أبيه أن أهل الشام كانوا و هم يقاتلون عبد الله بمكة يصيحون يا ابن ذات النطاقين يظنونهم عيبا فيقول ابنها و الإله ثم يقول إني و إياكم لكما قال أبو ذؤيب

و غيرني الواشون أني أحبها
و تلك شكاة ظاهر عنك عارها
فإن أعتذر عنها فإني مكذب
و إن تعتذر يردد عليك اعتذارها

ثم يقبل على ابن أبي عتيق و هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر فيقول أ لا تسمع يا ابن أبي عتيق .

قال الزبير و زعموا أن عبد الله بن الزبير لما ولد أتى به رسول الله ص فنظر في وجهه و قال أ هو هو ليمنعن البيت أو ليموتن دونه . و قال العقيلي في ذلك

بر تبين ما قال الرسول له
و ذو صلاة بضاحي وجهه علم
حمامة من حمام البيت قاطنة
لا تتبع الناس إن جاروا و إن ظلموا

قال و قد روى نافع بن ثابت عن محمد بن كعب القرظي أن رسول الله ص دخل على أسماء حين ولد عبد الله فقال أ هو هو فتركت أسماء رضاعه فقيل لرسول الله ص إن أسماء تركت رضاع عبد الله لما سمعت كلمتك فقال لها أرضعيه و لو بماء عينيك كبش بين ذناب عليها ثياب ليمنعن الحرم أو ليموتن دونه . قال و حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال كان عبد الله بن الزبير يقول هاجرت بي أمي في بطنها فما أصابها شيء من نصب أو مخمصة إلا و قد أصابني

[109]

قال و قالت عائشة يا رسول الله أ لا تكنيني فقال تكني باسم ابن أختك عبد الله فكانت تكني أم عبد الله

قال و روى هند بن القاسم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال احتجم رسول الله ص ثم دفع إلي دمه فقال اذهب به فواره حيث لا يراه أحد فذهبت به فشربته فلما رجعت قال ما صنعت قلت جعلته في مكان أظن أنه أخفى مكان عن الناس فقال فلعلك شربته فقلت نعم . قال و قال وهب بن كيسان أول من صف رجله في الصلاة عبد الله بن الزبير فاقتدى به كثير من العباد و كان مجتهدا . قال و خطب الحجاج بعد قتله زجلة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزارية و هي أم هاشم بن عبد الله بن الزبير فقلعت ثنيتها و رده و قالت ما ذا يريد إلى ذلفاء تكلى حرى و قالت

أ بعد عاند بيت الله تخطبني
جهلا جهلت و غب الجهل مذموم
فاذهب إليك فإني غير ناكحة
بعد ابن أسماء ما استن الدياميم
من يجعل العير مصفرا جحافل
مثل الجواد و فضل الله مقسوم

قال و حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجشون قال قسم عبد الله بن الزبير الدهر على ثلاث ليال فليلة هو قائم حتى الصباح و ليلة هو راع حتى الصباح و ليلة هو ساجد حتى الصباح . قال و حدثنا سليمان بن حرب بإسناد ذكره و رفعه إلى مسلم المكي قال ركع عبد الله بن الزبير يوما ركعة فقرأت البقرة و آل عمران و النساء و المائدة و ما رفع رأسه .

[110]

قال و قد حدث من لا أحصيه كثرة من أصحابنا أن عبد الله كان يواصل الصوم سبعا يصوم يوم الجمعة فلا يفطر إلا يوم الجمعة الآخر و يصوم بالمدينة فلا يفطر إلا بمكة و يصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة . قال و قال عبد الملك بن عبد العزيز و كان أول ما يفطر عليه إذا أفطر لبن لقة بسمن بقر قال الزبير و زاد غيره و صبر . قال و حدثني يعقوب بن محمد بن عيسى بإسناد رفعه إلى عروة بن الزبير قال لم يكن أحد أحب إلى عائشة بعد رسول الله ص و بعد أبي بكر من عبد الله بن الزبير . قال و حدثني يعقوب بن محمد بإسناد يرفعه إلى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال ما كان أحد أعلم بالمناسك من ابن الزبير . قال و حدثني مصعب بن عثمان قال أوصت عائشة إلى عبد الله بن الزبير و أوصى إليه حكيم بن حزام و عبد الله بن عامر بن كريز و الأسود بن أبي البخترى و شيبه بن عثمان و الأسود بن عوف . قال الزبير و حدث عمر بن قيس عن أمه قالت دخلت على عبد الله بن الزبير بيته فإذا هو قائم يصلي فسقطت حية من البيت على ابنه هاشم بن عبد الله فتطوقت على بطنه و هو نائم فصاح أهل البيت الحية الحية و لم يزالوا بها حتى قتلوها و عبد الله قائم يصلي ما التفت و لا عجل ثم فرغ من صلاته بعد ما قتلت الحية فقال ما بالكم فقالت أم هاشم إي رحمك الله أ رأيت إن كنا هنا عليك أ يهون عليك ابنك قال ويحك و ما كانت التفاتة لو التفتها مبقية من صلاتي .

[111]

قال الزبير و عبد الله أول من كسا الكعبة الديباج و إن كان ليطيبها حتى يجد ريحها من دخل الحرم قال و لم تكن كسوة الكعبة من قبله إلا المسوح و الأنطاع فلما جرد المهدي بن المنصور الكعبة كان فيما نزع عنها كسوة من ديباج مكتوب عليها لعبد الله أبي بكر أمير المؤمنين قال و حدثني يحيى بن معين بإسناد رفعه إلى هشام بن عروة أن عبد الله بن الزبير أخذ من بين القتلى يوم الجمل و به بضع و أربعون طعنة و ضربة قال الزبير و اعتلت عائشة مرة فدخل عليها بنو أختها أسماء عبد الله و عروة و المنذر قال عروة فسالناها عن حالها فشكت إلينا نهكة من علتها فعزاها عبد الله عن ذلك فأجابته بنحو قولها فعاد لها بالكلام فعادت له بالجواب فصمت و بكى قال عروة فما رأينا متحاورين من خلق الله أبلغ منهما قال ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه فأبهتت لبيكانه فبكت ثم قالت ما أحقتي منك يا بني ما أرى فلم أعلم بعد رسول الله ص و بعد أبوي أحدا أنزل عندي منزلتك قال عروة و ما سمعت عائشة و أمي أسماء تدعون لأحد من الخلق دعاءهما لعبد الله قال و قال موسى بن عقبة أقرأني عامر بن عبد الله بن الزبير وصية عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام و إلى عبد الله بن الزبير من بعده و إنهما في وصيتي في حل و بل . قال و روى أبو الحسن المدائني عن أبي إسحاق التميمي أن معاوية سمع رجلا ينشد

ابن رقاش ماجد سميدع

يأبى فيعطي عن يد أو يمنع

فقال ذلك عبد الله بن الزبير و كان عبد الله من جملة النفر الذين أمرهم عثمان بن عفان أن ينسخوا القرآن في المصاحف . قال و حدثنا محمد بن حسن عن نوفل بن عمارة قال سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الجاهلية فقال الأسود بن المطلب بن أسد و سهيل بن عمرو و سئل عن خطبانهم في الإسلام فقال معاوية و ابنه و سعيد بن العاص و ابنه و عبد الله بن الزبير . قال و حدثنا إبراهيم بن المنذر عن عثمان بن طلحة قال كان عبد الله بن الزبير لا ينازع في ثلاث شجاعة و عبادة و بلاغة . قال الزبير و قال هشام بن عروة رأيت عبد الله أيام حصاره و الحجر من المنجنيق يهوي حتى أقول كاد يأخذ بلحيته فقال له أبي أيا ابن أم و الله إن كاد ليأخذ بلحيتك فقال عبد الله دعني يا ابن أم فو الله ما هي إلا هنة حتى كان الإنسان لم يكن فيقول أبي و هو يقبل علينا بوجهه و الله ما أخشى عليك إلا من تلك الهنة . قال الزبير فذكر هشام قال و الله لقد رأيته يرمى بالمنجنيق فلا يلتفت و لا يردد صوته و ربما مرت الشظية منه قريبا من نحره . و قال الزبير و حدثنا ابن الماجشون عن ابن أبي مليكة عن أبيه قال كنت أطوف بالبيت مع عمر بن عبد العزيز فلما بلغت الملتزم تخلفت عنده أدعو ثم لحقت عمر فقال لي ما خلفك قال كنت أدعو في موضع رأيت عبد الله بن الزبير فيه يدعو فقال ما تترك تحناتك على ابن الزبير أبدا فقلت و الله ما رأيت

أحدا أشد جلدا على لحم و لحما على عظم من ابن الزبير و لا رأيت أحدا أثبت قائما و لا أحسن مصليا من ابن الزبير و لقد رأيت حجرا من المنجنيق جاءه فأصاب شرفة من المسجد فمرت قذافة منها بين لحيته و حلقه فلم يزل من مقامه و لا عرفنا ذلك في صوته فقال عمر لا إله إلا الله لجاد ما وصفت . قال الزبير و سمعت إسماعيل بن يعقوب التيمي يحدث قال قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة صف لنا عبد الله بن الزبير فإنه ترمم على أصحابنا فتعشمروا عليه فقال عن أي حاله تسأل أ عن دينه أم عن دنياه فقال عن كل قال و الله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم و لا لحما على عصب و لا عسبا على عظم مثل جلده على لحمه و لا مثل لحمه على عصبه و لا مثل عصبه على عظمه و لا رأيت نفسا ركبت بين جنبيين مثل نفس له ركبت بين جنبيين و لقد قام يوما إلى الصلاة فمر به حجر من حجارة المنجنيق بلبنة مطبوخة من شرفات المسجد فمرت بين لحييه و صدره فو الله ما خشع لها بصره و لا قطع لها قراءته و لا ركع دون الركوع الذي كان يركع و لقد كان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها و لقد كان يركع في الصلاة فيقع الرخم على ظهره و يسجد فكأنه مطروح . قال الزبير و حدث هشام بن عروة قال سمعت عمي يقول ما أبالي إذا وجدت ثلاثمائة يصبرون صبري لو أجلب علي أهل الأرض . قال الزبير و قسم عبد الله بن الزبير ثلث ماله و هو حي و كان أبوه الزبير قد أوصى أيضا بثلث ماله قال و ابن الزبير أحد الرهط الخمسة الذين وقع اتفاق أبي موسى الأشعري و عمرو بن العاص على إحضارهم و الاستشارة بهم في يوم التحكيم

و هم عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمرو و أبو الجهم بن حذيفة و جبير بن مطعم و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . قال الزبير و عبد الله هو الذي صلى بالناس بالبصرة لما ظهر طلحة و الزبير على عثمان بن حنيف بأمر منهما له قال و أعطت عائشة من بشرها بأن عبد الله لم يقتل يوم الجمل عشرة آلاف درهم . قلت الذي يغلب على ظني أن ذلك كان يوم

إفريقية لأنها يوم الجمل كانت في شغل بنفسها عن عبد الله و غيره . قال الزبير و حدثني علي بن صالح مرفوعا أن رسول الله ص كلم في صبية ترعرعوا منهم عبد الله بن جعفر و عبد الله بن الزبير و عمر بن أبي سلمة فقبل يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك و يكون لهم ذكر فأتي بهم فكأنهم تكعكعوا حين جيء بهم إليه و اقتحم ابن الزبير فتبسم رسول الله ص و قال إنه ابن أبيه و بايعهم . قال و سئل رأس الجالوت ما عندكم من الفراسة في الصبيان فقال ما عندنا فيهم شيء لأنهم يخلقون خلقا من بعد خلق غير أنا نرمقهم فإن سمعناه منهم من يقول في لعبه من يكون معي رأيناها همة و خبء صدق فيه و إن سمعناه يقول مع من أكون كرهنها منه قال فكان أول شيء سمع من عبد الله بن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان فمر رجل فصاح عليهم ففروا منه و مشى ابن الزبير القهقري ثم قال يا صبيان اجعلوني أميركم و شدوا بنا عليه قال و مر به عمر بن الخطاب و هو مع الصبيان ففروا و وقف فقال لم لم تفر مع أصحابك فقال لم أجزم فأخافك و لم تكن الطريق ضيقة فأوسع عليك . و روى الزبير بن بكار أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزا إفريقية في خلافة

[115]

عثمان فقتل عبد الله بن الزبير جرجير أمير جيش الروم فقال ابن أبي سرح إنني موجه بشيرا إلى أمير المؤمنين بما فتح علينا و أنت أولى من هاهنا فانطلق إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر قال عبد الله فلما قدمت على عثمان أخبرته بفتح الله و صنعته و نصره و وصفت له أمرنا كيف كان فلما فرغت من كلامي قال هل تستطيع أن تؤدي هذا إلى الناس قلت و ما يمنعني من ذلك قال فاخرج إلى الناس فأخبرهم قال عبد الله فخرجت حتى جنت المنبر فاستقبلت الناس فلتقاني وجه أبي فدخلتني له هيبة عرفها أبي في وجهي فقبض قبضة من حصباء و جمع وجهه في وجهي و هم أن يحصبني فأحزمت فتكلمت . فزعموا أن الزبير لما فرغ عبد الله من كلامه قال و الله لكأني أسمع كلام أبي بكر الصديق من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها و أخيها فإنها تأتيه بأحدهما . قال الزبير و يلقب عبد الله بعاند البيت لاستعاضته به . قال و حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال إن الذي دعا عبد الله إلى التعوذ بالبيت شيء سمعه من أبيه حين سار من مكة إلى البصرة فإن الزبير التفت إلى الكعبة بعد أن ودع و وجه يريد الركوب فأقبل على ابنه عبد الله و قال تالله ما رأيت مثلها لطالب رغبة أو خانف رهبة . و روى الزبير بن بكار قال كان سبب تعوذ ابن الزبير بالكعبة أنه كان يمشي بعد عتمة في بعض شوارع المدينة إذ لقي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مثلثا لا يبدو منه إلا عيناه قال فأخذت بيده و قلت ابن أبي سرح كيف كنت بعدي و كيف تركت أمير المؤمنين يعني معاوية و قد كان ابن أبي سرح عنده بالشام فلم يكلمني فقلت ما لك أمات أمير المؤمنين فلم يكلمني فتركته و قد أثبت معرفته ثم خرجت حتى لقيت الحسين بن علي رضي الله عنه فأخبرته خبره و قلت سنأتيك رسل الوليد و كان الأمير على المدينة الوليد بن عتبة بن

[116]

أبي سفيان فانظر ما أنت صانع و اعلم أن رواحي في الدار معدة و الموعد بيني و بينك أن تغفل عنا عيونهم ثم فارقتهم فلم ألبث أن أتاني رسول الوليد فجننته فوجدت الحسين عنده و وجدت عنده مروان بن الحكم فنعي إلي معاوية فاسترجعت فأقبل علي و قال هلم إلى بيعة يزيد فقد كتب إلينا يأمرنا أن نأخذها عليك فقلت إنني قد علمت أن في نفسه علي شينا لتركي بيعته في حياة أبيه و إن بايعت له على هذه الحال توهم أي مكره على البيعة فلم يقع منه ذلك بحيث أريد و لكن أصبح و يجتمع الناس و يكون ذلك علانية إن شاء الله فنظر الوليد إلى مروان فقال مروان هو الذي قلت لك إن يخرج لم تره

فأحببت أن ألقى بيني وبين مروان شرا نتشأغل به فقلت له و ما أنت و ذاك يا ابن الزرقاء فقال لي و قلت له حتى تواتبنا فتناصيت أنا و هو و قام الوليد فحجز بيننا فقال مروان أ تحجز بيننا بنفسك و تدع أن تأمر أعوانك فقال قد أرى ما تريد و لكن لا أتولى ذلك منه و الله أبدا أذهب يا ابن الزبير حيث شئت قال فأخذت بيد الحسين و خرجنا من الباب حتى صرنا إلى المسجد و أنا أقول

و لا تحسبني يا مسافر شحمة

تعجلها من جانب القدر جانع

فلما دخل المسجد افترق هو و الحسين و عمد كل واحد منهما إلى مصلاه يصلي فيه و جعلت الرسل تختلف إليهما يسمع وقع أقدامهم في الحصباء حتى هدأ عنهما الحس ثم انصرفا إلى منزلهما فأتى ابن الزبير رواقه فقعدها عليها و خرج من أدبار داره و وافاه الحسين بن علي فخرجا جميعا من ليلتهم و سلكوا طريق الفرع حتى مروا بالجثثاة و بها جعفر بن الزبير قد ازدرعها و غمز عليهم بعير من إبلهم فانتهوا إلى جعفر فلما رأهم قال مات معاوية فقال عبد الله نعم انطلق

[117]

معنا و أعطنا أحد جمليك و كان ينضح على جملين له فقال جعفر متمثلا

إخوتي لا تبعدوا أبدا

و بلى و الله قد بعدوا

فقال عبد الله و تطير منها بفيك التراب فخرجوا جميعا حتى قدموا مكة قال الزبير

فأما الحسين ع فإنه خرج من مكة يوم التروية يطلب الكوفة و العراق و قد كان قال لعبد الله بن الزبير قد أتتني بيعة أربعين ألفا يحلفون لي بالطلاق و العتاق من أهل العراق فقال أ تخرج إلى قوم قتلوا أباك و خذلوا أخاك قال و بعض الناس يزعم أن عبد الله بن عباس هو الذي قال للحسين ذلك قال الزبير و قال هشام بن عروة كان أول ما أفصح به عمي عبد الله و هو صغير السيف فكان لا يضعه من فيه و كان أبوه الزبير إذا سمع منه ذلك يقول أما و الله ليكون لك منه يوم و يوم و أيام . فأما خبر مقتل عبد الله بن الزبير فنحن نورده من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله قال أبو جعفر حصر الحجاج عبد الله بن الزبير ثمانية أشهر فروى إسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت منجنيق أهل الشام يرمى به فرعدت السماء و برقت و علا صوت الرعد على صوت المنجنيق فأعظم أهل الشام ما سمعوه فأمسكوا أيديهم فرفع الحجاج بركة قبانه فغرزاها في منطقتة و رفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا و رمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت

[118]

صاعقة يتبعها أخرى فقتلت من أصحاب الحجاج اثنتي عشر رجلا فأنكر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإني ابن تهامة هذه صواعق تهامة هذا الفتح قد حضر فأبشروا فإن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة ما أصاب الحجاج فقال الحجاج أ لا ترون أنهم يصابون و أنتم على الطاعة و هم على خلاف

الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير و الحجاج حتى تفرق عامة أصحاب ابن الزبير عنه و خرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان . قال و روى إسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن الجهم الأسلمي قال رأيت ابن الزبير و قد خذله من معه خذلانا شديدا و جعلوا يخرجون إلى الحجاج خرج إليه منهم نحو عشرة آلاف و ذكر أنه كان ممن فارقه و خرج إلى الحجاج ابنه خبيب و حمزة فأخذا من الحجاج لأنفسهما أمانا . قال أبو جعفر فروى محمد بن عمر عن ابن أبي الزناد عن مخرمة بن سلمان الوالبي قال دخل عبد الله بن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانه فقال يا أمه خذني الناس حتى ولدي و أهلي و لم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة و القوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت يا بني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق و إليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك و لا تمكن من رقبتك يتلعب بك غلمان بني أمية و إن كنت إنما أردت الدنيا فبنس العبد أنت أهلكت نفسك و أهلكت من قتل معك و إن قلت قد كنت على حق فلما وهن أصحابي وهنت و ضعفت فليس هذا فعل الأحرار و لا أهل

[119]

الدين و كم خلودك في الدنيا القتل أحسن فدنا ابن الزبير فقبل رأسها و قال هذا و الله رأيي الذي قمت به داعيا إلى يومي هذا و ما ركنت إلى الدنيا و لا أحببت الحياة فيها و لم يدعني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل محارمه و لكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أمه فإني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك و سلمني لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر و لا عملا بفاحشة و لم يجر في حكم و لم يغدر في أمان و لم يتعمد ظلم مسلم و لا معاهد و لم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته و لم يكن شيء أثر عندي من رضا ربي اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم بي و لكنني أقوله تعزية لأمي لتسلو عني فقالت أمه إني لأرجو من الله أن يكون عزاني فيك حسنا إن تقدمتني فلا أخرج من الدنيا حتى أنظر إلى ما يصير أمرك فقال جزاك الله يا أمه خيرا فلا تدعي الدعاء لي قبل و بعد قالت لا أدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل و ذلك النحيب و الظمأ في هواجر المدينة و مكة و بره بأبيه و بي اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه و رضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين . قال أبو جعفر و روى محمد بن عمر عن موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمه و عليه الدرع و المغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها فقالت هذا وداع فلا تبعد فقال نعم إني جنت مودعا إني لأرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا يمر بي و اعلمي يا أمه إني إن قتلت فإنما أنا لحم لا يضره ما صنع به فقالت صدقت يا بني أتمم على بصيرتك و لا تمكن ابن

[120]

أبي عقيل منك و دن مني أودعك فدنا منها فقبلها و عانقها فقالت حيث مست الدرع ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبستها إلا لأشد منك فقالت إنها لا تشد مني فنزعها ثم أخرج كميته و شد أسفل قميصه و عمد إلى جبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة فقالت أمه شمر ثيابك فشمرها ثم انصرف و هو يقول

إني إذا أعرف يومي أصبر

إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر و الله و لم لا تصبر و أبوك أبو بكر و الزبير و أمك صفية بنت عبد المطلب . قال و روى محمد بن عمر عن ثور بن يزيد عن رجل من أهل حمص قال شهدته و الله ذلك اليوم و نحن خمسمائة من أهل حمص فدخل من باب المسجد لا يدخل منه غيرنا و هو يشد علينا و نحن منهزمون و هو يرتجز

إني إذا أعرف يومي اصبر
و إنما يعرف يوميه الحر
و بعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول أنت و الله الحر الشريف فلقد رأيتك يقف بالأبطح لا يدنو منه أحد حتى ظننا أنه لا يقتل . قال و روى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال رأيت الأبواب قد شحنت بأهل الشام و جعلوا على كل باب قائدا و رجالا و أهل بلد فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة و لأهل دمشق باب بني شيببة و لأهل الأردن باب الصفا و لأهل فلسطين باب بني جمح و لأهل قنسرين باب بني سهم و كان الحجاج و طارق بن عمرو في ناحية الأبطح إلى المروة فمرة يحمل ابن الزبير

[121]

في هذه الناحية و لكأنه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال فيعدو في أثر الرجال و هم على الباب حتى يخرجهم ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان يا أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال ثم يقول

لو كان قرني واحدا كفيته

فيقول عبد الله بن صفوان إي و الله و ألفا . قال أبو جعفر فلما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث و سبعين و قد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات ابن الزبير تلك الليلة يصلي عامة الليل ثم احتبى بحمانل سيفه فأغفى ثم انتبه بالفجر فقال أذن يا سعد فأذن عند المقام و توضأ ابن الزبير و ركع ركعتي الفجر ثم تقدم و أقام المؤذن فصلى ابن الزبير بأصحابه فقرأ ن و القلم حرفا حرفا ثم سلم ثم قام فحمد الله و أتى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر و عليها المغافر و العمام فكشفوا وجوههم فقال يا آل الزبير لو طبتم لي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا لم تصبنا مذلة و لم نقر على ضيم أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فإني لم أحضر موطنا قط ارتثت فيه بين القتلى و ما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم لا أعلم امرأ كسر سيفه و استبقى نفسه فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل غضوا أبصاركم عن البارقة و ليشغل كل امرئ قرنه و لا يلهينكم السؤال عني و لا تقولن أين عبد الله بن الزبير ألا من كان سانلا عني فإني في الرعي الأول ثم قال

[122]

أبي لابن سلمى أنه غير خالد
يلاقي المنايا أي وجه تيمما

فلست بمبتاع الحياة بسببة

و لا مرتقى من خشية الموت سلما

ثم قال احملوا على بركة الله ثم حمل حتى بلغ بهم إلى الحجون فرمي بحجر فأصاب وجهه فأرعش و دمي وجهه فلما وجد سخونة الدم تسيل على وجهه و لحيته قال

و لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا

و لكن على أقدامنا تقطر الدما

قال و تقاواوا عليه و صاحت مولاة له مجنونة و أمير المؤمنيناه و قد كان هوى و رأته حين هوى فأشارت لهم إليه فقتل و إن عليه لثياب خز و جاء الخبر إلى الحجاج فسجد و سار هو و طارق بن عمرو فوقفا عليه فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج أ تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين فقال طارق هو أعذر لنا و لو لا هذا ما كان لنا عذر إنا محاصروه و هو في غير خندق و لا حصن و لا منعة منذ ثمانية أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن و هو قال فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا . قال و بعث الحجاج برأس ابن الزبير و رأس عبد بن صفوان و رأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت الثلاثة بها ثم حملت إلى عبد الملك . و نحن الآن نذكر بقية أخبار عبد الله بن الزبير ملتقطة من مواضع متفرقة رني عبد الله بن الزبير في أيام معاوية واقفا بباب مية مولاة معاوية فقيل له

[123]

يا أبا بكر مثلك يقف بباب هذه فقال إذا أعيتكم الأمور من رعوسها فخذوها من أذناها . ذكر معاوية لعبد الله بن الزبير يزيد ابنه و أراد منه البيعة له فقال ابن الزبير أنا أناديك و لا أناجيك إن أخاك من صدقك فانظر قبل أن تقدم و تفكر قبل أن تندم فإن النظر قبل التقدم و التفكير قبل التندم فضحك معاوية و قال تعلمت يا أبا بكر الشجاعة عند الكبر . كان عبد الله بن الزبير شديد البخل كان يطعم جنده تمرا و يأمرهم بالحرب فإذا فروا من وقع السيوف لامهم و قال لهم أكلتم تمري و عصيتم أمري فقال بعضهم

ألم تر عبد الله و الله غالب

على أمره يبغي الخلافة بالتمر

و كسر بعض جنده خمسة أرماع في صدور أصحاب الحجاج و كلما كسر رمحا أعطاه رمحا فشقى عليه ذلك و قال خمسة أرماع لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا . قال و جاءه أعرابي سائل فرده فقال له لقد أحرقت الرمضاء قدمي فقال بل عليهما يبردان . جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية و عبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلا من بني هاشم منهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ع و حصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم و قال لا تمضي الجمعة حتى تبايعوا إلي أو أضرب أعناقكم أو أحرقكم بالنار ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار فالتزمه

[124]

ابن مسور بن مخزومة الزهري و ناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بغسول و ثياب بيض فاغتسل و تلبس و تحنط لا يشك في القتل و قد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فلما نزلوا ذات عرق تعجل منهم سبعون على رواحهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة ينادون يا محمد يا محمد و قد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم فاستخلصوا محمد بن الحنفية و من كان معه و بعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادي من كان يرى أن الله عليه حقا فليشم سيفه فلا حاجة لي بأمر الناس إن أعطيتها عفوا قبلتها و إن كرهوا لم نبتزهم أمرهم . و في شعب عارم و حصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن

و من ير هذا الشيخ بالخيف من منى

من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمي النبي المصطفى و ابن عمه

و حمال أثقال و فكاك غارم

تخبر من لاقيت أنك عانذ

بل العانذ المحبوس في سجن عارم

و روى المدائني قال لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مر بنعمان فنزل فصلى ركعتين ثم رفع يديه يدعو فقال اللهم إنك تعلم أنه لم يكن بلد أحب إلي من أن أعبدك فيه من البلد الحرام و إنني لا أحب أن تقبض روعي إلا فيه و أن ابن الزبير أخرجني منه ليكون الأقوى في سلطانه اللهم فأوهن كيده و اجعل دائرة السوء عليه فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها فقالوا مرحبا بابن عم رسول الله ص أنت و الله أحب إلينا و أكرم علينا ممن أخرجك هذه منازلنا تخيرها فانزل منها حيث أحببت فنزل منزلا فكان

[125]

يجلس إليه أهل الطائف بعد الفجر و بعد العصر فيتكلم بينهم كان يحمد الله و يذكر النبي ص و الخلفاء بعده و يقول ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم و لا أشباههم و لا من يدانيهم و لكن بقي أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة و يلبسون جلود الضأن تحتها قلوب الذئاب و النمر ليظن الناس أنهم من الزاهدين في الدنيا يراعون الناس بأعمالهم و يسخطون الله بسرانهم فادعوا الله أن يقضي لهذه الأمة بالخير و الإحسان فيولي أمرها خيارها و أبرارها و يهلك فجارها و أشرارها ارفعوا أيديكم إلى ربكم و سلوه ذلك فيفعلون فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إليه أما بعد فقد بلغني أنك تجلس بالطائف العصرين فتفتيهم بالجهل تعيب أهل العقل و العلم و إن حلمي عليك و استدامتي فينك جرأك علي فاكفف لا أبا لغيرك من غربك و اربع على ظلك و اعقل إن كان لك معقول و أكرم نفسك فإنك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هوانا أ لم تسمع قول الشاعر

فنفسك أكرمها فإنك إن تهن

عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

و إنني أقسم بالله لنن لم تنته عما بلغني عنك لتجدن جانبي خشنا و لتجدنني إلى ما يردك عني عجلا فر رأيك فإن أشفى بك شقاؤك على الردى فلا تلم إلا نفسك فكتب إليه ابن عباس أما بعد فقد بلغني كتابك قلت إنني أفتي الناس بالجهل و إنما

يفتي بالجهل من لم يعرف من العلم شيئا و قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك و ذكرت أن حلمك عني و استدامتك فيني
جرأني عليك ثم قلت اكفف من غريك و اربع على

[126]

ظلمك و ضربت لي الأمثال أحاديث الضبع متى رأيتني لعراكم هانبا و من حدك ناكلا و قلت لنن لم تكف لتجدن جانبي
خشنا فلا أبقي الله عليك إن أبقيت و لا أرى عليك إن أروعيت فو الله أنتهي عن قول الحق و صفة أهل العدل و الفضل و ذم
الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا و السلام . قدم معاوية المدينة
راجعا من حجة حجها فكثر الناس عليه في حوانجهم فقال لصاحب إبله قدم إبلك ليلا حتى أرتحل ففعل ذلك و سار و لم يعلم
بأمره إلا عبد الله بن الزبير فإنه ركب فرسه و قفا أثره و معاوية نائم في هودجه فجعل يسير إلى جانبه فانتبه معاوية و قد
سمع وقع حافر الفرس فقال من صاحب الفرس قال أنا أبو خبيب لو قد قتلتك منذ الليلة يمازحه فقال معاوية كلا لست من
قتلة الملوك إنما يصيد كل طائر قدره فقال ابن الزبير إلي تقول هذا و قد وقفت في الصف بإزاء علي بن أبي طالب و هو
من تعلم فقال معاوية لا جرم أنه قتلك و أباك ببسرى يديه و بقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها فقال ابن الزبير أما
و الله ما كان ذلك إلا في نصر عثمان فلم نجز به فقال معاوية خل هذا عنك فو الله لو لا شدة بغضك ابن أبي طالب لجررت
برجل عثمان مع الضبع فقال ابن الزبير أ فعلتها يا معاوية أما إنا قد أعطيناك عهدا و نحن وافون لك به ما دمت حيا و لكن
ليعلمن من بعدك فقال معاوية أما و الله ما أخافك إلا على نفسك و لكأني بك و أنت مشدود مربوط في الأتسوطه و أنت
تقول ليت أبا عبد الرحمن كان حيا و ليتني كنت حيا يومئذ فأحلك حلا رفيقا و لبس المطلق و المعتكق و المسنون عليه
أنت يومئذ

[127]

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية و عنده عمرو بن العاص فتكلم عمرو و أشار إلى ابن الزبير فقال هذا و الله يا أمير
المؤمنين الذي غرته أناتك و أبطره حلمك فهو ينزو في نشطته نزو العير في حبالته كلما قمصته الغلواء و الشرة سكنت
الأتسوطه منه النفرة و أحر به أن ينول إلى القلة أو الذلة فقال ابن الزبير أما و الله يا ابن العاص لو لا أن الإيمان ألزما
بالوفاء و الطاعة للخلفاء فنحن لا نريد بذلك بدلا و لا عنه حولا لكان لنا و له و لك شأن و لو وكله القضاء إلى رأيك و
مشورة نظرائك لدافعناه بمنكب لا تنوده المزاحمة و لقاذفناه بحجر لا تنكوه المراجعة فقال معاوية أما و الله يا ابن الزبير
لو لا إيثاري الأناة على العجل و الصفح على العقوبة و أني كما قال الأول

أجامل أقواما حياء و قد أرى

قلوبهم تغلي علي مرضها

إذا لقرنتك إلى سارية من سوارى الحرم تسكن بها غلواءك و ينقطع عندها طمعك و تنقص من أملاك ما لعلك قد لويته
فشزرتة و فتلتة فأبرمتة و ايم الله إنك من ذلك لعلى شرف جرف بعيد الهوة فكن على نفسك ولها فما توبق و لا تنفذ
غيرها فشأنك و إياها . قطع عبد الله بن الزبير في الخطبة ذكر رسول الله ص جمعا كثيرة فاستعظم الناس ذلك فقال إني لا

أرغب عن ذكره و لكن له أهيل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم فأنا أحب أن أكبتهم . لما كاشف عبد الله بن الزبير بني هاشم و أظهر بغضهم و عابهم و هم بما هم به في

[128]

أمرهم و لم يذكر رسول الله ص في خطبة لا يوم الجمعة و لا غيرها عاتبه على ذلك قوم من خاصته و تشاءموا بذلك منه و خافوا عاقبته فقال و الله ما تركت ذلك علانية إلا و أنا أقوله سرا و أكثر منه لكني رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشربوا و احمرت ألوانهم و طالت رقابهم و الله ما كنت لآتي لهم سرورا و أنا أقدر عليه و الله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا فإني لا أقتل منهم إلا أتما كفارا سحارا لا أنماهم الله و لا بارك عليهم بيت سوء لا أول لهم و لا آخر و الله ما ترك نبي الله فيهم خيرا استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس . فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين أنا أول من أعانك في أمرهم فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي فقال و الله ما قلت صوابا و لا هممت برشد أ رهط رسول الله ص تعيب و إياهم تقتل و العرب حولك و الله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوغه الله لك و الله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره فقال اجلس أبا صفوان فلست بناموس . فبلغ الخبر عبد الله بن العباس فخرج مغضبا و معه ابنه حتى أتى المسجد فقصد قصد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسول الله ص ثم قال أيها الناس إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله ص و لا آخر فيا عجبا كل العجب لافترانه و لكذبه و الله إن أول من أخذ الإيلاف و حمى عيرت

[129]

قريش لهاشم و إن أول من سقى بمكة عذبا و جعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب و الله لقد نشأت ناشنتنا مع ناشنة قريش و إن كنا لقالتهم إذا قالوا و خطباءهم إذا خطبوا و ما عد مجد كمجد أولنا و لا كان في قريش مجد لغيرنا لأنها في كفر ماحق و دين فاسق و ضلة و ضلالة في عشواء عمياء حتى اختار الله تعالى لها نورا و بعث لها سراجا فانتجبه طيبا من طيبين لا يسبه بمسبة و لا يبغى عليه غائلة فكان أحدنا و ولدنا و عمنا و ابن عمنا ثم إن أسبق السابقين إليه منا و ابن عمنا ثم تلاه في السبق أهلنا و لحمتنا واحدا بعد واحد . ثم إنا لخير الناس بعده و أكرمهم أدبا و أشرفهم حسبا و أقربهم منه رحما . و ا عجبا كل العجب لابن الزبير يعيب بني هاشم و إنما شرف هو و أبوه و جده بمصاهرتهم أما و الله إنه لمسلوب قريش و متى كان العوام بن خويلد يطمع في صفة بنت عبد المطلب قيل للبلع من أبوك يا بعل فقال خالي الفرس ثم نزل . خطب ابن الزبير بمكة على المنبر و ابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر فقال إن هاهنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره يزعم أن متعة النساء حلال من الله و رسوله و يفتي في القملة و النملة و قد احتل بيت مال البصرة بالأمس و ترك المسلمين بها يرتضخون النوى و كيف ألومه في ذلك و قد قاتل أم المؤمنين و حوارى رسول الله ص و من وقاه بيده .

[130]

فقال ابن عباس لقانده سعد بن جببر بن هشام مولى بني أسد بن خزيمة استقبل بي وجه ابن الزبير و ارفع من صدري و كان ابن عباس قد كف بصره فاستقبل به قانده وجه ابن الزبير و أقام قامته فحسر عن ذراعيه ثم قال يا ابن الزبير

قد أنصف القارة من رامها

إنا إذا ما فنة نلقاها

نرد أولها على أخراها

حتى تصير حرصا دعواها

يا ابن الزبير أما العمى فإن الله تعالى يقول **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** و أما فتياي في القملة و النملة فإن فيها حكيم لا تعلمها أنت و لا أصحابك و أما حملي المال فإنه كان مالا جبيناه فأعطينا كل ذي حق حقه و بقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا و أما المتعة فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بردي عوسجة و أما قتالنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بك و لا بأبيك فانطلق أبوك و خالك إلى حجاب مده الله عليها فهتكاه عنها ثم اتخذها فتنة يقاتلان دونها و صانا حلالهما في بيوتهما فما أنصفا الله و لا محمدا من أنفسهما أن أبرزا زوجة نبيه و صانا حلالهما و أما قتالنا إياكم فإننا لقينا زحفا فإن كنا كفارا فقد كفرتم بفراركم منا و إن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا و ايم الله لو لا مكان صفية فيكم و مكان خديجة فينا لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظما إلا كسرتة . فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سأله عن بردي عوسجة فقالت ألم أنك عن ابن عباس و عن بني هاشم فإنهم كعم الجواب إذا بدهوا فقال بلى و عصيتك .

[131]

فقلت يا بني احذر هذا الأعمى الذي ما أطافته الإيس و الجن و اعلم أن عنده فضائح قريش و مخازيها بأسرها فإياك و إياه آخر الدهر فقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي

يا ابن الزبير لقد لاقيت بانقة

من البوانق فالطف لطف محتال

لاقيته هاشميا طاب منبته

في مغرسيه كريم العم و الخال

ما زال يقرع عنك العظم مقتدرا

على الجواب بصوت مسمع عال

حتى رأيتك مثل الكلب منجحرا

خلف الغبيط و كنت الباذخ العالي

إن ابن عباس المعروف حكمته

خير الأنام له حال من الحال

عيرته المتعة المتبوع سنتها

و بالقتال و قد عيرت بالمال

لما رماك على رسل بأسهمه

جرت عليك بسيف الحال و البال

فاحتز مقولك الأعلى بشفرته

حزا وحيا بلا قيل و لا قال

و اعلم بأنك إن عاودت غيبته

عادت عليك مخاز ذات أنيال

و روى عثمان بن طلحة العبدري قال شهدت من ابن عباس رحمه الله مشهدا ما سمعته من رجل من قريش كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم و هو يومئذ أمير المدينة سرير آخر أصغر من سريره فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل و توضع الوسائد فيما سوى ذلك فأذن مروان يوما للناس و إذا سرير آخر قد أحدث تجاه سرير مروان فأقبل ابن عباس فجلس على سريره و جاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المحدث و سكت مروان و القوم فإذا يد ابن الزبير

[132]

تتحرك فعلم أنه يريد أن ينطق ثم نطق فقال إن ناسا يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطا و فلتة و مغالبة ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا و يزعمون أنه لو لا ما وقع لكان الأمر لهم و فيهم و الله ما كان من أصحاب محمد ص أحد أثبت إيمانا و لا أعظم سابقة من أبي بكر فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر فلم يكن إلا ما قال ثم ألقى عمر حظهم في حظوظ و جدهم في جدود فقسمت تلك الحظوظ فأخر الله سهمهم و أدحض جدهم و ولي الأمر عليهم من كان أحق به منهم فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجا من القرية فأصابوا منه غرة فقتلوه ثم قتلهم الله به قتلة و صاروا مطرودين تحت بطون الكواكب . فقال ابن عباس على رسلك أيها القائل في أبي بكر و عمر و الخلافة أما و الله ما نالا و لا نال أحد منهما شيئا إلا و صاحبنا خير ممن نالا و ما أنكرنا تقدم من تقدم لعيب عبناه عليه و لو تقدم صاحبنا لكان أهلا و فوق الأهل و لو لا أنك إنما تذكر حظ غيرك و شرف امرئ سواك لكلمتك و لكن ما أنت و ما لا حظ لك فيه اقتصر على حظك و دع تيمنا لتيم و عديا لعدي و أمية لأمية و لو كلمني تيمي أو عدوي أو أموي لكلمته و أخبرته خبر حاضر عن حاضر لا خبر غائب عن غائب و لكن ما أنت و ما ليس عليك فإن يكن في أسد بن عبد العزى شيء فهو لك أما و الله لنحن أقرب بك عهدا و أبيض عندك يدا و أوفر عندك نعمة ممن أمسيت تظن أنك تصول به علينا و ما أخلق ثوب صفية بعد و الله المستعان على ما تصفون .

[133]

أوصى معاوية يزيد ابنه لما عقد له الخلافة بعده فقال إني لا أخاف عليك إلا ممن أوصيك بحفظ قرابته و رعاية حق رحمه من القلوب إليه مانلة و الأهواء نحوه جانحة و الأعين إليه طامحة و هو الحسين بن علي فاقسم له نصيبا من حلمك و اخصه بقسط وافر من مالك و متعه بروح الحياة و أبلغ له كل ما أحب في أيامك فأما من عداه فتلاثة و هم عبد الله بن عمر رجل قد وفذته العبادة فليس يريد الدنيا إلا أن تجينه طاعة لا تراق فيها محجمة دم و عبد الرحمن بن أبي بكر رجل هقل لا يحمل ثقلا و لا يستطيع نهوضا و ليس بذئ همة و لا شرف و لا أعوان و عبد الله بن الزبير و هو الذنب الماكر و الثعلب الخاطر فوجه إليه جدك و عزمك و نكيرك و مكرك و اصرف إليه سطوتك و لا تتق إليه في حال فإنه كالثعلب راغ بالختل عند الإرهاق و الليث صال بالجرأة عند الإطلاق و أما ما بعد هؤلاء فإني قد وطنت لك الأمم و ذلت لك أعناق المنابر و كفيته من قرب منك و من بعد عنك فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك . خطب عبد الله بن

الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال في خطبته يزيد القروذ يزيد الفهود يزيد الخمور يزيد الفجور أما و الله لقد بلغني أنه لا يزال مخمورا يخطب الناس و هو طافح في سكره فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فما أمسى ليلته حتى جهز جيش الحره و هو عشرون ألفا و جلس و الشموع بين يديه و عليه ثياب معصفرة و الجنود تعرض عليه ليلا فلما أصبح خرج فأبصر الجيش و رأى تعبته فقال

أبلغ أبا بكر إذا الجيش انبرى
و أخذ القوم على وادي القرى

[134]

عشرين ألفا بين كهل و فتى
أ جمع سكران من القوم ترى
أم جمع ليث دونه ليث الشرى

لما خرج الحسين ع من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير و قال

يا لك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فيبيضي و اصفري
و نقري ما شنت أن تنقري
هذا الحسين سائر فأبشري

خلا الجو و الله لك يا ابن الزبير و سار الحسين إلى العراق فقال ابن الزبير يا ابن عباس و الله ما ترون هذا الأمر إلا لكم و لا ترون إلا أنكم أحق به من جميع الناس فقال ابن عباس إنما يرى من كان في شك و نحن من ذلك على يقين و لكن أخبرني عن نفسك بما ذا تروم هذا الأمر قال بشرفي قال و بما ذا شرفت إن كان لك شرف فإتما هو بنا فنحن أشرف منك لأن شرفك منا و علت أصواتهما فقال غلام من آل الزبير دعنا منك يا ابن عباس فو الله لا تحبوننا يا بني هاشم و لا نحبكم أبدا فلطمه عبد الله بن الزبير بيده و قال أ تتكلم و أنا حاضر فقال ابن عباس لم ضربت الغلام و الله أحق بالضرب منه من مزق و مرق قال و من هو قال أنت . قال و اعترض بينهما رجال من قريش فأسكتوهما .

[135]

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتها عاتبتك فيها قال هات فأنشده

لعمري ما أدري و إنني لأوجل
على أينا تعدو المنية أول
و إنني أخوك الدائم العهد لم أزل
إن أعياك خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذي عداوة

و أحبس يوما إن حبست فأعقل
و إن سوتني يوما صفحت إلى غد
ليعقب يوم منك آخر مقبل
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني
يمينك فانظر أي كف تبدل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل
و يركب حد السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل
و كنت إذا ما صاحب مل صحبتي
و بدل شرا بالذي كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن و لم أقم
على الضيم إلا ريثما أتحول
و في الناس إن رثت حبالك واصل
و في الأرض عن دار القلى متحول
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد
إليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقال معاوية لقد شعرت بعدي يا أبا خبيب و بينما هما في ذلك دخل معن بن أوس المزني فقال له معاوية إيه هل أحدثت
بعدنا شيئا قال نعم قال قل فأنشد هذه الأبيات فعجب معاوية و قال لابن الزبير أ لم تنشدها لنفسك أنفا فقال أنا سويت
المعاني و هو ألف الألفاظ و نظمها و هو بعد ظنري فما قال من شيء فهو لي و كان ابن الزبير مسترضعا في مزينة فقال
معاوية و كذبا يا أبا خبيب فقام عبد الله فخرج .

[136]

و قال الشعبي فقد رأيت عجا بفناء الكعبة أنا و عبد الله بن الزبير و عبد الملك بن مروان و مصعب بن الزبير فقام القوم
بعد ما فرغوا من حديثهم فقالوا ليقم كل واحد منكم فليأخذ بالركن اليماني ثم يسأل الله تعالى حاجته فقام عبد الله بن الزبير
فالتزم الركن و قال اللهم إنك عظيم ترحى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك و حرمة عرشك و حرمة بيتك هذا ألا تخرجني
من الدنيا حتى ألي الحجاز و يسلم علي بالخلافة و جاء فجلس . فقام أخوه مصعب فالتزم الركن و قال اللهم رب كل شيء
و إليك مصير كل شيء أسألك بقدرتك على كل شيء ألا تميئني حتى ألي العراق و أتزوج سكينه بنت الحسين بن علي ثم
جاء فجلس . فقام عبد الملك فالتزم الركن و قال اللهم رب السموات السبع و الأرض ذات النبت و القفر أسألك بما سألك به
المطيعون لأمرك و أسألك بحق وجهك و بحقك على جميع خلقك ألا تميئني حتى ألي شرق الأرض و غربها لا ينازعي أحد
إلا ظهرت عليه ثم جاء فجلس . فقام عبد الله بن عمر فأخذ بالركن و قال يا رحمان يا رحيم أسألك برحمتك التي سبقت

غضبك و بقدرتك على جميع خلقك ألا تميتني حتى توجب لي الرحمة . قال الشعبي فو الله ما خرجت من الدنيا حتى بلغ كل من الثلاثة ما سأل و أخلق بعبد الله بن عمر أن تجاب دعوته و أن يكون من أهل الرحمة .

[137]

قال الحجاج في خطبته يوم دخل الكوفة هذا أدب ابن نهية أما و الله لأودبنكم غير هذا الأدب . قال ابن ماکولا في كتاب الإكمال يعني مصعب بن الزبير و عبد الله أخاه و هي نهية بنت سعيد بن سهم بن هصيص و هي أم ولد أسد بن عبد العزى بن قصي و هذا من المواضع الغامضة . و روى الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش قال قدم وفد من العراق على عبد الله بن الزبير فأتوه في المسجد الحرام فسلموا عليه فسألهم عن مصعب أخيه و عن سيرته فيهم فأتوا عليه و قالوا خيرا و ذلك في يوم جمعة فصلى عبد الله بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم تمثل

قد جربوني ثم جربوني

من غلوتين و من المنين

حتى إذا شابوا و شبيبوني

خلوا عناني ثم سيبوني

أيها الناس إنني قد سألت هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الثناء عليه و ذكروا عنه ما أحب إلا إن مصعبا اطبى القلوب حتى لا تعدل به و الأهواء حتى لا تحول عنه و استمال الألسن بثنائها و القلوب بنصائحها و الأنفس بمحبتها و هو المحبوب في خاصته المأمون في عامته بما أطلق الله به لسانه من الخير و بسط به يديه من البذل ثم نزل . و روى الزبير قال لما جاء عبد الله بن الزبير نعي المصعب صعد المنبر فقال

[138]

الحمد لله الذي له الخلق و الأمر يوتي الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء إلا و إنه لم يذل الله من كان الحق معه و لو كان فردا و لم يعزز الله ولي الشيطان و حزبه و إن كان الأتام كلهم معه إلا و إنه قد أتانا من العراق خبر أحننا و أفرحنا أتانا قتل المصعب رحمه الله فأما الذي أحننا فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوي بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر و كرم العزاء و أما الذي أفرحنا فإن قتله كان عن شهادة و إن الله تعالى جعل ذلك لنا و له ذخيرة ألا إن أهل العراق أهل الغدر و النفاق أسلموه و باعوه بأقل الثمن فإن يقتل المصعب فإننا لله و إنا إليه راجعون ما نموت جبجا كما يموت بنو العاص ما نموت إلا قتلا قعصا بالرماح و موتا تحت ظلال السيوف إلا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه و لا يبدي فإن تقبل الدنيا علي لا أخذها أخذ الأشر البطر و إن تدبر عني لا أبكي عليها بكاء الخرف المهتر و إن يهلك المصعب فإن في آل الزبير لخلفا ثم نزل . و روى الزبير بن بكار قال خطب عبد الله بن الزبير بعد أن جاءه مقتل المصعب فحمد الله و أثنى عليه ثم قال لنن أصبت بمصعب فلقد أصبت بإمامي عثمان فعظمت مصيبتته ثم أحسن الله و أجمل و لنن أصبت بمصعب فلقد أصبت بأبي الزبير فعظمت مصيبتته فظننت أني لا أجيها ثم أحسن الله و سلم و استمرت مريرتي و هل كان مصعب إلا فتى من فتياي ثم غلبه البكاء فسالت دموعه و قال كان و الله سريرا مريرا ثم قال

هم دفعوا الدنيا على حين أعرضت

كراما و سنوا للكرام التأسيا

و روى أبو العباس في الكامل أن عروة لما صلب عبد الله جاء إلى عبد الملك فوقف ببابه و قال للحاجب أعلم أمير المؤمنين أن أبا عبد الله بالبواب فدخل الحاجب فقال رجل يقول قولاً عظيماً قال و ما هو فتهدب فقال قل قال رجل يقول قل لأمير المؤمنين أبو عبد الله بالبواب فقال عبد الملك قل لعروة يدخل فدخل فقال تأمر بإنزال جيفة أبي بكر فإن النساء يجزعن فأمر بإنزاله قال و قد كان كتب الحجاج إلى عبد الملك يقول إن خزائن عبد الله عند عروة فمره فليسلمها فدفع عبد الملك إلى عروة و ظن أنه يتغير فلم يحفل بذلك كأنه ما قرأه فكتب عبد الملك إلى الحجاج ألا يعرض لعروة . و من الكلام المشهور في بخل عبد الله بن الزبير الكلام الذي يحكى أن أعرابياً أتاه يستحمله فقال قد نعب خف راحلتي فاحملني إني قطعت الهواجر إليك عليها فقال له ارفعها بسبت و اخصفها بهلب و أنجد بها و سر بها البردين فقال إنما أتيتك مستحلام أتك مستوصفا لعن الله ناقة حملتني إليك قال إن و راكبها .

و هذا الأعرابي هو فضالة بن شريك فهجاه فقال

أرى الحاجات عند أبي خبيب

نكدن و لا أمية بالبلاد

من الأعياص أو من آل حرب

أغر كغرة الفرس الجواد

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال يا أمير المؤمنين لا تدعن مروان يرمي جماهير قريش بمشاقصه و يضرب صفاتهم بمعوله أما و الله إنه لو لا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشه و أقل في أنفسنا من خشاشة و ايم الله لنن ملك أعنة خيل تنقاد له لتركين منه طبقاً تخافه . فقال معاوية إن يطلب مروان هذا الأمر فقد طمع فيه من هو دونه و إن يتركه يتركه لمن فوقه و ما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا يعطف عليكم بقراية و لا يذكركم عند ملمة يسومكم خسفا و يسوقكم عسفا . فقال ابن الزبير إذن و الله يطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد تتبع غطريفاً من قريش لم تكن أمه راعية تلة . فقال معاوية أنا ابن هند أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنم و شربت عنفوان المكرع و ليس للأكل بعدي إلا الفلذة و لا للشارب إلا الرنق .

فسكت ابن الزبير . قدم عبد الله بن الزبير على معاوية وافداً فرحب به و أدناه حتى أجلسه على سريره ثم قال حاجتك أبا خبيب فسأله أشياء ثم قال له سل غير ما سألت قال نعم المهاجرون و الأنصار ترد عليهم فينهم و تحفظ وصية نبي الله فيهم تقبل من محسنهم و تتجاوز عن مسينهم . فقال معاوية هيهات هيهات لا و الله ما تأمن النعجة الذنب و قد أكل أليتها .

فقال ابن الزبير مهلا يا معاوية فإن الشاة لتندر للحالب و إن المدينة في يده و إن الرجل الأريب ليصانع ولده الذي خرج من صلبه و ما تدور الرحي إلا بقطبها و لا تصلح القوس إلا بمعجسها . فقال يا أبا حبيب لقد أجزرت الطروقة قبل هباب الفحل هيهات و هي لا تصطك لحبانها اصطكك القروم السوامي فقال ابن الزبير العطن بعد العل و العل بعد النهل و لا بد للرحاء من الثفال ثم نهض ابن الزبير . فلما كان العشاء أخذت قريش مجالسها و خرج معاوية على بني أمية فوجد عمرو

[142]

بن العاص فيهم فقال ويحكم يا بني أمية أفيكم من يكفيني ابن الزبير فقال عمرو أنا أكفيك يا أمير المؤمنين قال ما أظنك تفعل قال بلى و الله لأربدن وجهه و لأخرسن لسانه و لأردنه ألين من خميلة . فقال دونك فاعرض له إذا دخل فدخل ابن الزبير و كان قد بلغه كلام معاوية و عمرو فجلس نصب عيني عمرو فتحدثوا ساعة ثم قال عمرو

و إني لنار ما يطاق اصطلاؤها

لدي كلام معضل متفاهم

فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت في الأرض ثم رفع رأسه و قال

و إني لبحر ما يسامى عبابه

متى يلق بحري حر نارك يخمد

فقال عمرو و الله يا ابن الزبير إنك ما علمت لمتجلبب جلابيب الفتنة متأزر بوصائل النيه تتعاطى الذرى الشاهقة و المعالي الباسقة و ما أنت من قريش في لباب جوهرها و لا مؤنق حسبها . فقال ابن الزبير أما ما ذكرت من تعاطي الذرى فإنه طال بي إليها وسما ما لا يطول بك مثله أنف حمي و قلب ذكي و صارم مشرفي في تليد فارح و طريف مانع إذ قعد بك انتفاخ سحرك و وجيب قلبك و أما ما ذكرت من أنني لست من قريش في لباب جوهرها و مؤنق حسبها فقد حضرتني و إياك الأكفاء العالمون بي و بك فاجعلهم بيني و بينك .

[143]

فقال القوم قد أنصفك يا عمرو قال قد فعلت . فقال ابن الزبير أما إذ أمكنني الله منك فلأربدن وجهك و لأخرسن لسانك و لترجعن في هذه الليلة و كان الذي بين منكبيك مشدود إلى عروق أذعيك ثم قال أقسمت عليكم يا معاشر قريش أنا أفضل في دين الإسلام أم عمرو فقالوا اللهم أنت قال فأبي أفضل أم أبوه قالوا أبوك حواري رسول الله ص و ابن عمته قال فأمي أفضل أم أمه قالوا أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق و ذات النطاقين قال فعمتي أفضل أم عمته قالوا عمته سلمى ابنة العوام صاحبة رسول الله ص أفضل من عمته قال فخالتي أفضل أم خالته قالوا خالته عائشة أم المؤمنين قال فجدتي أفضل أم جدته فقال جدتك صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ص قال فجدتي أفضل أم جدته قالوا جدك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله ص فقال

قضت الغطارف من قريش بيننا

فاصبر لفصل خصامها و قضائها

و إذا جريت فلا تجار مبرزا
بذ الجياد على احتفال جرائها

أما والله يا ابن العاص لو أن الذي أمرك بهذا واجهني بمثله لقصرت إليه من سامي بصره و لتركته يتلجلج لسانه و
تضطرم النار في جوفه و لقد استعان منك بغير واف و لجأ إلى غير كاف ثم قام فخرج . و ذكر المسعودي في كتاب مروج
الذهب أن الحجاج لما حاصر ابن الزبير لم يزل يزحف حتى ملك الجبل المعروف بأبي قبيس و قد كان بيد ابن الزبير فكتب

[144]

بذلك إلى عبد الملك فلما قرأ كتابه كبير و كبير من كان في داره حتى اتصل التكبير بأهل السوق فكبروا و سأل الناس ما
الخبر فقيل لهم إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة و ظفر بأبي قبيس فقال الناس لا نرضى حتى يحمل أبو خبيب إلينا مكبلا
على رأسه برنس راكب جمل يظاف به في الأسواق تراه العيون . و ذكر المسعودي أن عمه عبد الملك كانت تحت عروة
بن الزبير و أن عبد الملك كتب إلى الحجاج يأمره بالكف عن عروة و ذلك قبل أن يقتل عبد الله و ألا يسوءه إذا ظفر بأخيه
في ماله و لا في نفسه قال فلما اشتد الحصار على عبد الله خرج عروة إلى الحجاج فأخذ لعبد الله أمانا و رجع إليه فقال هذا
عمرو بن عثمان و خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد و هما فتيا بني أمية يعطيانك أمان عبد الملك ابن عمهما على ما
أحدثت أنت و من معك و أن تنزل أي البلاد شئت و لك بذلك عهد الله و ميثاقه فأبى عبد الله قبول ذلك و نهته أمه و قالت لا
تموتن إلا كريما فقال لها إني أخاف إن قتلت أن أصلب أو يمثل بي فقالت إن الشاة بعد الذبح لا تحس بالسليخ . و روى
المسعودي أن عبد الله بن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية طلب من يؤمره على الكوفة و قد كان أهلها أحبوا أن يليهم غير
بني أمية فقال له المختار بن أبي عبيد اطلب رجلا له رفق و علم بما يأتي و تدبر قوله إياها يستخرج لك منها جندا تغلب
به أهل الشام فقال أنت لها فبعته إلى الكوفة فاتاها و أخرج ابن مطيع منها و ابنتى لنفسه دارا و أنفق عليها مالا جليلا و
سأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال العراق فلم يفعل فخلعه و جحد بيعته و دعا إلى الطالبين .

[145]

قال المسعودي و أظهر عبد الله بن الزبير الزهد في الدنيا و ملازمة العبادة مع الحرص على الخلافة و شبر بطنه فقال إنما
بطني شبر فما عسى أن يسع ذلك الشبر و ظهر عنه شح عظيم على سائر الناس ففي ذلك يقول أبو حمزة مولى آل الزبير

إن الموالى أمست و هي عاتبة
على الخليفة تشكوا الجوع و الحربا
ما ذا علينا و ما ذا كان يرزونا
أي الملوك على ما حولنا غلبا

و قال فيه أيضا

لو كان بطنك شبرا قد شبعت و قد
أفضلت فضلا كثيرا للمساكين

ما زلت في سورة الأعراف تدرسها
حتى فوادي مثل الخز في اللين

و قال فيه شاعر أيضا لما كانت الحرب بينه و بين الحصين بن نمير قبل أن يموت يزيد بن معاوية

فيا راكبا إما عرضت فبلغن
كبير بني العوام إن قيل من تعني
تخبر من لاقيت أنك عانذ
و تكثر قتلى بين زمزم و الركن

و قال الضحاك بن فيروز الديلمي

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة
و بطنك شبر أو أقل من الشبر
و أنت إذا ما نلت شيئا قضمته
كما قضمت نار الغضا حطب السدر
فلو كنت تجزي أو تثيب بنعمة
قريبا لردتك العطوف على عمرو

قال هو عمرو بن الزبير أخوه ضربه عبد الله حتى مات و كان مباينا له .

[146]

كان يزيد بن معاوية قد ولى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة فسرح الوليد منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير عليه عمرو بن الزبير فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو و أسلموه فظفر به عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد مجردا و لم يزل يضربه بالسياط حتى مات . و قد رأيت في غير كتاب المسعودي أن عبد الله وجد عمرا عند بعض زوجاته و له في ذلك خبر لا أحب أن أذكره . قال المسعودي ثم إن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن محمد بن الحنفية في حبس مظلم و أراد قتله فأعمل الحيلة حتى تخلص من السجن و تعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى و بها أبوه محمد بن الحنفية . ثم إن عبد الله جمع بني هاشم كلهم في سجن عارم و أراد أن يحرقهم بالنار و جعل في فم الشعب حطبا كثيرا فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فقال أبو عبد الله لأصحابه و يحكم إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بني هاشم فأتى عليهم فانتدب هو نفسه في ثمانمائة فارس جريفة فما شعر بهم ابن الزبير إلا و الرايات تخفق بمكة فقصد قصد الشعب فأخرج الهاشميين منه و نادى بشعار محمد بن الحنفية و سماه المهدي و هرب ابن الزبير فلاذ بأستار الكعبة فنهاهم محمد بن الحنفية عن طلبه

[147]

و عن الحرب و قال لا أريد الخلافة إلا إن طلبني الناس كلهم و اتفقوا علي كلهم و لا حاجة لي في الحرب . قال المسعودي و كان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب و جمعه الحطب ليحرقهم و يقول إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة و لا يختلف المسلمون و أن يدخلوا في الطاعة فتكون الكلمة واحدة كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار . قال المسعودي و خطب ابن الزبير يوم قدم أبو عبد الله الجدلي قبل قدومه بساعتين فقال إن هذا الغلام محمد بن الحنفية قد أبي بيعتي و الموعد بيني و بينه أن تغرب الشمس ثم أضرم عليه مكانه نارا فجاء إنسان إلى محمد فأخبره بذلك فقال سيمنعه مني حجاب قوي فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس و يرقب غيوبتها لينظر ما يصنع ابن الزبير فلما كادت تغرب حاست خيل أبي عبد الله الجدلي ديار مكة و جعلت تمعج بين الصفا و المروة و جاء أبو عبد الله الجدلي بنفسه فوقف على فم الشعب و استخرج محمدا و نادى بشعاره و استأذنه في قتل ابن الزبير فكره ذلك و لم يأذن فيه و خرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات .

[148]

و روى المسعودي عن سعيد بن جبير أن ابن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير إلام تؤنبنني و تعنفني قال ابن عباس إني سمعت رسول الله ص يقول بنس المرء المسلم يشبع و يجوع جاره و أنت ذلك الرجل فقال ابن الزبير و الله إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة و تشاجرا فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فأقام بالطائف حتى مات . و روى أبو الفرج الأصفهاني قال أتى فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير فقال نفدت نفقتي و نقتب ناقتي فقال أحضرنيها فأحضرها فقال أقبل بها أدبر بها ففعل فقال ارقعها بسبت و اخصفها بهلب و أنجد بها يبرد خفها و سر البردين تصح فقال فضالة إني أتيتك مستحملا و لم آتك مستوصفا فلعن الله ناقة حملتني إليك فقال إن و راكبها فقال فضالة

أقول لغلمة شدوا ركابي
أجاوز بطن مكة في سواد
فما لي حين أقطع ذات عرق
إلى ابن الكاهلية من معاد
سيبعد بيننا نص المطايا
و تعليق الأداوي و المزاد
و كل معبد قد أعلمته
مناسمهن طلاع النجاد

[149]

أرى الحاجات عند أبي خبيب
نكدن و لا أمية بالبلاد

من الأعياص أو من آل حرب

أغر كغرة الفرس الجواد

قال ابن الكاهلية هو عبد الله بن الزبير و الكاهلية هذه هي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى و اسمها زهرة بنت عمرو بن
خنثر بن رويثة بن هلال من بني كاهل بن أسد بن خزيمة قال فقال عبد الله بن الزبير لما بلغه الشعر علم أنها شر أمهاتي
فغيرني بها و هي خير عماته . و روى أبو الفرج قال كانت صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي تحت عبد الله بن عمر
بن الخطاب فمشى ابن الزبير إليها فذكر لها أن خروجه كان غضبا لله عز و جل و لرسوله ص و للمهاجرين و الأنصار
من أثرة معاوية و ابنه بالفيء و سألتها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن يبايعه فلما قدمت له عشائه ذكرت له أمر ابن
الزبير و عبادته و اجتهاده و أثنت عليه و قالت إنه ليدعو إلى طاعة الله عز و جل و أكثرت القول في ذلك فقال لها ويحك أ
ما رأيت البغلات الشهب التي كان يحج معاوية عليها و تقدم إلينا من الشام قالت بلى قال و الله ما يريد ابن الزبير بعبادته
غيرهن

وَقَالَ ع : مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ أَوْلُهُ نُطْفَةٌ وَ آخِرُهُ جِيْفَةٌ وَ لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ وَ لَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ قَدْ تَقَدَّمَ كَلَامُنَا فِي الْفَخْرِ وَ ذَكَرْنَا

الشعر الذي أخذ من هذا الكلام و هو قول القائل

ما بال من أوله نطفة

و جيفة آخره يفخر

يصبح ما يملك تقديم ما

يرجو و لا تأخير ما يحذر

فصل في الفخر و ما قيل في النهي عنه

و قال بعض الحكماء الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان و ذلك نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله و انحسر عنه قناع جهله فأعراض الدنيا عارية مستردة لا يؤمن في كل ساعة أن ترتجع و المباهي بها مباه بما في غير ذاته . و قد قال لبعض من فخر بثروته و وفره إن افتخرت بفرسك فالحسن و الفراهة له دونك و إن افتخرت بشيائك و آلاتك فالجمال لهما دونك و إن افتخرت بأبانك

[151]

و سلفك فالفضل فيهم لا فيك و لو تكلمت هذه الأشياء لقاتل لك هذه محاسننا فما محاسنك . و أيضا فإن الأعراض الدنيوية كما قيل سحابة صيف عن قليل تقشع و ظل زائل عن قريب يضمحل كما قال الشاعر

إنما الدنيا كرويا فرحت

من رآها ساعة ثم انقضت

بل كما قال تعالى **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ سَّمَاءٍ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَ اِرْبَيْتَ وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَاجٍ أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ .** و إذا كان لا بد من الفخر فليخفر الإنسان بعلمه و بشريف خلقه و إذا أعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك و بقاءه أو بقاءك و فناءه أو فناءكما جميعا و إذا راقك ما هو لك فانظر إلى قرب خروجه من يدك و بعد رجوعه إليك و طول حسابك عليه و قد ذم الله الفخور فقال **وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**

[152]

أَلْغِنِي وَ الْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَي لَا يَعِدُ الْغَنِي غَنِيَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا مَنْ حَصَلَ لَهُ ثَوَابُ الْآخِرَةِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا
و لَا يَعِدُ الْفَقِيرُ فَقِيرًا إِلَّا مَنْ لَمْ يَحْصَلْ لَهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ شَقِيًّا مَعَذِبًا وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَقْرُ بِالْحَقِيقَةِ . فَأَمَّا غِنَى الدُّنْيَا وَ فَقْرُهَا
فَأَمْرَانِ عَرَضِيَانِ زَوَالُهُمَا سَرِيعٌ وَ انْقِضَاؤُهُمَا وَشَدِيدٌ . وَ إِطْلَاقُ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ عَلَى مَسَامَهَاتِهِمَا الدُّنْيَوِيَّ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ
عِنْدَ أَرْبَابِ الطَّرِيقَةِ أَعْنَى الْعَارِفِينَ

وَسُنِّلَ عَنْ أَشْعَرِ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ ع إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْزُوا فِي حَلْبَةِ تُعْرَفِ الْغَايَةِ عِنْدَ قَصَبَتِهَا فَإِنْ كَانَ وَ لَا بُدَّ فَأَلْمَلِكُ الضِّلِيلُ قَالَ

يريد إمرأ القيس



في مجلس علي بن أبي طالب

قرأت في أمالي ابن دريد قال أخبرنا الجرهموزي عن ابن المهلب عن ابن الكلبي عن شداد بن إبراهيم عن عبيد الله بن الحسن العنبري عن ابن عرادة قال كان علي بن أبي طالب ع يعيشي الناس في شهر رمضان باللحم و لا يتعشى معهم فإذا فرغوا خطبهم و وعظهم فأفاضوا ليلة في الشعراء و هم على عشائهم فلما فرغوا خطبهم ع و قال في خطبته اعلموا أن ملاك أمركم الدين و عصمتكم التقوى و زينتكم الأدب و حصون أعضائكم اللحم ثم قال قل يا أبا الأسود فيم كنتم تفيضون فيه أي الشعراء أشعر فقال يا أمير المؤمنين الذي يقول

و لقد أعتدي يدافع ركني

أعوجي ذو ميعة إضريح

[154]

مخلط مزيل معن مفن

منفح مطرح سبوح خروج

يعني أبا دواد الإيادي فقال ع ليس به قالوا فمن يا أمير المؤمنين فقال لو رفعت للقوم غاية فجزوا إليها معا علمنا من السابق منهم و لكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة و لا رهبة قيل من هو يا أمير المؤمنين قال هو الملك الضليل ذو القروح قيل إمرؤ القيس يا أمير المؤمنين قال هو قيل فأخبرنا عن ليلة القدر قال ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها و لست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظرا لكم لأنه لو أعلمكموها عملتم فيها و تركتم غيرها و أرجو أن لا تخطنكم إن شاء الله انهضوا رحمكم الله . و قال ابن دريد لما فرغ من الخبر إضريح ينبثق في عدوه و قيل واسع الصدر و منفح يخرج الصيد من مواضعه و مطرح يبصره و خروج سابق . و الغاية بالغين المعجزة الراية قال الشاعر

و إذا غاية مجد رفعت

نهض الصلت إليها فحوها

و يروى قول الشماخ

إذا ما راية رفعت لمجد

تلقاها غرابة باليمين

بالغين و الرء أكثر فأما البيت الأول فبالغين لا غير أنشده الخليل في عروضه و في حديث طويل في الصحيح فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا و الميعة أول جري الفرس و قيل الجري بعد الجري

[155]

اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض

و أنا أذكر في هذا الموضوع ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض و أبتدئ في ذلك بما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني قال أبو الفرج الثلاثة المقدمون على الشعراء إمرو القيس و زهير و النابغة لا اختلف في أنهم مقدمون على الشعراء كلهم و إنما اختلف في تقديم بعض الثلاثة على بعض . قال فأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن أبي قبيس عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال شاعر أهل الجاهلية زهير . قال و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة عن هارون بن عمر عن أيوب بن سويد عن يحيى بن زياد عن عمر بن عبد الله الليثي قال قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلى الجابية أين عبد الله بن عباس فأتي به فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب ع عنه قال ابن عباس فقلت له أ و لم يعتذر إليك قال بلى قلت فهو ما اعتذر به قال ثم أنشأ يحدثني فقال إن أول من راثكم عن هذا الأمر أبو بكر إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة و النبوة قال أبو الفرج ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فكرهت ذكرها ثم قال يا ابن عباس هل تروي لشاعر الشعراء قلت و من هو قال ويحك شاعر الشعراء الذي يقول

فلو أن حمدا يخلد الناس خلدوا

و لكن حمد الناس ليس بمخلد

[156]

فقلت ذاك زهير فقال ذاك شاعر الشعراء قلت و بم كان شاعر الشعراء قال إنه كان لا يعاظم الكلام و يتجنب وحشيه و لا يمدح أحدا إلا بما فيه . قال أبو الفرج و أخبرني أبو خليفة قال ابن سلام و أخبرني عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامة بن موسى و كان من أهل العلم أنه كان يقدم زهيراً قال فقلت له أي شعره كان أعجب إليه فقال الذي يقول فيه

قد جعل المبتغون الخير في هرم

و السائلون إلى أبوابه طرقاً

قال ابن سلام و أخبرني أبو قيس العنبري و لم أر بدويًا يفِي به عن عكرمة بن جرير قال قلت لأبي يا أبت من أشعر الناس قال أ عن أهل الجاهلية تسألني أم عن أهل الإسلام قال قلت ما أردت إلا الإسلام فإذا كنت قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها فقال زهير أشعر أهلها قلت فالإسلام قال الفرزدق نبعة الشعر قلت فالأخطل قال يجيد مدح الملوك و يصيب وصف الخمر قلت فما تركت لنفسك قال إني نحرته الشعر نحراً . قال و أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال سألت معاوية الأحنف عن أشعر الشعراء فقال زهير قال و كيف ذاك قال ألقى على

المادحين فضول الكلام و أخذ خالصه و صفوته قال مثل ما ذا قال مثل قوله

و ما يك من خير أتوه فإنما

توارثه آباء آبائهم قبل

و هل ينبت الخطي إلا وشيجه

و تغرس إلا في منابتها النخل

قال و أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا

[157]

عبد الله بن عمرو والقيسي قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس قال خرجت مع عمر في أول غزاة غزاها فقال لي ليلة يا ابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء قلت من هو قال ابن أبي سلمى قلت و لم صار كذلك قال لأنه لا يتبع حوشي الكلام و لا يعاقل في منطقته و لا يقول إلا ما يعرف و لا يمدح الرجل إلا بما فيه أ ليس هو الذي يقول

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية

إلى المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طلق مبرز

سبوق إلى الغايات غير مزند

قال أي لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسوط .

كفعل جواد يسبق الخيل عفوه

السراع و إن يجهد و يجهدن يبعد

فلو كان حمدا يخلد الناس لم تمت

و لكن حمد الناس ليس بمخلد

أنشدني له فأنشدته حتى برق الفجر فقال حسبك الآن اقرأ القرآن قلت ما أقرأ قال الواقعة فقرأتها و نزل فأذن و صلى . و

قال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء دخل الحطينة على سعيد بن العاص متنكرا فلما قام الناس و بقي الخواص

أراد الحاجب أن يقيمه فأبى أن يقوم فقال سعيد دعه و تذاكروا أيام العرب و أشعارها فلما أسهبوا قال الحطينة ما صنعتم

شينا فقال سعيد فهل عندك علم من ذلك قال نعم قال فمن أشعر العرب قال الذي يقول

قد جعل المبتغون الخير في هرم

و السائلون إلى أبوابه طرقا

قال ثم من قال الذي يقول

[158]

فإنك شمس و الملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

يعني زهيراً ثم النابغة ثم قال و حسبك بي إذا وضعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت في أثر القوافي كما يعوي الفصيل في أثر أمه قال فمن أنت قال أنا الحطينة فرحب به سعيد و أمر له بألف دينار . قال و قال من احتج لزهير كان أحسنهم شعراً و أبعدهم من سخف و أجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق و أشدهم مبالغة في المدح و أبعدهم تكلفاً و عجرفية و أكثرهم حكمة و مثلاً سائراً في شعره . و

قد روى ابن عباس عن النبي ص أنه قال أفضل شعرائكم القائل و من من يعني زهيراً و ذلك في قصيدته التي أولها أ من أم أوفى يقول فيها

و من يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه و يذمم
و من لم يزد عن حوضه بسلاحه
يهدم و من لا يظلم الناس يظلم
و من هاب أسباب المنايا ينلنه
و لو نال أسباب السماء بسلم
و من يجعل المعروف من دون عرضه
يفره و من لا يتق الشتم يشتم

فأما القول في النابغة الذبياني فإن أبا الفرج الأصفهاني قال في كتاب الأغاني كنية النابغة أبو أمامة و اسمه زياد بن معاوية و لقب بالنابغة لقوله

فقد نبغت لهم منا شنون

و هو أحد الأشراف الذين غص الشعر منهم و هو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .

[159]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري و حبيب بن نصر قالاً حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو نعيم قال شريك عن مجالد عن الشعبي عن ربي بن حراش قال قال لنا عمر يا معشر غطفان من الذي يقول

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي

على خوف تظن بي الظنون

قلنا النابغة قال ذاك أشعر شعرائكم . قلت قوله أشعر شعرائكم لا يدل على أنه أشعر العرب لأنه جعله أشعر شعراء غطفان فليس كقوله في زهير شاعر الشعراء و لكن أبا الفرج قد روى بعد هذا خبراً آخر صريحاً في أن النابغة عند عمر أشعر العرب قال حدثني أحمد و حبيب عن عمر بن شبة قال حدثنا عبيد بن جناد قال حدثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن جده عن الشعبي قال قال عمر يوماً من أشعر الشعراء فقيل له أنت أعلم يا أمير المؤمنين قال من الذي يقول

إلا سليمان إذ قال الملوك له
قم في البرية فاحدها عن الفند
و خيس الجن إني قد أدنت لهم
يبنون تدمر بالصفاح و العمد

قالوا النابغة قال فمن الذي يقول

أتيتك عاريا خلفا ثيابي
على خوف تظن بي الظنون

قالوا النابغة قال فمن الذي يقول

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
و ليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة
لمبلغك الواشي أعش و أكذب

[160]

قالوا النابغة قال فهو أشعر العرب . قال و أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني علي بن محمد المدائني قال قام رجل إلى
ابن عباس فقال له أي الناس أشعر قال أخبره يا أبا الأسود فقال أبو الأسود الذي يقول

فإنك كالليل الذي هو مدركي
و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

يعني النابغة . قال أبو الفرج و أخبرني أحمد و حبيب عن عمر عن أبي بكر العليمي عن الأصمعي قال كان يضرب للنابغة
قبة أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فأنشده مرة الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم قوم من الشعراء ثم
جاءت الخنساء فأنشدته

و إن صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار

فقال لو لا أن أبا بصير يعني الأعشى أنشدني أنفا لقلت إنك أشعر الإنس و الجن فقام حسان بن ثابت فقال أنا و الله أشعر
منها و من أبيك فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول

فإنك كالليل الذي هو مدركي
و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطايف حجن في حبال متينة

تمد بها أيد إليك نوازع

قال فخنس حسان لقوله . قال و أخبرني أحمد و حبيب عن عمر عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء

[161]

قال حدثني رجل سماه أبو عمرو و أنسيته قال بينما نحن نسير بين أنقاء من الأرض فتذاكرنا الشعر فإذا راكب أطلس يقول أشعر الناس زياد بن معاوية ثم تملس فلم نره . قال و أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الأصمعي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول ما ينبغي لزهير إلا أن يكون أجيرا للنابغة . قال أبو الفرج و أخبرنا أحمد عن عمر قال قال عمرو بن المنتشر المرادي وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر من أمر و حلف عليه فقال له عبد الملك ما كنت حريا أن تفعل و لا تعتذر ثم أقبل على أهل الشام فقال أكرم يروي اعتذار النابغة إلى النعمان في قوله

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

و ليس وراء الله للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه فأقبل علي و قال أترويه قلت نعم فأنشدته القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب . قال و أخبرني أحمد و حبيب عن عمر عن معاوية بن بكر الباهلي قال قلت لحمامد الراوية لم قدمت النابغة قال لاكتفانك بالبيت الواحد من شعره لا بل بنصف البيت لا بل بربع البيت مثل قوله

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

و ليس وراء الله للمرء مذهب

و لست بمستبق أخا لا تلمه

على شعث أي الرجال المهذب

ربع البيت يغنيك عن غيره فلو تمثلت به لم تحتج إلى غيره . قال و أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن

هارون بن عبد الله

[162]

الزبيري قال حدثني شيخ يكنى أبا داود عن الشعبي قال دخلت على عبد الملك و عنده الأخطل و أنا لا أعرفه و ذلك أول يوم وفدت فيه من العراق على عبد الملك فقلت حين دخلت عامر بن شراحيل الشعبي يا أمير المؤمنين فقال على علم ما أذنا لك فقلت هذه واحدة على وافد أهل العراق يعني أنه أخطأ قال ثم إن عبد الملك سأل الأخطل من أشعر الناس فقال أنا فعجلت و قلت لعبد الملك من هذا يا أمير المؤمنين فتبسم و قال الأخطل فقلت في نفسي اثنتان على وافد أهل العراق فقلت له أشعر منك الذي يقول

هذا غلام حسن وجهه
مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر و الحارث
الأصغر فالأعرج خير الأنام
ثم لعمر و لعمر و قد
أسرع في الخيرات منه أمام

قال هي أمانة أم عمرو الأصغر بن المنذر بن إمرئ القيس بن النعمان بن الشقيقة

خمسة آباء هم ما هم
أفضل من يشرب صوب الغمام

و الشعر للنابغة فالتفت إلي الأخطل فقال إن أمير المؤمنين إنما سألتني عن أشعر أهل زمانه و لو سألتني عن أشعر أهل الجاهلية كنت حريا أن أقول كما قلت أو شبيها به فقلت في نفسي ثلاث على وافد أهل العراق . قال أبو الفرج و قد وجدت هذا الخبر أتم من هذه الرواية ذكره أحمد بن الحارث الخراز في كتابه عن المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج أنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا و قد أصبت منه و لم يبق

[163]

عندي شيء ألد من مناقلة الإخوان الحديث و قبلك عامر الشعبي فابعث به إلي فدعا الحجاج الشعبي فجهزه و بعث به إليه و قرظه و أطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال من أنت قال أنا عامر الشعبي قال يرحمك الله قال ثم نهض فأجلسني على كرسية فلم يلبث أن خرج إلي فقال ادخل يرحمك الله فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي و بين يديه رجل أبيض الرأس و اللحية جالس على كرسي فسلمت فرد علي السلام فأوما إلي بقضيبه فجلست عن يساره ثم أقبل علي ذلك الإنسان الذي بين يديه فقال له من أشعر الناس فقال أنا يا أمير المؤمنين قال الشعبي فأظلم ما بيني و بين عبد الملك فلم أصبر أن قلت و من هذا الذي يزعم أنه أشعر الناس يا أمير المؤمنين فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي فقال هذا الأخطل فقلت يا أخطل أشعر و الله منك الذي يقول

هذا غلام حسن وجهه
مستقبل الخير سريع التمام

الآبيات قال فاستحسنها عبد الملك ثم رددتها عليه حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا الشعبي فقال و الجيلون ما استعدت بالله من شر إلا من هذا أي و الإنجيل صدق و الله يا أمير المؤمنين النابغة أشعر مني قال الشعبي فأقبل عبد الملك حينئذ علي فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير يا أمير المؤمنين فلا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذير لما كان من خلفي مع ابن الأشعث علي الحجاج فقال مه إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق و لا تراه منا في قول و لا فعل حتى تفارقنا ثم أقبل علي فقال ما تقول في النابغة قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب

في غير موطن على جميع الشعراء ثم أنشدته الشعر الذي كان عمر يعجب به من شعره و قد تقدم ذكره قال فأقبل عبد الملك على الأخطل فقال له أ تحب أن لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب أم تحب أنك قلته قال لا و الله يا أمير المؤمنين إلا أنني وددت أنني كنت قلت أبياتا قالها رجل منا ثم أنشده قول القطامي

إنا محيوك فاسلم أيها الظل
و إن بليت و إن طالت بك الطيل
ليس الجديد به تبقى بشاشته
إلا قليلا و لا ذو خلة يصل
و العيش لا عيش إلا ما تقر به
عين و لا حال إلا سوف تنتقل
إن ترجعي من أبي عثمان منجحة
فقد يهون على المستنجح العمل
و الناس من يلق خيرا قائلون له
ما يشتهي و لأم المخطئ الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته
و قد يكون مع المستعجل الزلل

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال و ما قال قلت قال

طرقت جنوب رحالنا من مطرق
ما كنت أحسبها قريب المعنق

إلى آخرها فقال عبد الملك تكلت القطامي أمه هذا و الله الشعر قال فالتفت إلى الأخطل فقال يا شعبي إن لك فنونا في الأحاديث و إنما لي فن واحد فإن رأيت ألا تحملي علي أكتاف قومك فأدعهم حرضا فقلت لا أعرض لك في شيء من الشعر أبدا فأقلني هذه المرة فقال من يتكفل بك قلت

أمير المؤمنين فقال عبد الملك هو علي أنه لا يعرض لك أبدا ثم قال عبد الملك يا شعبي أي نساء الجاهلية أشعر قلت الخنساء قال و لم فضلتها على غيرها قلت لقولها

و قانلة و النعش قد فات خطوها
لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا هبلى أم الذلىن غدوا به
إلى القبر ما ذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك أشعر منها و الله التي تقول

مهفهف أهضم الكشحن منخرق
عنه القميص بسير الليل محتقر
لا يأمن الدهر ممساه و مصبحة
من كل أوب و إن يغز ينتظر

قال ثم تبسم عبد الملك و قال لا يشقن عليك يا شعبي فإنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أن أهل العراق يتطولون على أهل الشام و يقولون إن كان غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم و الرواية و أهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ثم ردد علي أبيات ليلي حتى حفظتها ثم لم أزل عنده أول داخل و آخر خارج فكنت كذلك سنين و جعلني في ألفين من العطاء و جعل عشرين رجلا من ولدي و أهل بيتي في ألف ألف ثم بعثني إلى أخيه عبد العزيز بمصر و كتب إليه يا أخي قد بعثت إليك بالشعبي فانظر هل رأيت قط مثله . قال أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة أوس بن حجر إن أبا عبيدة قال كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة قال و قد ذكر الأصمعي أنه سمع أبا عمرو بن العلاء يقول كان أوس بن حجر فحل العرب فلما نشأ النابغة طأطأ منه . و قال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء و قال من احتج للنابغة كان أحسنهم

[166]

ديباجة شعر و أكثرهم رونق كلام و أجزلهم بيتا كان شعره كلام ليس بتكلف و المنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر لأن الشاعر يحتاج إلى البناء و العروض و القوافي و المتكلم مطلق يتخير الكلام كيف شاء قالوا و النابغة نبغ بالشعر بعد أن احتتك و هلك قبل أن يهتر . قلت و كان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري يفضل النابغة و استقرأني يوما و بيدي ديوان النابغة قصيدته التي يمدح بها النعمان بن المنذر و يذكر مرضه و يعتذر إليه مما كان اتهم به و قذفه به أعداؤه و أولها

كتمتك ليلا بالجمومين ساهرا
و همين هما مستكنا و ظاهرا
أحاديث نفس تشتكي ما يريبها
و ورد هموم لو يجدن مصادرا
تكلفني أن يغفل الدهر همها
و هل وجدت قبلي على الدهر ناصرا

يقول هذه النفس تكلفني ألا يحدث لها الدهر هما و لا حزنا و ذلك مما لم يستطعه أحد قبلي .

ألم تر خير الناس أصبح نعشه
على فتية قد جاوز الحي سائرا

كان الملك منهم إذا مرض حمل على نعش و طيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة و الخورنق و النجف ينزهونه .

و نحن لديه نسأل الله خلده
يرد لنا ملكا و للأرض عامرا
و نحن نرجي الخير إن فاز قدحنا
و نرهب قدح الدهر إن جاء قامرا
لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا
و أصبح جد الناس بعدك عاثرا
و ردت مطايا الراغبين و عريت
جياذك لا يحفي لها الدهر حافرا

[167]

رأيتك ترعاني بعين بصيرة
و تبعث حراسا علي و ناظرا
و ذلك من قول أتك أقوله
و من دس أعداء إليك المآبرا
فأليت لا آتيك إن كنت مجرما
و لا أبتغي جارا سواك مجاورا

أي لا آتيك حتى يثبت عندك أنني غير مجرم .

فأهلي فداء لامرئ إن أتيته
تقبل معروفي و سد المفاقرا
سأربط كلبي إن يريبك نبجه
و إن كنت أرعى مسحلان و حامرا

أي سأمسك لساني عن هجانك و إن كنت بالشام في هذين الواديين البعيدين عنك .

و حلت بيوتي في يفاع ممنع
تخال به راعي الحمولة طائرا
تزل الوعول العصم عن قذفاته
و يضحى نراه بالسحاب كوافرا

حذارا على ألا تنال مقادتي

و لا نسوتي حتى يمتن حرانرا

يقول أنا لا أهجرك و إن كنت من المنعة و العصمة على هذه الصفة .

أقول و قد شطت بي الدار عنكم

إذا ما لقيت من معد مسافرا

ألا أبلغ النعمان حيث لقيته

فأهدى له الله الغيوث البواكرا

و أصبحه فلجا و لا زال كعبه

على كل من عادى من الناس ظاهرا

و رب عليه الله أحسن صنعه

و كان على كل المعادين ناصرا

فجعل أبو جعفر رحمه الله يهتز و يطرب ثم قال و الله لو مزجت هذه القصيدة بشعر البحترى لكادت تمتزج لسهولتها و سلامة ألفاظها و ما عليها من الديباجة و الرونق من يقول إن إمرأ القيس و زهيرا أشعر من هذا هلموا فليحاكموني .

[168]

فأما إمرؤ القيس بن حجر فقال محمد بن سلام الجمحي في كتاب طبقات الشعراء أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمونه على الشعراء كلهم و أن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى و أن أهل الحجاز و البادية يقدمون زهيرا و النابغة . قال ابن سلام فالطبقة الأولى إذن أربعة قال و أخبرني شعيب بن صخر عن هارون بن إبراهيم قال سمعت قانلا يقول للفرزدق من أشعر الناس يا أبا فراس فقال ذو القروح يعني إمرأ القيس قال حين يقول ما ذا قال حين يقول

وقاهم جدهم ببني أبيهم

و بالأشقين ما كان العقاب

قال و أخبرني أبان بن عثمان البجلي قال مر لبيد بالكوفة في بني نهد فأتبعوه رسول يسأله من أشعر الناس فقال الملك الضليل فأعادوه إليه فقال ثم من فقال الغلام القتيل يعني طرفة بن العبد و قال غير أبان قال ثم ابن العشرين قال ثم من قال الشيخ أبو عقيل يعني نفسه . قال ابن سلام و احتج لإمرؤ القيس من يقدمه فقال إنه ليس قال ما لم يقولوه و لكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعتها استحسنتها العرب فاتبعه فيها الشعراء منها استيقاف صحبه و البكاء في الديار و رقة النسب و قرب المأخذ و تشبيه النساء بالطباء و بالبيض و تشبيه الخيل بالعقبان و العصي و قيد الأوابد و أجاد في النسب و فصل بين النسب و بين المعنى و كان أحسن الطبقة تشبيها . قال و حدثني معلم لبني داود بن علي قال بينا أنا أسير في البادية إذا أنا برجل على ظليم قد زمه و خطمة و هو يقول

[169]

هل يبلغنيهم إلى الصباح

هقل كأن رأسه جماح

قال فما زال يذهب به ظليمه و يجيء حتى أنست به و علمت أنه ليس باتسي فقلت يا هذا من أشعر العرب فقال الذي يقول

أ غرك مني أن حبك قاتلي

و أنك مهما تأمري القلب يفعل

يعني إمرأ القيس قلت ثم من قال الذي يقول

و يبرد برد رداء العروس

بالصيف رقرقت فيه العبيرا

و يسخن ليلة لا يستطيع

نباحا بها الكلب إلا هريرا

ثم ذهب به ظليمه فلم أره . قال و حدث عوانة عن الحسن أن رسول الله ص قال لحسان بن ثابت من أشعر العرب قال الزرق العيون من بني قيس قال لست أسألك عن القبيلة إنما أسألك عن رجل واحد فقال حسان يا رسول الله إن مثل الشعراء و الشعر كمثل ناقة نحرت فجاء إمرؤ القيس بن حجر فأخذ سنامها و أطانها ثم جاء المتجاوران من الأوس و الخزرج فأخذا ما والى ذلك منها ثم جعلت العرب تمزعها حتى إذا بقي الفرث و الدم جاء عمرو بن تميم و النمر بن قاسط فأخذه

فقال رسول الله ص ذلك رجل مذکور في الدنيا شريف فيها حامل يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار . فأما الأعشى فقد احتج أصحابه لتفضيله بأنه كان أكثرهم عروضاً و أذهبهم في فنون الشعر و أكثرهم قصيدة طويلة جيدة و أكثرهم مدحا و هجاء و كان أول من سأل

[170]

بشعره و إن لم يكن له بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه الثلاثة . و قد سنل خلف الأحمر من أشعر الناس فقال ما ينتهى إلى واحد يجمع عليه كما لا ينتهى إلى واحد هو أشجع الناس و لا أخطب الناس و لا أجمل الناس ف قيل له يا أبا محرز فأبهم أعجب إليك فقال الأعشى كان أجمعهم . قال ابن سلام و كان أبو الخطاب الأخفش مستهترا به يقدمه و كان أبو عمرو بن العلاء يقول مثله مثل البازي يضرب كبير الطير و صغيره و يقول نظيره في الإسلام جرير و نظير النابغة الأخطل و نظير زهير الفرزدق . فأما قول أمير المؤمنين ع الملك الضليل فإنما سمي إمرؤ القيس ضليلا لما يعلن به في شعره من الفسق و الضليل الكثير الضلال كالشريب و الخمير و السكر و الفسقي للكثير الشرب و إدمان الخمر و السكر و الفسق فمن ذلك قوله

فمثلك حبلى قد طرقت و مرضعا

فألهيته عن ذي تمانم محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق و تحتي شقها لم يحول

و قوله

سموت إليها بعد ما نام أهلها
سمو حباب الماء حالا على حال
فقلت لحاك الله إنك فاضحي
أ لست ترى السمار و الناس أحوالي
فقلت لها تالله أبرح قاعدا
و لو قطعوا رأسي لديك و أوصالي

[171]

فلما تنازعنا الحديث و أسمحت
هصرت بغصن ذي شماریخ مبال
فصرنا إلى الحسنی و رق كلامنا
و رضت فذلت صعبة أي إذلال
حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا فما إن من حديث و لا صالي
فأصبحت معشوقا و أصبح بعلمها
عليه القتام كاسف الوجه و البال

و قوله في اللامية الأولى

و بيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل
تخطيت أبوابا إليها و معشرا
علي حراصا لو يسرون مقتلي
فجنت و قد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر إلا لبسة المتفضل
فقلت يمين الله ما لك حيلة
و ما إن أرى عنك الغواية تنجلي
فقمتم بها أمشي نجر و راعنا
على إثرنا أذيال مرط مرجل

فلما أجزنا ساحة الحي و انتحى
بنا بطن خبت ذي حفاف عقنقل
هصرت بفودي رأسها فتمايلت
علي هضيم الكشح ريا المخخل

و قوله

فبت أكابد ليل التمام
و القلب من خشية مقشعر
فلما دنوت تسديتها
فثوبا نسييت و ثوبا أجر
و لم يرنا كالى كاشح
و لم يبد منا لدى البيت سر
و قد رابني قولها يا هناه
ويحك ألحقت شرا بشر

[172]

و قوله

تقول و قد جردتها من ثيابها
كما رعت مكحول المدامع أتلعا
لعمرك لو شيء أتانا رسوله
سواك و لكن لم نجد لك مدفعا
فبتنا نصد الوحش عنا كأننا
قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا
تجافى عن المأثور بيني و بينها
و تدني علي السابري المضلعا

و في شعر إمرئ القيس من هذا الفن كثير فمن أراد فليطلبه من مجموع شعره

[173]

وَ قَالَ ع : أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللَّمَاطَةَ لِأَهْلِهَا إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا اللَّمَاطَةَ بَفَتْحِ اللَّامِ مَا تَبَقِيَ فِي
الْفَمِ مِنَ الطَّعَامِ قَالَ يَصِفُ الدُّنْيَا

لمأظة أيام كأحلام نانم

و لمظ الرجل يلمظ بالضم لمظا إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه و أخرج لسانه فمسح به شفثيه و كذلك التلمظ يقال
تلمظت الحية إذا أخرجت لسانها كما يتلمظ الأكل . و قال ألا حر مبتدأ و خبره محذوف أي في الوجود و ألا حرف قال

ألا رجل جزاه الله خيرا

يدل على محصلة تبييت

ثم قال إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها من الناس من يبيع نفسه بالدرهم و الدنانير و من الناس من
يبيع نفسه بأحقر الأشياء و أهونها و يتبع هواه فيهلك و هؤلاء في الحقيقة أحق الناس إلا أنه قد رين على القلوب
فغطتها الذنوب و أظلمت الأنفس بالجهل و سوء العادة و طال الأمد أيضا على القلوب فقسست و لو أفكر الإنسان حق الفكر
لما باع نفسه إلا بالجنة لا غير

وَقَالَ ع : مَنهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَ طَالِبُ دُنْيَا تَقُولُ نَهْمٌ فَلَانَ بِكَذَا فَهُوَ مَنهُومٌ أَي مَوْلَعٌ بِهِ وَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ

مروية عن النبي ص منهومان لا يشبعان منهوم بالمال و منهوم بالعلم و النهم بالفتح إفراط الشهوة في الطعام تقول منه نهمت إلى الطعام بكسر الهاء أنهم فأنا نهيم و كان في القرآن آية أنزلت ثم رفعت لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثا و لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب . فأما طالب العلم العاشق له فإنه لا يشبع منه أبدا و كلما استكثر منه زاد عشقه له و تهالكه عليه مات أبو عثمان الجاحظ و الكتاب على صدره . و كان شيخنا أبو علي رحمه الله في النزاع و هو يملئ على ابنه أبي هاشم مسائل في علم الكلام و كان القاضي أحمد بن أبي دواد يأخذ الكتاب في خفه و هو راكب فإذا جلس في دار الخليفة اشتغل بالنظر فيه إلى أن يجلس الخليفة و يدخل إليه و قيل ما فارق ابن أبي دواد الكتاب قط إلا في الخلاء و أعرف أنا في زماننا من مكث نحو خمس سنين لا ينام إلا وقت السحر صيفا و شتاء مكبا على كتاب صنفه و كانت وسادته التي ينام عليها الكتاب

[175]

وَقَالَ ع : عَلَامَةُ الْإِيمَانِ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْتِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكُذْبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ وَ أَلَّا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ
عِلْمِكَ عَمَلِكَ وَ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ قَدْ أَخَذَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ الْقَائِلُ

عليك بالصدق و لو أنه

أحرقك الصدق بنار الوعيد

و ينبغي أن يكون هذا الحكم مقيدا لا مطلقا لأنه إذا أضر الصدق ضررا عظيما يؤدي إلى تلف النفس أو إلى قطع بعض
الأعضاء لم يجز فعله صريحا و وجبت المعاريض حينئذ . فإن قلت فالمعارض صدق أيضا فالكلام على إطلاقه قلت هي
صدق في ذاتها و لكن مستعملها لم يصدق فيما سئل عنه و لا كذب أيضا لأنه لم يخبر عنه و إنما أخبر عن شيء آخر و
هي المعاريض و التارك للخبر لا يكون صادقا و لا كاذبا فوجب أن يقيد إطلاق الخبر بما إذا كان الضرر غير عظيم و كانت
نتيجة الصدق أعظم نفعاً من تلك المضرة . قال ع و ألا يكون في حديث فضل عن علمك متى زاد منطق الرجل على علمه
فقد لغا و ظهر نقصه و الفاضل من كان علمه أكثر من منطق قوله و إن تتقي الله في حديث غيرك أي في نقله و روايته
فترويه كما سمعته من غير تحريف

وَقَالَ ع : يَغْلِبُ الْمُقَدَّارُ عَلَى التَّقْدِيرِ حَتَّى تَكُونَ الْأَفْئَةُ فِي التَّنْبِيرِ قَالَ وَ قَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِيمَا تَقَدَّمَ بِرَوَايَةِ تَخَالَفَ بَعْضُ
هَذِهِ الْأَلْفَاظِ قَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى وَ هُوَ كَثِيرٌ جِدًا وَ مِنْ جِيده قول الشاعر

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه
و لكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى تبلغ النفس عندها
و قلقل يبغى العز كل مقلقل

و قال أبو تمام

و ركب كأطراف الأسننة عرسوا
على مثلها و الليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم أن تتم صدوره
و ليس عليهم أن تتم عواقبه

و قال آخر

فإن بين حيطانا عليه فأنما
أولئك عقالاته لا معاقله

وَقَالَ ع : أَلْحَلْمُ وَ الْأَتَاةُ تَوَأْمَانٍ يُنْجِيهِمَا عُلُوُّ الْأَهْمَةِ قَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى وَ شَرَحَهُ مَرَارًا . وَ قَالَ ابْنُ هَانِي

و كل أناة في المواطن سوؤد
و لا كناة من تدبر محكم
و من يتبين أن للسيف موضعا
من الصفح يصفح عن كثير و يحلم

و قال أرباب المعاني علمنا الله تعالى فضيلة الأناة بما حكاه عن سليمان **سَنَنْظُرُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** . و كان يقال
الأناة حصن السلامة و العجلة مفتاح الندامة . و كان يقال الثاني مع الخيبة خير من التهور مع النجاح . و قال الشاعر

الرفق يمن و الأناة سعادة
فتان في أمر تلاق نجاحا

[178]

و قال من كره الأناة و ذمها لو كانت الأناة محمودة و العجلة مذمومة لما قال موسى لربه **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى** . و
أنشدوا

عيب الأناة و إن سرت عواقبها
أن لا خلود و أن ليس الفتى حجرا

و قال آخر

كم من مضيع فرصة قد أمكنت
لغد و ليس له غد بمواتي
حتى إذا فاتت و فات طلابها
ذهبت عليها نفسه حسرات

[179]

وَ قَالَ ع : أَلْغِيْبَةُ جُهْدُ أَلْعَاجِزِ قَدْ تَقْدَمُ كَلَامُنَا فِي الْغِيْبَةِ مُسْتَقْصَى . وَ قِيلَ لِلْأَحْنَفِ مِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ قَالَ مِنْ إِذَا حَضَرَ هَابُوهُ
وَ إِذَا غَابَ اِغْتَابُوهُ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ

وَ يَغْتَابُنِي مِنْ لَوْ كَفَانِي اِغْتِيَابَهُ
لَكُنْتُ لَهُ الْعَيْنَ الْبَصِيْرَةَ وَ الْأَذْنَآ
وَ عِنْدِي مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَوْ ذَكَرْتَهَا
إِذَا قَرَعَ الْمَغْتَابَ مِنْ نَدَمِ سِنَا

وَ قَدْ نَظَّمْتُ أَنَا كَلِمَةَ الْأَحْنَفِ فَقُلْتُ

أَكَلُ عَرَضِي إِنْ غَبْتُ ذِمًّا فَإِنْ أَبَتْ
فَمَدْحٌ وَ رَهْبَةٌ وَ سَجُودٌ
هَكَذَا يَفْعَلُ الْجِبَانُ شَجَاعٌ
حِينَ يَخْلُو وَ فِي الْوَعَى رَعْدِيدٌ
لَكَ مِنْي حَالَانِ فِي عَيْنِكَ الْجَنَّةُ
حَسَنًا وَ فِي الْفَوَادِ وَقُودٌ

وَقَالَ ع : رَبُّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ طَالَمَا فَتَنَ النَّاسَ بَثَاءُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ فَيَقْصِرُ الْعَالَمُ فِي اِكْتِسَابِ الْعِلْمِ اِتْكَالًا عَلَى ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَ يَقْصِرُ الْعَابِدُ فِي الْعِبَادَةِ اِتْكَالًا عَلَى ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَ يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِنَّمَا أُرِدْتُ مَا اِشْتَهَرَتْ بِهِ لِلصِّيتِ وَ قَدْ حَصَلَ فَلَمَّا ذَا اِتَّكَفَى الزِّيَادَةَ وَ اِعَانِيَ التَّعَبَ وَ اَيضًا فَإِنَّ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَى الْإِنْسَانِ يَفْتَضِي اِعْتِرَاءَ الْعَجَبِ لَهُ وَ اِعْجَابِ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مَهْلِكٌ . وَ اَعْلَمُ أَنَّ الرَّضِي رَحِمَهُ اللهُ قَطَعَ كِتَابَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ عَلَى هَذَا الْفَصْلِ وَ هَكَذَا وَجَدْتُ النُّسْخَةَ بِخَطِّهِ وَ قَالَ هَذَا حِينَ اِنْتِهَاءِ الْغَايَةِ بِنَا إِلَى قَطْعِ الْمُنْتَزَعِ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع حَامِدِينَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا مِنْ بِهِ مِنْ تَوْفِيقِنَا لَضَمِّ مَا اِنْتَشَرَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَ تَقْرِيْبِ مَا بَعْدَ مِنْ أَقْطَارِهِ مَقْرَرِينَ الْعِزْمَ كَمَا شَرَطْنَا أَوْلَا عَلَى تَفْضِيلِ أَوْرَاقِ مِنَ الْبِيَاضِ فِي آخِرِ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ لِتَكُونَ لِاِقْتِنَاصِ الشَّارِدِ وَ اسْتِلْحَاقِ الْوَارِدِ وَ مَا عَسَاهُ أَنْ يَظْهَرَ لَنَا بَعْدَ الْغَمُوضِ وَ يَقَعُ إِلَيْنَا بَعْدَ الشَّدُوذِ وَ مَا تَوْفِيقِنَا إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَ هُوَ حَسْبُنَا وَ نَعْمَ الْوَكِيلُ نَعْمَ الْمَوْلَى وَ نَعْمَ النَّصِيرُ . ثُمَّ وَجَدْنَا نَسْخًا كَثِيرَةً فِيهَا زِيَادَاتٌ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ قِيلَ إِنَّهَا وَجَدْتُ فِي نَسْخَةٍ كَتَبْتُ فِي حَيَاةِ الرَّضِيِّ رَحِمَهُ اللهُ وَ قَرَأْتُ عَلَيْهِ فَأَمَّا هَا وَ أَنْ فِي اِلْحَاقِهَا بِالْكِتَابِ نَحْنُ نَذَكُرُهَا

وَقَالَ ع : الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِعِيرِهَا وَ لَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّيُّ مَعَ مَا كَانَ يَرْمَى بِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا يَطَابِقُ إِرَادَةَ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع بِلَفْظِهِ هَذَا

خلق الناس للبقاء فضلت

أمة يحسبونهم للنفاد

إنما ينقلون من دار أعمال

إلى دار شقوة أو رشاد

[182]

وَ قَالَ ع : إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةٍ مَرُوداً يَجْرُونَ فِيهِ وَ لَوْ قَدْ اِخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمْ أَلْصَبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ قَالَ الرضِي رحمه الله تعالى و هذا من أفصح الكلام و أغربه و المرود هاهنا مفعول من الإرواد و هو الإمهال و الإنظار فكأنه ع شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها هذا إخبار عن غيب صريح لأن بني أمية لم يزل ملكهم منتظماً لما لم يكن بينهم اختلاف و إنما كانت حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية في صفين و حرب يزيد أهل المدينة و ابن الزبير بمكة و حرب مروان الضحاك و حرب عبد الملك ابن الأشعث و ابن الزبير و حرب يزيد ابنه بني المهلب و حرب هشام زيد بن علي فلما ولي الوليد بن يزيد و خرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد و قتله اختلف بنو أمية فيما بينهما و جاء الوعد و صدق من وعد به فإنه منذ قتل الوليد دعت دعاة بني العباس بخراسان و أقبل

[183]

مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة فخلع إبراهيم بن الوليد و قتل قوما من بني أمية و اضطرب أمر الملك و انتشر و أقبلت الدولة الهاشمية و نمت و زال ملك بني أمية و كان زوال ملكهم على يد أبي مسلم و كان في بدايته أضعف خلق الله و أعظمهم فقرا و مسكنة و في ذلك تصديق قوله ع ثم لو كادتهم الصباع لغلبتهم

[184]

وَقَالَ ع فِي مَدْحِ الْأَنْصَارِ هُمْ وَ اللَّهُ رَبُّوا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي الْفُلُو مَعَ غَنَابِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ السَّبَابِطِ وَ أَسْنَتِهِمْ السَّلَاطِ الْفُلُو الْمَهْرِ وَ يَرُو بِأَيْدِيهِمِ السَّبَاطِ أَيِ الْبَاسِطَةِ وَ الْأَوَّلَى جَمْعُ سَبَطٍ يَعْنِي السَّمَاحَ وَ قَدْ يُقَالُ لِلْحَاقِقِ بِالطَّعْنِ إِنَّهُ لَسَبَطُ الْيَدَيْنِ يَرِيدُ التَّقَافَةَ وَ أَسْنَتَهُمُ السَّلَاطِ يَعْنِي الْفَصِيحَةَ . وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي مَدْحِ الْأَنْصَارِ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا

قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص فِيهِمْ إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفِرْعِ وَ تَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا قَالَهُ لِعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ فِيهِمْ لَمَا قَالَ لَهُ لِأَعْزُونَكَ فِي كَذَا وَ كَذَا مِنْ الْخَيْلِ يَتَوَعَّدُهُ

فَقَالَ ع يَكْفِي اللَّهُ ذَلِكَ وَ أَبْنَاءُ قَيْلَةٍ لَكَانَ فَخْرًا لَهُمْ وَ هَذَا عَظِيمٌ جَدًّا وَ فَوْقَ الْعَظِيمِ وَ لَا رَيْبَ أَنَّهِمُ الَّذِينَ أَيْدَى اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ وَ أَظْهَرَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ وَ لَوْلَاهُمْ لَعَجَزَ الْمُهَاجِرُونَ عَنِ حَرْبِ قَرِيشَ وَ الْعَرَبِ وَ عَنِ حِمَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ لَوْ لَا مَدِينَتُهُمْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِسْلَامِ ظَهْرٌ يَلْجَأُونَ عَلَيْهِ وَ يَكْفِيهِمْ فَخْرًا يَوْمَ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ

[185]

يَوْمَ خَرَجَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى قَرِيشَ بَعْدَ انْكَسَارِ أَصْحَابِهِ وَ قَتَلَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَ خَرَجُوا نَحْوَ الْقَوْمِ وَ الْجِرَاحِ فِيهِمْ فَاشِيَةً وَ دَمَاؤُهُمْ تَسِيلُ وَ إِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَالْأَسَدِ الْغَرَاثِ تَتَوَاتَبُ عَلَى فَرَانِسِهَا وَ كَمْ لَهُمْ مِنْ يَوْمِ أُغْرَ مَحْجَلٌ وَ قَالَتْ الْأَنْصَارُ لَوْ لَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع فِي الْمُهَاجِرِينَ لِأَبِينَا لِأَنْفُسِنَا أَنْ يَذْكَرَ الْمُهَاجِرُونَ مَعَنَا أَوْ أَنْ يَقْرَنُوا بِنَا وَ لَكِنْ رَبُّ وَاحِدٌ كَأَنَّ بِلْ كَأَلُوفٍ . وَ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ وَ مَا طَعَنَ بِهِ الْقَادِرُ بِاللَّهِ الْخَلِيفَةَ الْعَبَّاسِيَّ فِي دِينِهِ بِطَرِيقِهِ وَ كَانَ الْوَزِيرُ الْمَغْرِبِيُّ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ وَ يَجْحَدُهُ وَ قِيلَ إِنَّهُ وَجَدَتْ مَسْوَدَةً بِخَطِّهِ فَرَفَعَتْ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ . وَ مِمَّا وَجَدَ بِخَطِّهِ أَيْضًا وَ كَانَ شَدِيدَ الْعَصْبِيَّةِ لِلْأَنْصَارِ وَ لِقَحْطَانِ قَاطِبَةَ عَلَى عَدْنَانَ وَ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى الْأَزْدِ أَزْدَ شَنْوَعَةَ قَوْلِهِ

إِن الَّذِي أَرَسَى دَعَائِمَ أَحْمَدِ
وَ عَلَا بِدَعْوَتِهِ عَلَى كِيَوَانَ
أَبْنَاءَ قَيْلَةٍ وَارْتَوْ شَرَفَ الْعَلَا
وَ عَرَا عِرَ الْأَقْيَالَ مِنْ قَحْطَانَ
بِسِيُوفِهِمْ يَوْمَ الْوَعَى وَ أَكْفَهُمْ
ضَرَبْتَ مِصَاعِبَ مَلِكِهِ بِجِرَانَ
لَوْ لَا مِصَارِعَهُمْ وَ صَدَقَ قِرَاعَهُمْ
خَرْتَ عُرُوشَ الدِّينِ لِلْأَذْقَانَ
فَلْيَشْكُرَنَّ مُحَمَّدَ أَسِيَّافٍ مِنْ
لَوْلَاهُ كَانَ كَخَالِدِ بْنِ سَنَانَ

وَ هَذَا إِفْرَاطٌ قَبِيحٌ وَ لَفْظٌ شَنِيعٌ وَ الْوَاجِبُ أَنْ يَصَانَ قَدْرُ النَّبِوَةِ عَنْهُ وَ خُصُوصًا الْبَيْتُ الْأَخِيرُ فَإِنَّهُ قَدْ أَسَاءَ فِيهِ الْأَدَبُ وَ قَالَ مَا لَا يَجُوزُ قَوْلُهُ وَ خَالِدُ بْنُ سَنَانَ كَانَ مِنْ بَنِي عَبْسٍ بِنِ بَغِيضٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ ادْعَى النَّبِوَةَ وَ قِيلَ إِنَّهُ كَانَتْ تَظْهَرُ عَلَيْهِ

آيات و معجزات ثم مات و انقرض دينه و دثرت دعوته و لم يبق إلا اسمه و ليس يعرفه كل الناس بل البعض منهم

[186]

وَ قَالَ ع : أَلْعَيْنُ وَكَاءُ أَلْسَنِهِ أَلْسَنَهُ قَالَ الرضِي رحمه الله تعالى و هذه من الاستعارات العجيبة كأنه شبه الستة بالوعاء و العين بالوعاء فإذا أطلق الوعاء لم ينضب الوعاء و هذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي ص و قد رواه قوم لأمير المؤمنين ع و ذكر ذلك المبرد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ المعروف قال الرضِي و قد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية المعروف أن هذا من كلام رسول الله ص ذكره المحدثون في كتبهم و أصحاب غريب الحديث في تصانيفهم و أهل الأدب في تفسير هذه اللفظة في مجموعاتهم اللغوية و لعل المبرد اشتبه عليه فنسبه إلى أمير المؤمنين ع و الرواية بلفظ التثنية

العينان وكاء الستة و الستة الاست .

و قد جاء في تمام الخبر

في بعض الروايات فإذا نامت العينان استطلق الوعاء و الوعاء رباط القرية فجعل العينين وكاء و المراد اليقظة للسته كالوعاء للقرية و منه

الحديث في اللقطة احفظ عفاصها و وكاءها و عرفها سنة فإن جاء صاحبها و إلا فشأنك بها و العفاص السداد و الوعاء السداد و هذه من الكنايات اللطيفة

فصل في ألفاظ الكنايات و ذكر الشواهد عليها

و قد كنا قدمنا قطعة سالحة من الكنايات المستحسنة و وعدنا أن نعاود ذكر طرف منها و هذا الموضع موضعه فمن الكناية عن الحدث الخارج و هو الذي كنى عنه أمير المؤمنين ع أو رسول الله ص الكناية التي ذكرها يحيى بن زياد في شعره قيل إن يحيى بن زياد و مطيع بن إياس و حمادا الراوية جلسوا على شرب لهم و معهم رجل منهم فاحل وكاؤه فاستحيا و خرج و لم يعد إليهم فكتب إليه يحيى بن زياد

أ من قلوب غدت لم يؤذها أحد

إلا تذكرها بالرمل أوطانا

خان العقال لها فانبث إذ نفرت

و إنما الذنب فيها للذي خانا

منحتنا منك هجرانا و مقلية

و لم تزرنا كما قد كنت تغشانا

خفض عليك فما في الناس ذو إبل

إلا و أينقه يشردن أحيانا

و ليس هذا الكتاب أهلا أن يضمن حكاية سخيقة أو نادرة خليعة فنذكر فيه ما جاء في هذا المعنى و إنما جرأنا على ذكر هذه الحكاية خاصة كناية أمير المؤمنين ع أو رسول الله ص عنها و لكننا نذكر كنايات كثيرة في غير هذا المعنى مستحسنة ينتفع القارئ بالوقوف عليها .

[188]

يقال فلان من قوم موسى إذا كان ملولا إشارة إلى قوله تعالى **وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ** . قال الشاعر

فيا من ليس يكفيه صديق

و لا ألفا صديق كل عام

أظنك من بقايا قوم موسى

فهم لا يصبرون على طعام

و قال العباس بن الأحنف

كتبت تلوم و تستريث زيارتي

و تقول لست لنا كعهد العاهد

فأجبتها و دموع عيني سجم

تجري على الخدين غير جوامد

يا فوز لم أهجركم لملاة
عرضت و لا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم
لا تصبرون على طعام واحد

و يقولون للجارية الحسناء قد أبقت من رضوان قال الشاعر

جست العود بالبنان الحسان
و تثنت كأنها غصن بان
فسجدنا لها جميعا و قلنا
إذ شجنتنا بالحسن و الإحسان
حاش لله أن تكوني من الإنس
و لكن أبقت من رضوان

و يقولون للمكشوف الأمر الواضح الحال ابن جلا و هو كناية عن الصبح و منه ما تمثل به الحجاج

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني

و منه قول القلاخ بن حزن

[189]

أنا القلاخ بن القلاخ ابن جلا . و منه قولهم فلان قائد الجمل لأنه لا يخفى لعظم الجمل و كبر جثته و في المثل ما استتر من
قاد جملا و قالوا كفى برغانها نداء و مثل هذا قولهم ما يوم حليلة بسر يقال ذلك في الأمر المشهور الذي لا يستر و يوم
حليلة يوم التقى المنذر الأكبر و الحارث الغساني الأكبر و هو أشهر أيام العرب يقال إنه ارتفع من العجاج ما ظهرت معه
الكواكب نهارا و حليلة اسم امرأة أضيف اليوم إليها لأنها أخرجت إلى المعركة مراكن الطيب فكانت تطيب بها الداخلين إلى
القتال فقاتلوا حتى تفانوا . و يقولون في الكناية عن الشيخ الضعيف قائد الحمار و إشارة إلى ما أنشده الأصمعي

آتي الندي فلا يقرب مجلسي
و أقود للشرف الرفيع حماري

أي أقوده من الكبر إلى موضع مرتفع لأركبه لضعفي و مثل ذلك كنايةهم عن الشيخ الضعيف بالعاجن لأنه إذا قام عجن في
الأرض بكفيه قال الشاعر

فأصبحت كنتيا و أصبحت عاجنا
و شر خصال المرء كنت و عاجن

قالوا الكنتي الذي يقول كنت أفعل كذا و كنت أركب الخيل يتذكر ما مضى من زمانه و لا يكون ذلك إلا عند الهرم أو الفقر و العجز . و مثله قولهم للشيخ راع قال لبيد

أخبر أخبار القرون التي مضت
أدب كأني كلما قمت راع

و الركوع هو التباطؤ و الانحناء بعد الاعتدال و الاستواء و يقال للإنسان إذا انتقل من الثروة إلى الفقر قد رقع قال

لا تهين الفقير عليك أن ترقع
يوما و الدهر قد رفعه

[190]

و في هذا المعنى قال الشاعر

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه
يوما فتدركه الحوادث قد نما
يجزيك أو يثني عليك و إن من
يثني عليك بما فعلت فقد جزى

و مثله أيضا

و أكرم كريما إن أتاك لحاجة
لعاقبة إن العضاه تروح

تروح الشجر إذا انفطر بالنبت يقول إن كان فقيرا فقد يستغنى كما إن الشجر الذي لا ورق عليه سيكتسى ورقا و يقال رقع الرجل أي سقط . و قال الشاعر

خرق إذا رقع المطي من الوجي
لم يطو دون رفيقه ذا المرود
حتى ينوب به قليلا فضله
حمد الرفيق نذاك أو لم يحمد

و كما يشبهون الشيخ بالراعي فيكونون به عنه كذلك يقولون يحجل في قيده لتقارب خطوه قال أبو الطمحان القيني

حنتني حانيات الدهر حتى
كأني خاتل أدنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رأني

و لست مقيدا أني بقيد

و نحو هذا قولهم للكبير بدت له الأرنب و ذلك أن من يختل الأرنب ليصيدها يتمايل في مشيته و أنشد ابن الأعرابي في النوادر

و طالت بي الأيام حتى كأنني

من الكبر العالي بدت لي أرنب

و نحوه يقولون للكبير قيد بفلان البعير أي لا قوة ليده على أن يصرف البعير تحته على حسب إرادته فيقوده قائد يحمله حيث يريد .

[191]

و من أمثالهم لقد كنت و ما يقاد بي البعير يضرب لمن كان ذا قوة و عزم ثم عجز و فتر . و من الكنايا عن شبيب العنفة قولهم قد عض على صوفه . و يكونون عن المرأة التي كبر سنها فيقولون امرأة قد جمعت الثياب أي تلبس القناع و الخمار و الإزار و ليست كالفتاة التي تلبس ثوبا واحدا . و يقولون لمن يخضب يسود وجه النذير و قالوا في قوله تعالى **وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ** إنه الشيب و قال الشاعر

و قانلة لي اخضب فالغواني

تطير من ملاحظة القتير

فقلت لها المشيب نذير موتي

و لست مسودا وجه النذير

و زاحم شاب شيخا في طريق فقال الشاب كم ثمن القوس يعيره بانحناء الظهر فقال الشيخ يا ابن أخي إن طال بك عمر فسوف تشتريها بلا ثمن . و أنشد لابن خلف

تعيرني وخط المشيب بعارضي

و لو لا الحجول البلق لم تعرف الدهم

حنى الشيب ظهري فاستمرت مريرتي

و لو لا انحناء القوس لم ينفذ السهم

و يقولون لمن رشا القاضي أو غيره صب في قنديه زيتا و أنشد

و عند قضاتنا خبث و مكر

و زرع حين تسقيه يسنبل

إذا ما صب في القنديل زيت

تحولت القضية للمقنديل

و كان أبو صالح كاتب الرشيد ينسب إلى أخذ الرشا و كان كاتب أم جعفر .

[192]

و هو سعدان بن يحيى كذلك فقال لها الرشيد يوما أ ما سمعت ما قيل في كاتبك قالت ما هو فأشدها

صب في قنديل سعدان

مع التسليم زيتا

و قناديل بنيه

قبل أن تخفى الكميئا

قالت فما قيل في كاتبك أشنع و أنشدته

قنديل سعدان علا ضوءه

فرخ لقنديل أبي صالح

تراه في مجلسه أحوصا

من لمحاه للدرهم اللانح

و يقولون لمن طلق ثلاثا قد نحرها بمثلثه . و يقولون أيضا أعطاها نصف السنة . و يقولون لمن يفخر بأبانه هو عظامي

و لمن يفخر بنفسه هو عصامي إشارة إلى قول النابغة في عصام بن سهل حاجب النعمان

نفس عصام سودت عصاما

و علمته الكر و الإقداما

و جعلته ملكا هماما

و أشار بالعظامي إلى فخره بالأموات من أبانه و رهطه و قال الشاعر

إذا ما الحي عاش بعظم ميت

فذاك العظم حي و هو ميت

و نحو هذا أن عبد الله بن زياد بن ظبيان التميمي دخل على أبيه و هو يجود بنفسه فقال أ لا أوصي بك الأمير فقال إذا لم

يكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت و يقال إن عطاء بن أبي سفيان قال ليزيد بن معاوية أغنني عن غيرك قال

[193]

حسبك ما أغناك به معاوية قال فهو إذن الحي و أنت الميت و مثل قولهم عظامي قولهم خارجي أي يفخر بغير أولية كانت له قال كثير لعبد العزيز

أبا مروان لست بخارجي
و ليس قديم مجدك بانتحال

و يكون عن العزيز و عن الذليل أيضا فيقولون بيضة البلد فمن يقولها للمدح يذهب إلى أن البيضة هي الحوزة و الحمى يقولون فلان يحمي ببيضته أي يحمي حوزته و جماعته و من يقولها للذم يعني أن الواحدة من بيض النعام إذا فسدت تركها أبواها في البلد و ذهب عنها قال الشاعر في المدح

لكن قائله من لا كفاء له
من كان يدعى أبوه بيضة البلد

و قال الآخر في الذم

تأبى قضاة لم تعرف لكم نسبا
و ابنا نزار فأنتم بيضة البلد

و يقولون للشيء الذي يكون في الدهر مرة واحدة هو بيضة الديك قال بشار

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر
إلا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة
ثني و لا تجعلها بيضة الديك

و يكون عن الثقيل بالقذى في الشراب قال الأخطل يذكر الخمر و الاجتماع عليها

و ليس قذاها بالذي قد يضيرها
و لا بذباب نزعه أيسر الأمر
و لكن قذاها كل جلف مكلف
أنتنا به الأيام من حيث لا ندري

[194]

فذاك القذى و ابن القذى و أخو القذى

فإن له من زائر آخر الدهر

و يكون أيضا عنه بقدر اللبالب قال الشاعر

يا ثقيلًا زاد في الثقل
على كل ثقيل
أنت عندي قدح اللبلاب
في كف العليل

و يكون عنه أيضا بالقدح الأول لأن القدح الأول من الخمر تكرمه الطبيعة و ما بعده فدونه لاعتياده قال الشاعر

و أثقل من حضين باديا
و أبغض من قدح أول

و يكون عنه بالكانون قال الحطينة يهجو أمه

تنحي فاقعدي عني بعيدا
أراح الله منك العالمينا
أ غربالا إذا استودعت سرا
و كانوا على المتحدثينا

قالوا و أصله من كنتت أي سترت فكأنه إذا دخل على قوم و هم في حديث ستروه عنه و قيل بل المراد شدة برده . و يكون
عن الثقيل أيضا برحى البزر قال الشاعر

و أثقل من رحى بزر علينا
كأنك من بقايا قوم عاد

و يقولون لمن يحمدون جواره جاره جار أبي دواد و هو كعب بن مامة الإيادي كان إذا جاوره رجل فمات وداه و إن هلك
عليه شاة أو يعير أخلف عليه فجاوره أبو دواد الإيادي فأحسن إليه فضرب به المثل . و مثله قولهم هو جليس قعقاع بن
شور و كان قد قدم إلى معاوية فدخل عليه و المجلس غاص بأهله ليس فيه مقعد فقام له رجل من القوم و أجلسه مكانه فلم

[195]

يبرح القعقاع من ذلك الموضوع يكلم معاوية و معاوية يخاطبه حتى أمر له بمائة ألف درهم فأحضرت إليه فجعلت إلى جانبه
فلما قام قال للرجل القائم له من مكانه ضمها إليك فهي لك بقيامك لنا عن مجلسك فقيل فيه

و كنت جليس قعقاع بن شور
و لا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن إن نطقوا بخير
و عند الشر مطراق عبوس

أخذ قوله و لا يشقى بقعقاع جليس من

قول النبي ص هم القوم لا يشقى بهم جليسهم . و يكونون عن السمين من الرجال بقولهم هو جار الأمير و ضيف الأمير و أصله أن الغضبان بن القبعثرى كان محبوسا في سجن الحجاج فدعا به يوما فكلمه فقال له في جملة خطابه إنك لسمين يا غضبان فقال القيد و الرتعة و الخفض و الدعة و من يكن ضيف الأمير يسمن . و يكني الفلاسفة عن السمين بأنه يعرض سور حبسه و ذلك أن أفلاطون رأى رجلا سمينا فقال يا هذا ما أكثر عنايتك بتعريض سور حبسك . و نظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة فقال أرى عليك قطيفة محكمة قال نعم ذاك عنوان نعمة الله عندي . و يقولون للكذاب هو قموص الحنجرة و أيضا هو زلوق الكبد و أيضا لا يوثق بسيل بلقعه و أيضا أسير الهند لأنه يدعي أنه ابن الملك و إن كان من أولاد السفلة . و يكنى عنه أيضا بالشيخ الغريب لأنه يحب أن يتزوج في الغربية فيدعي أنه ابن خمسين سنة و هو ابن خمس و سبعين .

[196]

و يقولون هو فاخنة البلد من قول الشاعر

أكذب من فاخنة

تصيح فوق الكرب

و الطلع لم يبدها

هذا أوان الرطب

و قال آخر في المعنى

حديث أبي حازم كله

كقول الفواخت جاء الرطب

و هن و إن كن يشبهنه

فلسن يدانينه في الكذب

و يكونون عن النمام بالزجاج لأنه يشف على ما تحته قال الشاعر

أنم بما استودعته من زجاجة

يرى الشيء فيها ظاهرا و هو باطن

و يكونون عنه بالنسيم من قول الآخر

و إنك كلما استودعت سرا

أنم من النسيم على الرياض

و يقولون إنه لصبح و إنه لطيب كله في النمام و يقولون ما زال يفتل له في الذروة و الغارب حتى أسمحت قرونته و هي النفس و الذروة أعلى السنام و الغارب مقدمه . و يقولون في الكناية عن الجاهل ما يدري أي طرفيه أطول قالوا ذكره و

لسانه و قالوا هل نسب أبيه أفضل أم نسب أمه . و مثله لا يعرف قطانه من لطانه أي لا يعرف جبهته مما بين وركيه . و قالوا الحدة كنية الجهل و الإقتصاد كنية البخل و الاستقصاء كنية الظلم .

[197]

و قالوا للجائع عضه الصفر و عضه شجاع البطن . و قال الهذلي

أرد شجاع البطن قد تعلمينه
و أوثر غرثي من عيالك بالطعم
مخافة أن أحيا برغم و ذلة
و للموت خير من حياة على رغم

و يقولون زوده زاد الضب أي لم يزوده شيئا لأن الضب لا يشرب الماء و إنما يتغذى بالريح و النسيم و يأكل القليل من عشب الأرض . و قال ابن المعتز

يقول أكلنا لحم جدي و بطة
و عشر دجاجات شواء بألبان
و قد كذب الملعون ما كان زاده
سوى زاد ضب يبلع الريح عطشان

و قال أبو الطيب

لقد لعب البين المشت بها و بي
و زودني في السير ما زود الضبا

و يقولون للمختلفين من الناس هم كنعم الصدقة و هم كبعر الكباش قال عمرو بن لجأ

و شعر كبعر الكباش ألف بينه
لسان دعي في القريض دخيل

و ذلك لأن بعر الكباش يقع متفرقا . و قال بعض الشعراء لشاعر آخر أنا أشعر منك لأنني أقول البيت و أخاه و تقول البيت و ابن عمه فأما قول جرير في ذي الرمة إن شعره

بعر ظباء و نقط عروس

فقد فسره الأصمعي فقال يريد أن شعره حلو أول ما تسمعه فإذا كرر إنشاده ضعف لأن أبعاد الظباء أول ما تشم توجد لها رائحة ما أكلت من الجثثات و الشيح

[198]

و القيصوم فإذا أدمت شمها عدمت تلك الرائحة و نقط العروس إذا غسلتها ذهب . و يقولون أيضا للمختلفين أخياف و الخيف سواد إحدى العينين و زرق الأخرى و يقولون فيهم أيضا أولاد علات كالإخوة لأمهات شتى و العلة الضرة . و يقولون فيهم خبز كتاب لأنه يكون مختلفا قال شاعر يهجو الحجاج بن يوسف

أ ينسى كليب زمان الهزال
و تعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى
و آخر كالقمر الأزهر

و مثله

أ ما رأيت بني سلم وجوههم
كأنها خبز كتاب و بقال

و يقال للمتساوين في الرداءة كأسنان الحمار قال الشاعر

سواء كأسنان الحمار فلا ترى
لذي شبيبة منهم على ناشئ فضلا

و قال آخر

شبابهم و شبيبههم سواء
فهم في اللؤم أسنان الحمار

و أنشد المبرد في الكامل لأعرابي يصف قوما من طيء بالتساوي في الرداءة

و لما أن رأيت بني جوين
جلوسا ليس بينهم جليس
ينست من الذي أقبلت أبغي
لديهم إنني رجل ينوس
إذا ما قلت أيهم لأي
تشابهت المناكب و الرعوس

قال فقله ليس بينهم جليس هجاء قبيح يقول لا ينتج الناس معروفهم

فليس بينهم غيرهم و يقولون في المتساويين في الرداءة أيضا هما كحماري العبادي قيل له أي حماريك شر قال هذا ثم هذا
و يقال في التساوي في الشر و الخير هم كأسنان المشط و يقال وقعا كركبتي البعير و كرجلي النعامة . و قال ابن الأعرابي
كل طائر إذا كسرت إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلا النعام فإنه متى كسرت إحدى رجليه جثم فلذلك قال الشاعر يذكر
أخاه

و إني و إياه كرجلي نعامة
على ما بنا من ذي غنى و فقير

و قال أبو سفيان بن حرب لعامر بن الطفيل و علقمة بن علاثة و قد تنافرا إليه أنتما كركبتي البعير فلم ينفر واحدا منهما
فقالا فأينا اليمنى فقال كل منكما يمنى . و سأل الحجاج رجلا عن أولاد المهلب أيهم أفضل فقال هم كالحلقة الواحدة . و
سئل ابن دريد عن المبرد و ثعلب فأثنى عليهما فقبل فابن قتيبة قال ربوة بين جبلين أي حمل ذكره بنباهتهما . و يكنى عن
الموت بالقطع عند المنجمين و عن السعاية بالنصيحة عند العمال و عن الجماع بالوطء عند الفقهاء و عن السكر بطيب
النفس عند الندماء و عن السؤال بالزوار عند الأجواد و عن الصدقة بما أفاء الله عند الصوفية . و يقال للمتكلف بمصالح
الناس إنه وصي آدم على ولده و قد قال شاعر في هذا الباب

فكان آدم عند قرب وفاته
أوصاك و هو وجود بالحبوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم
و كفيت آدم عيلة الأبناء

و يقولون فلان خليفة الخضر إذا كان كثير السفر قال أبو تمام

[200]

خليفة الخضر من يربع على وطن
أو بلدة فظهور العيس أوطاني
بغداد أهلي و بالشام الهوى و أنا
بالرقتين و بالفسطاط إخواني
و ما أظن النوى ترضى بما صنعت
حتى تبلغ بي أقصى خراسان

و يقولون للشيء المختار المنتخب هو ثمرة الغراب لأنه ينتفي خير الثمر . و يقولون سمن فلان في أديمه كناية عن لا
ينتفع به أي ما خرج منه يرجع إليه و أصله أن نحيا من السمن انشق في ظرف من الدقيق فقبل ذلك قال الشاعر

ترحل فما بغداد دار إقامة
و لا عند من أضحى ببغداد طائل

محل ملوك سمنهم في أديمهم
و كلهم من حلية المجد عاطل
فلا غرو أن شلت يد المجد و العلى
و قل سماح من رجال و نائل
إذا غضض البحر الغطامط ماءه
فليس عجيبا أن تغيض الجداول

و يقولون لمن لا يفي بالعهد فلان لا يحفظ أول المائدة لأن أولها يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ . و يقولون لمن كان
حسن اللباس و لا طائل عنده هو مشجب و المشجب خشبة القصار التي يطرح الثياب عليها قال ابن الحجاج

لي سادة طائر السرور بهم
يطرده اليأس بالمقاليع
مشاجب للثياب كلهم
و هذه عادة المشاقيع
جانزتي عندهم إذا سمعوا
شعري هذا كلام مطبوع

[201]

و إنهم يضحكون إن ضحكوا
مني و أبكي أنا من الجوع

و قال آخر

إذا لبسوا دكن الخزوز و خضرها
و راحوا فقد راحت عليك المشاجب

و روي أن كيسان غلام أبي عبيدة وفد على بعض البرامكة فلم يعطه شيئا فلما وافى البصرة قيل له كيف وجدته قال وجدته
مشجبا من حيث ما أتيته وجدته . و يكونون عن الطفيلي فيقولون هو ذباب لأنه يقع في القدور قال الشاعر

أتيتك زانرا لقضاء حق
فحال الستر دونك و الحجاب
و لست بواقع في قدر قوم
و إن كرهوا كما يقع الذباب

و قال آخر

و أنت أخو السلام و كيف أنتم
و لست أخا الملمات الشداد
و أطفل حين يجفى من ذباب
و ألزم حين يدعى من قراد

و يكون عن الجرب بحب الشباب قال الوزير المهلبي

يا صروف الدهر حسبي
أي ذنب كان ذنبي
علة خصت و عمت
في حبيب و محب
دب في كفيه يا من
حبه دب بقلبي
فهو يشكو حر حب
و شكاتي حر حب

و يكون عن القصير القامة بأبي زبيبة و عن الطويل بخيط باطل و كانت كنية مروان بن الحكم لأنه كان طويلا مضطربا
قال فيه الشاعر

لحا الله قوما أمروا خيط باطل
على الناس يعطي من يشاء و يمنع

و في خيط باطل قولان أحدهما أنه الهباء الذي يدخل من ضوء الشمس في الكوة

[202]

من البيت و تسميه العامة غزل الشمس و الثاني أنه الخيط الذي يخرج من في العنكبوت و تسميه العامة مخاط الشيطان .
و تقول العرب للملقو لطيم الشيطان . و كان لقب عمرو بن سعيد الأشدق لأنه كان ملقوا . و قال بعضهم لآخر ما حدث قال
قتل عبد الملك عمرا فقال قتل أبو الذبان لطيم الشيطان **وَ كَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** . و يقولون
للحزين المهموم يعد الحصى و يخط في الأرض و يفت اليرمع قال المجنون

عشية ما لي حيلة غير أنني
بلقط الحصى و الخط في الدار مولع
أخط و أمحو كل ما قد خططته
بدمعي و الغربان حولي وقع

و هذا كالنادم يقرع السن و البخيل ينكت الأرض ببنانه أو يعود عند الرد قال الشاعر

عبيد إخوانهم حتى إذا ركبوا
يوم الكريهة فالآساد في الأجم
يرضون في العسر و الإيسار سانلهم
لا يقرعون على الأسنان من ندم

و قال آخر في نكت الأرض بالعيدان

قوم إذا نزل الغريب بدارهم
تركوه رب صواهل و قيان
لا ينكتون الأرض عند سوالهم
لتطلب العلات بالعيدان

و يقولون للفارغ فؤاد أم موسى .

[203]

و يقولون للمثري من المال منقرس و ذلك أن علة النقرس أكثر ما تعتري أهل الثروة و التمتع . حكى المبرد قال كان
الحرمازي في ناحية عمرو بن مسعدة و كان يجري عليه فخرج عمرو بن مسعدة إلى الشام و تخلف الحرمازي ببغداد
فأصابه النقرس فقال

أقام بأرض الشام فاختل جانبي
و مطلبه بالشام غير قريب
و لا سيما من مفلس حلف نقرس
أ ما نقرس في مفلس بعجيب

و قال بعضهم يهجو ابن زيدان الكاتب

تواضع النقرس حتى لقد
صار إلى رجل ابن زيدان
علة إنسان و لكنها
قد وجدت في غير إنسان

و يقولون للمتترف رقيق النعل و أصله قول النابغة

رقاق النعال طيب حجزاتهم
يحيون بالريحان يوم السباب

يعني أنهم ملوك و الملك لا يخصف نعله و إنما يخصف نعله من يمشي و قوله طيب حجاتهم أي هم أعاء الفروج أي يشدون حجاتهم على عفة و كذلك قولهم فلان مسمط النعال أي نعله طبقة واحدة غير مخصوف قال المرار بن سعيد الفقعسي

وجدت بني خفاجة في عقيل
كرام الناس مسمطة النعال

و قريب من هذا قول النجاشي

و لا يأكل الكلب السروق نعالنا
و لا ينتقي المخ الذي في الجماجم

[204]

يريد أن نعالهم سبت و السبت جلود البقر المدبوغة بالقرظ و لا تقربها الكلاب و إنما تأكل الكلاب غير المدبوغ لأنه إذا أصابه المطر دسّمه فصار زهما . و يقولون للسيد لا يطأ على قدم أي هو يتقدم الناس و لا يتبع أحداً فيطأ على قدمه . و يقولون قد اخضرت نعالهم أي صاروا في خصب و سعة قال الشاعر

يتايهون إذا اخضرت نعالهم
و في الحفيظة أبرام مضاجير

و إذا دعوا على إنسان بالزمانة قالوا خلع الله نعليه لأن المقعد لا يحتاج إلى نعل . و يقولون أطفأ الله نوره كناية عن العمى و عن الموت أيضاً لأن من يموت فقد طفنت ناره . و يقولون سقاه الله دم جوفه دعاء عليه بأن يقتل ولده و يضطر إلى أخذ دينه إبلا فيشرب ألبانها . و يقولون رماه الله بليلة لا أخت لها أي ليلة موته لأن ليلة الموت لا أخت لها . و يقولون وقعوا في سلا جمل أي في داهية لا يرى مثلها لأن الجمل لا سلا له و إنما السلا للناقة و هي الجليدة التي تكون ملفوفة على ولدها . و يقولون صاروا في حواء ناقة إذ صاروا في خصب . و كانوا إذا وصفوا الأرض بالخصب قالوا كأنها حواء ناقة .

[205]

و يقولون لأبناء الملوك و الرؤساء و من يجري مجراهم جفاة المحز قال الشاعر

جفاة المحز لا يصيبون مفصلا
و لا يأكلون اللحم إلا تخذما

يقول هم ملوك و أشباه الملوك لا حنق لهم بنحر الإبل و الغنم و لا يعرفون التجليد و السلخ و لهم من يتولى ذلك عنهم و إذا لم يحضرهم من يجزر الجزور تكلفوا هم ذلك بأنفسهم فلم يحسنوا حز المفصل كما يفعله الجزار و قوله

و لا يأكلون اللحم إلا تخذما

أي ليس بهم شره فإذا أكلوا اللحم تخذموا قليلا قليلا و الخدم القطع و أنشد الجاحظ في مثله

و صلح الرعوس عظام البطون

جفاة المحز غلاظ القصر

لأن ذلك كله أمارات الملوك و قريب من ذلك قوله

ليس براعي إبل و لا غنم

و لا بجزار على ظهر وضم

و يقولون فلان أملس يكون عمن لا خير فيه و لا شر أي لا يثبت فيه حمد و لا ذم . و يقولون ملحه على ركبته أي هو

سيئ الخلق يغضبه أدنى شيء قال

لا تلمها إنها من عصابة

ملحها موضوعة فوق الركب

و يقولون كناية عن مجوسي هو ممن يخط على النمل و النمل جمع نملة و هي قرحة بالإنسان كانت العرب تزعم أن

المجوسي إذا كان من أخته و خط عليها برأت قال الشاعر

و لا عيب فينا غير عرق لمعشر

كرام و أنا لا نخط على النمل

[206]

و يقولون للصبى قد قطفت ثمرته أي ختن و قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

ما زال عصياننا لله يرذلنا

حتى دفعنا إلى يحيى و دينار

إلا عليجين لم تقطف ثمارها

قد طالما سجدا للشمس و النار

و يقولون قدر حليلة أي لا غليان فيها . و يقولون لمن يصلي صلاة مختصرة هو راجز الصلاة . و قال أعرابي لرجل رآه

يصلي صلاة خفيفة صلاتك هذه رجز . و يقولون فلان عفيف الشفة أي قليل السؤال و فلان خفيف الشفة كثير السؤال . و

تكني العرب عن المتيقظ بالقطامي و هو الصقر . و يكونون عن الشدة و المشقة بعرق القربة يقولون لقيت من فلان عرق

القربة أي العرق الذي يحدث بك من حملها و ثقلها و ذلك لأن أشد العمل كان عندهم السقي و ما ناسبه من معالجة الإبل .

و تكني العرب عن الحشرات و هوام الأرض بجنود سعد يعنون سعد الأخبية و ذلك لأنه إذا طلع انتشرت في ظاهر الأرض
و خرج منها ما كان مستترا في باطنها قال الشاعر

قد جاء سعد منذرا بحره
مودة جنوده بشره

و يكني قوم عن السانلين على الأبواب بحفاظ سورة يوسف ع لأنهم يعتنون بحفظها دون غيرها و قال عمارة يهجو محمد
بن وهيب

تشبهت بالأعراب أهل التعجرف
فدل على ما قلت قبج التكلف

[207]

لسان عراقي إذا ما صرفته
إلى لغة الأعراب لم يتصرف
و لم تنس ما قد كان بالأمس حاكه
أبوك و عود الجف لم يتقصف
لنن كنت للأشعار و النحو حافظا
لقد كان من حفاظ سورة يوسف

و يكون عن اللقيط بتربية القاضي و عن الرقيب بثاني الحبيب لأنه يرى معه أبدا قال ابن الرومي

موقف للرقيب لا أنساه
لست أختاره و لا آباه
مرحبا بالرقيب من غير وعد
جاء يجلو علي من أهواه
لا أحب الرقيب إلا لأني
لا أرى من أحب حتى أراه

و يكون عن الوجه المليح بحجة المذنب إشارة إلى قول الشاعر

قد وجدنا غفلة من رقيب
فسرقنا نظرة من حبيب
و رأينا ثم وجها مليحا
فوجدنا حجة للذنوب

و يكون عن الجاهل ذي النعمة بحجة الزنادقة قال ابن الرومي

مهلا أبا الصقر فكم طائر
خر صريعا بعد تحليق
لا قدست نعمى تسربلتها
كم حجة فيها لزنيق

و قال ابن بسام في أبي الصقر أيضا

يا حجة الله في الأرزاق و القسم
و عبرة لأولى الألباب و الفهم
تراك أصبحت في نعماء سابغة
إلا و ربك غضبان على النعم

فهذا ضد ذلك المقصد لأن ذاك جعله حجة على الزندقة و هذا جعله حجة على قدرة البارئ سبحانه على عجائب الأمور و غرائبها و أن النعم لا قدر لها عنده سبحانه حيث جعلها عند أبي الصقر مع دناءة منزلته و قال ابن الرومي

[208]

و قينة أبرد من تلجه
تبيت منها النفس في ضجه
كأنها من ننتها صخة
لكنها في اللون أترجه
تفاوتت خلقتها فاغدت
لكل من عطل محتجه

و قد يشابه ذلك قول أبي علي البصير في ابن سعدان

يا ابن سعدان أجلح الرزق في أمرك
و استحسن القبيح بمره
نلت ما لم تكن تمنى إذا ما
أسرفت غاية الأمانى عشره
ليس فيما أظن إلا لكيلا
ينكر المنكرون لله قدره

و للمفجع في قريب منه

إن كنت خنتكم المودة غادرا
أو حلت عن سنن المحب الوامق
فمسخت في قبح ابن طلحة إنه
ما دل قط على كمال الخالق

و يقولون عرض فلان على الحاجة عرضا سابريا أي خفيفا من غير استقصاء تشبيها له بالثوب السابري و الدرع السابرية و هي الخفيفة . و يحكى أن مرتدا مر على قوم يأكلون و هو راكب حمارا فقالوا انزل إلينا فقال هذا عرض سابري فقالوا انزل يا ابن الفاعلة و هذا ظرف و لباقة . و يقولون في ذلك وعد سابري أي لا يقرب به وفاء و أصل السابري اللطيف الرقيق . و قال المبرد سألت الجاحظ من أشعر المولدين فقال القائل

كأن ثيابه أطلعن
من أزراره قمرا
يزيدك وجهه حسنا
إذا ما زدته نظرا
بعين خالط التفتير
في أجفاتها الحورا

[209]

و وجه سابري لو
تصوب ماؤه قطرا

يعني العباس بن الأحنف . و تقول العرب في معنى قول المحدثين عرض عليه كذا عرضا سابريا عرض عليه عرض عالية أي عرض الماء على النعم العالة التي قد شربت شربا بعد شرب و هو العلل لأنها تعرض على الماء عرضا خفيفا لا تتبالغ فيه . و من الكنايات الحسنة قول أعرابية قالت لقيس بن سعد بن عبادة أشكو إليك قلة الجرذان في بيتي فاستحسن منها ذلك و قال لأكثرنها املنوا لها بيتها خبزا و تمرا و سمنا و أظا و دقيقا . و شبيه بذلك ما روي أن بعض الرؤساء سايره صاحب له على بردون مهزول فقال له ما أشد هزال دابتك فقال يدها مع أيدينا ففطن لذلك و وصله . و قريب منه ما حكى أن المنصور قال لإنسان ما مالك قال ما أصون به وجهي و لا أعود به على صديقي فقال لقد تلطفت في المسألة و أمر له بصلة . و جاء أعرابي إلى أبي العباس ثعلب و عنده أصحابه فقال له ما أراد القائل بقوله

الحمد لله الوهوب المنان
صار الثريد في رعوس القضبان

فأقبل ثعلب على أهل المجلس فقال أجيبوه فلم يكن عندهم جواب و قال له نفظويه الجواب منك يا سيدي أحسن فقال على أنكم لا تعلمونه قالوا لا نعلمه فقال الأعرابي قد سمعت ما قال القوم فقال و لا أنت أعزك الله تعلمه فقال ثعلب أراد أن السنبل قد أفرك قال صدقت فأين حق الفائدة فأشار إليهم ثعلب

فبروه فقام قانلا بوركت من ثعلب ما أعظم بركتك . و يكون عن الشيب بغبار العسكر و برغوة الشباب قال الشاعر

قالت أرى شيبا برأسك قلت لا
هذا غبار من غبار العسكر

و قالت آخر و سماه غبار وقائع الدهر

غضبت ظلوم و أزمعت هجري
وصبت ضمانرها إلى الغدر
قالت أرى شيبا فقلت لها
هذا غبار وقائع الدهر

و يقولون للسحاب فحل الأرض . و قالوا القلم أحد اللسانين و رداءة الخط أحد الزمانتين . قال و قال الجاحظ رأيت رجلا أعمى يقول في الشوارع و هو يسأل ارحموا ذا الزمانتين قلت و ما هما قال أنا أعمى و صوتي قبيح و قد أشار شاعر إلى هذا فقال

اثنان إذا عدا
حقيق بهما الموت
فقير ما له زهد
و أعمى ما له صوت

و

قال رسول الله ص إياكم و خضراء الدمن فلما سنل عنها قال المرأة الحسناء في المنبت السوء و

قال ع في صلح قوم من العرب إن بيننا و بينهم عيبة مكفوفة أي لا تكشف ما بيننا و بينهم من ضغن و حقد و دم و قال ع الأنصار كرشي و عيبي أي موضع سري و كرشي جماعتي .

و يقال جاء فلان ربد العنان أي منهزما . و جاء ينفض مذرويه أي يتوعد من غير حقيقة . و جاء ينظر عن شماله أي منهزما . و تقول فلان عندي بالشمال أي منزلته خسيصة و فلان عندي باليمين أي بالمنزلة العليا قال أبو نواس

أقول لناقتي إذ بلغتني
لقد أصبحت عندي باليمين
فلم أجعلك للغربان نهبا

و لم أقل اشرفي بدم الوتين
حرمت على الأزيمة و الولايا
و أعلاق الرحالة و الوضين

و قال ابن ميادة

أبيني أ في يمنى يديك جعلتني
فأفرح أم صيرتني في شمالك

و تقول العرب التقى الثريان في الأمرين يأتلفان و يتفقان أو الرجلين قال أبو عبيدة و الثرى التراب الندي في بطن الوادي فإذا جاء المطر و سح في بطن الوادي حتى يلتقي نداءه و الندى الذي في بطن الوادي يقال التقى الثريان . و يقولون هم في خير لا يطير غرابه يريدون أنهم في خير كثير و خصب عظيم فيقع الغراب فلا ينفر لكثرة الخصب . و كذلك أمر لا ينادى وليده أي أمر عظيم ينادى فيه الكبار دون الصغار . و قيل المراد أن المرأة تشتغل عن وليدها فلا تناديه لعظم الخطب و من هذا قول الشاعر يصف حربا عظيمة

[212]

إذا خرس الفحل وسط الحجور
و صاح الكلاب و عق الولد

يريد أن الفحل إذا عاين الجيش و البارقة لم يلتفت لفت الحجور و لم يصهل و تنبح الكلاب أربابها لأنها لا تعرفهم للبسهم الحديد و تذهل المرأة عن ولدها رعبا فجعل ذلك عقوقا . و يقولون أصبح فلان على قرن أعر و هو الظبي إذا أرادوا أصبح على خطر و ذلك لأن قرن الظبي ليس يصلح مكانا فمن كان عليه فهو على خطر قال إمرؤ القيس

و لا مثل يوم بالعظالي قطعته
كأني و أصحابي على قرن أعر

و قال أبو العلاء المعري

كأنني فوق روق الظبي من حذر

و أنشد ابن دريد في هذا المعنى

و ما خير عيش لا يزال كأنه
محلة يعسوب برأس سنان

يعني من القلق و أنه غير مطمئن . و يقولون به داء الظبي أي لا داء به لأن الظبي صحيح لا يزال و المرض قل أن يعتريه و يقولون للمتلون المختلف الأحوال ظل الذئب لأنه لا يزل مرة هكذا و مرة هكذا و يقولون به داء الذئب أي الجوع .

و عهد فلان عهد الغراب يعنون أنه غادر قالوا لأن كل طائر يألف أنثاه إلا الغراب فإنه إذا باضت الأنثى تركها و صار إلى غيرها . و يقولون ذهب سمع الأرض و بصرها أي حيث لا يدرى أين هو . و تقولون ألقى عصاه إذا أقام و استقر قال الشاعر

فألفت عصاها و استقر بها النوى

كما قر عينا بالإياب المسافر

و وقع القضيب من يد الحجاج و هو يخطب فتطير بذلك حتى بان في وجهه فقام إليه رجل فقال إنه ليس ما سبق وهم الأمير إليه و لكنه قول القائل و أنشده البيت فسري عنه . و يقال للمختلفين طارت عصاهم شققا . و يقال فلان منقطع القبال أي لا رأي له . و فلان عريض البطن أي كثير الثروة . و فلان رخي اللب أي في سعة . و فلان واقع الطائر أي ساكن . و فلان شديد الكاهل أي منيع الجانب . و فلان ينظر في أعقاب نجم مغرب أي هو نادم آيس قال الشاعر

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر

مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

و سقط في يده أي أيقن بالهلكة . و قد رددت يده إلى فيه أي منعه من الكلام . و بنو فلان يد على بني فلان أي مجتمعون .

و أعطاه كذا عن ظهر يد أي ابتداء لا عن مكافأة . و يقولون جاء فلان ناشرا أذنيه أي جاء طامعا . و يقال هذه فرس غير محلفة أي لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف أنها كريمة قال

كميت غير محلفة و لكن

كلون الصرف عل به الأديم

و تقول حلب فلان الدهر أشطره أي مرت عليه صروبه خيره و شره . و قرع فلان لأمر ظنوبه أي جد فيه و اجتهد . و تقول أبدى الشر نواجذه أي ظهر . و قد كشفت الحرب عن ساقها و كشرت عن نابها . و تقول استنوق الجمل يقال ذلك للرجل يكون في حديث ينتقل إلى غيره يخلطه به . و تقول لمن يهون بعد عز استأتن العير . و تقول للضعيف يقوى استنسر البغاث . و يقولون شراب بأنقع أي معاود للأمر و قال الحجاج يا أهل العراق إنكم شرابون بأنقع أي معتادون الخير و الشر و الأنقع جمع نقع و هو ما استنقع من الغدران و أصله في الطائر الحذر يرد المناقع في الفلوات حيث لا يبلغه قانص و لا ينصب له شرك

حديث عن امرئ القيس

و نختتم هذا الفصل في الكنايات بحكاية رواها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني قال أبو الفرج أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني ابن عمي قال حدثنا أحمد بن عبد الله عن الهيثم بن عدي قال و حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة أميرا على العراق فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم فسرنا عنده فقال ليحدثني كل رجل منكم أحوثة و ابدأ أنت يا أبا عمرو فقلت أصلح الله الأمير أ حديث حق أم حديث باطل قال بل حديث حق فقلت إن امرأ القيس كان آلى ألية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية و أربعة و اثنتين فجعل يخطب النساء فإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه فأعجبته فقال لها يا جارية ما ثمانية و أربعة و اثنتان فقالت أما ثمانية فأطباء الكلبة و أما أربعة فأخلاف الناقة و أما اثنتان فتدنيا المرأة فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها و شرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك و على أن يسوق إليها مائة من الإبل و عشرة أعبد و عشر وصائف و ثلاثة أفراس ففعل ذلك ثم بعث عبدا إلى المرأة و أهدى إليها معه نحيا من سمن و نحيا من عسل و حلة من عصب فنزل العبد على بعض المياه و نشر الحلة فلبسها فتعلقت بسمرة فانشقت و فتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا ثم قدم على المرأة و أهلها خلوف فسألها عن أبيها و أمها و أخيها و دفع إليها

[216]

هديتها فقالت أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيدا و يبعد قريبا و أن أمي ذهبت تشق النفس نفسين و أن أخي ذهب يراعي الشمس و أن سماعكم انشقت و أن وعاءكم نضبا . فقدم الغلام على مولاة فأخبره فقال أما قولها أن أبي ذهب يقرب بعيدا و يبعد قريبا فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه و أما قولها إن أمي ذهبت تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء و أما قولها إن أخي ذهب يراعي الشمس فإن أباها في سرح له يراعه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به و أما قولها إن سماعكم انشقت فإن البرد الذي بعثت به انشق و أما قولها إن وعاءكم نضبا فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاصدقني فقال يا مولاي إنني نزلت بماء من مياه العرب فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أنني ابن عمك و نشرت الحلة و لبستها و تجملت بها فتعلقت بسمرة فانشقت و فتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء فقال أولى لك ثم ساق مائة من الإبل و خرج نحوها و معه العبد يسقي الإبل فعجز فأعانه امرؤ القيس فرمى به العبد في البئر و خرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل فأخبرهم أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت و الله ما أدري أ زوجي هو أم لا و لكن انحروا له جزورا و أطعموه من كرشها و ذنبها ففعلوا فأكل ما أطعموه فقالت اسقوه لبنا حازرا و هو الحامض فسقوه فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث و الدم ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه أني أريد أن أسألك فقال لها سلمي عما بدا لك فقالت مم تختلج شفتاك قال من تقبيلي إياك فقالت مم يختلج كشحاك قال لالتزامي إياك قالت فمم يختلج فخذاك

[217]

قال لتوركي إياك فقالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به ففعلوا . قال و مر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر فرجع إلى حيه و ساق مائة من الإبل و أقبل إلى امرأته فقيل لها قد جاء زوجك فقالت و الله ما أدري أ زوجي هو أم لا و لكن انحروا له

جزورا و أطعموه من كرشها و ذنبها ففعلوا فلما أتوه بذلك قال و أين الكبد و السنام و الملحاء و أبي أن يأكل فقالت اسقوه
لبننا حازرا فأتي به فأبى أن يشربه و قال فأين الضريب و الرثينة فقالت افرشوا له عند الفرث و الدم ففرشوا له فأبى أن
ينام و قال افرشوا لي عند التلعة الحمراء و اضربوا لي عليها خباء ثم أرسلت إليه هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث
فأرسل إليها أن سلي عما شئت فقالت مم تختلج شفتاك فقال لشربي المشعشعات قالت فمم يختلج كشحاك قال للبسي
الحبرات قالت فمم تختلج فخذاك قال لركضي المطهعات فقالت هذا زوجي لعمرى فعليكم به فأهديت إليه الجارية . فقال ابن
هبيرة حسبكم فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبي عمرو و لن يأتينا أحد منكم بأعجب منه فانصرفنا و أمر لي
بجائزة

وَقَالَ ع فِي كَلَامٍ لَهُ : وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ الْجِرَانَ مَقْدَمَ الْعُنُقِ وَ هَذَا الْوَالِي هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ خُطْبَةٍ خُطِبَهَا فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ طَوِيلَةً يُذَكِّرُ فِيهَا قَرِيبَهُ مِنَ النَّبِيِّ ص وَ اخْتِصَّاصَهُ لَهُ وَ إِفْضَاءَهُ بِأَسْرَارِهِ إِلَيْهِ حَتَّى

قَالَ فِيهَا فَاخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ بَأْرَانَهُمْ رَجُلًا مِنْهُمْ فَقَارِبَ وَ سَدَّدَ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِهِ عَلَى ضَعْفٍ وَ حَدَّ كَانَا فِيهِ وَ لِيَهُمْ بَعْدَهُ وَالٍ فَأَقَامَ وَ اسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ عَلَى عَسْفٍ وَ عَجْرَفِيَّةٍ كَانَا فِيهِ ثُمَّ اخْتَلَفُوا ثَالِثًا لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا غَلِبَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ فَقَادُوهُ إِلَى أَهْوَانِهِمْ كَمَا تَقْوَدُ الْوَالِيدَةُ الْبَعِيرَ الْمَخْطُومَ فَلَمْ يَزَلْ الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ يَبْعَدُ تَارَةً وَ يَقْرُبُ أُخْرَى حَتَّى نَزَوْا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ جَاعُوا بِي مَدَبِ الدَّبَا يَرِيدُونَ بِيْعَتِي . وَ تَمَامَ الْخُطْبَةِ مَعْرُوفٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةَ لِهَذَا الْفَنِّ

وَقَالَ ع : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَ لَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ لَا تُنْسُوا

الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ يَنْهَدُ تَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ وَ يُسْتَنْدَلُ الْأَخْيَارُ وَ يُبَايَعُ الْمُضْطَرُّونَ وَ قَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْ بَيْعِ

الْمُضْطَرِّينَ زَمَانَ عَضُوضٍ أَي كَلَبَ عَلَى النَّاسِ كَأَنَّهُ يَعْضُهُمْ وَ فَعُولٌ لِلْمَبَالِغَةِ كَالنَّفُورِ الْعَقُوقِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ
بِنْرِ عَضُوضٍ أَي بَعِيدَةِ الْقَعْرِ ضَيْقَةٍ وَ مَا كَانَتْ الْبِنْرُ عَضُوضًا فَأَعَضَتْ كَقَوْلِهِمْ مَا كَانَتْ جُرُورًا فَأَجْرَتْ وَ هِيَ كَالعَضُوضِ .

وَ عَضُ فُلَانٍ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ أَي بَخْلٌ وَ أَمْسَكَ . وَ يَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ يَنْهَضُونَ إِلَى الْوَلَايَاتِ وَ الرِّئَاسَاتِ وَ تَرْتَفِعُ أَقْدَارُهُمْ فِي

الدُّنْيَا وَ يُسْتَنْدَلُ فِيهِ أَهْلُ الْخَيْرِ وَ الدِّينِ وَ يَكُونُ فِيهِ بَيْعٌ عَلَى وَجْهِ الْاضْطِرَارِ وَ الْإِلْجَاءِ كَمَنْ بَاعَتْ ضَيْعَتَهُ وَ هُوَ ذَلِيلٌ ضَعِيفٌ

مَنْ رَبُّ ضَيْعَةٍ مَجَاوِرَةٌ لَهَا ذِي ثَرْوَةٍ وَ عِزٌّ وَ جَاهٌ فَيَلْجِئُهُ بِمَنْعِهِ الْمَاءَ وَ اسْتِذْلَالَهُ الْأَكْرَةَ وَ الْوَكِيلَ إِلَى أَنْ يَبِيعَهَا عَلَيْهِ وَ ذَلِكَ

مَنْهِي عَنْهُ لِأَنَّهُ حَرَامٌ مَحْضٌ

وَ قَالَ ع : يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ مُحِبِّ مُفْرَطٍ وَ بَاهِتٍ مُفْتَرٍ قَالَ الرضِي رحمه الله تعالى : و هذا مثل قوله ع يَهْلِكُ فِي اثْنَانِ رَجُلَانِ مُحِبِّ عَالٍ وَ مُبْغِضٍ قَالَ قد تقدم شرح مثل هذا الكلام و خلاصة هذا القول أن الهالك فيه المفراط و المفراط أما المفراط فالغلاة و من قال بتكفير أعيان الصحابة و نفاقهم أو فسقهم و أما المفراط فمن استنقص به ع أو أبغضه أو حاربه أو أضمر له غلا و لهذا كان أصحابنا أصحاب النجاة و الخلاص و الفوز في هذه المسألة لأنهم سلكوا طريقة مقتصدة قالوا هو أفضل الخلق في الآخرة و أعلاهم منزلة في الجنة و أفضل الخلق في الدنيا و أكثرهم خصائص و مزايا و مناقب و كل من عاداه أو حاربه أو أبغضه فإنه عدو لله سبحانه و خالد في النار مع الكفار و المنافقين إلا أن يكون ممن قد ثبتت توبته و مات على تولىه و حبه . فأما الأفاضل من المهاجرين و الأنصار الذين ولوا الإمامة قبله فلو أنه أنكر إمامتهم

[221]

و غضب عليهم و سخط فعلهم فضلا عن أن يشهر عليهم السيف أو يدعو إلى نفسه لقلنا إنهم من الهالكين كما لو غضب عليهم رسول الله ص لأنه قد ثبت

أن رسول الله ص قال له حربك حربي و سلمك سلمي و

أنه قال اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و

قال له لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق و لكننا رأينا رضي إمامتهم و بايعهم و صلى خلفهم و أنكحهم و أكل من فيهم فلم يكن لنا أن نتعدى فعله و لا نتجاوز ما اشتهر عنه أ لا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه و لما لعنه لعناه و لما حكم بضلال أهل الشام و من كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص و عبد الله ابنه و غيرهما حكما أيضا بضلالهم . و الحاصل أننا لم نجعل بينه و بين النبي ص إلا رتبة النبوة و أعطينا كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه و بينه و لم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم و عاملناهم بما عاملهم ع به

فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة

و القول بالتفضيل قول قديم قد قال به كثير من الصحابة و التابعين فمن الصحابة عمار و المقداد و أبو ذر و سلمان و جابر بن عبد الله و أبي بن كعب و حذيفة و بريدة و أبو أيوب و سهل بن حنيف و عثمان بن حنيف و أبو الهيثم بن التيهان و خزيمة بن ثابت و أبو الطفيل عامر بن واثلة و العباس بن عبد المطلب و بنوه و بنو هاشم كافة و بنو المطلب كافة .

[222]

و كان الزبير من القائلين به في بدء الأمر ثم رجع و كان من بني أمية قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص و منهم عمر بن عبد العزيز . و أنا أذكر هاهنا الخبر المروي المشهور عن عمر و هو من رواية ابن الكلبي قال بينا عمر بن عبد العزيز جالسا في مجلسه دخل حاجبه و معه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم و القامة و رجلان متعلقان بها و معهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر فدفعوا إليه الكتاب ففضه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من ميمون بن مهران سلام عليك و رحمة الله و بركاته أما بعد فإنه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور و عجزت عنه الأوساع و هربنا بأنفسنا عنه و وكنناه إلى عالمه لقول الله عز و جل **وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** و هذه المرأة و الرجلان أحدهما زوجها و الآخر أبوها و إن أباهما يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن علي بن أبي طالب ع خير هذه الأمة و أولاها برسول الله ص و أنه يزعم أن ابنته طلقت منه و أنه لا يجوز له في دينه أن يتخذها صهرا و هو يعلم أنها حرام عليه كأمه و إن الزوج يقول له كذبت و أثمت لقد بر قسمي و صدقت مقالتي و إنها امرأتي على رغم أنفك و غيظ قلبك فاجتمعوا إلي يختصمون في ذلك فسألت الرجل عن يمينه فقال نعم قد كان ذلك و قد حلفت بطلاقها أن عليا خير هذه الأمة و أولاها برسول الله ص عرفه من عرفه و أنكره من أنكره فليغضب من

[223]

غضب و ليرض من رضي و تسامع الناس بذلك فاجتمعوا له و إن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتى و قد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم و تسرعهم إلى ما فيه الفتنة فاحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله و إنهما تعلقا بها و أقسم أبوها ألا يدعها معه و أقسم زوجها ألا يفارقها و لو ضربت عنقها إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته و الامتناع منه فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين أحسن الله توفيقك و أرشدك . و كتب في أسفل الكتاب

إذا ما المشكلات وردن يوما

فحارت في تأملها العيون

و ضاق القوم ذرعا عن نباها

فأنت لها أبا حفص أمين

لأنك قد حويت العلم طرا

و أحكمك التجارب و الشنون

و خلفك الإله على الرعايا

فحظك فيهم الحظ الثمين

قال فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم و بني أمية و أفخاذ قريش ثم قال لأبي المرأة ما تقول أيها الشيخ قال يا أمير المؤمنين هذا الرجل زوجته ابنتي و جهزتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها حتى إذا أملت خيره و رجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذبا ثم أراد الإقامة معها فقال له عمر يا شيخ لعله لم يطلق امرأته فكيف حلف قال الشيخ سبحان الله الذي حلف عليه لأبين حنثا و أوضح كذبا من أن يختلج في صدري منه شك مع سني و علمي لأنه زعم أن عليا خير هذه الأمة و إلا فامرأته طالق ثلاثا فقال للزوج ما تقول أ هكذا حلفت قال نعم فقيل إنه لما قال نعم كاد المجلس يرتج بأهله و بنو أمية ينظرون إليه شذرا إلا أنهم لم ينطقوا بشيء كل ينظر إلى وجه عمر .

[224]

فأكب عمر مليا ينكت الأرض بيده و القوم صامتون ينظرون ما يقوله ثم رفع رأسه و قال

إذا ولي الحكومة بين قوم

أصاب الحق و التمس السدادا

و ما خير الإمام إذا تعدى

خلاف الحق و اجتنب الرشادا

ثم قال للقوم ما تقولون في يمين هذا الرجل فسكتوا فقال سبحان الله قولوا فقال رجل من بني أمية هذا حكم في فرج و لسنا نجترئ على القول فيه و أنت عالم بالقول موثمن لهم و عليهم قل ما عندك فإن القول ما لم يكن يحق باطلا و يبطل حقا جانز علي في مجلسي . قال لا أقول شيئا فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب فقال له ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي فاغتمها فقال يا أمير المؤمنين إن جعلت قولي حكما أو حكمي جانزا قلت و إن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي و أبقى للمودة قال قل و قولك حكم و حكمك ماض . فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا ما أنصفتنا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا و نحن من لحمك و أولى رحمك فقال عمر اسكتوا أ عجزا و لو ما عرضت ذلك عليكم آنفا فما انتدبتم له قالوا لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي و لا حكمتنا كما حكمته فقال عمر إن كان أصاب و أخطأتم و حزم و عجزتم و أبصر و عميتم فما ذنب عمر لا أبا لكم أ تدرن ما مثلكم قالوا لا ندري قال لكن العقيلي يدري ثم قال ما تقول يا رجل قال نعم يا أمير المؤمنين كما قال الأول

دعيتم إلى أمر فلما عجزتم

تناوله من لا يداخله عجز

فلما رأيتم ذاك أبدت نفوسكم

نداما و هل يعني من القدر الحذر

فقال عمر أحسنت و أصبت فقل ما سألتك عنه قال يا أمير المؤمنين

بر قسمه و لم تطلق امرأته قال و أنى علمت ذاك قال نشدتك الله يا أمير المؤمنين أ لم تعلم

أن رسول الله ص قال لفاطمة ع و هو عندها في بيتها عاند لها يا بنية ما علتك قالت الوعك يا أبتاه و كان علي غانبا في بعض حوائج النبي ص فقال لها أ تشتهين شيئا قالت نعم أشتهي عنبا و أنا أعلم أنه عزيز و ليس وقت عنب فقال ص إن الله قادر على أن يجيننا به ثم قال اللهم انتنا به مع أفضل أمتي عندك منزلة فطرق علي الباب و دخل و معه مکتل قد ألقى عليه طرف ردانه فقال له النبي ص ما هذا يا علي قال عنب التمسته لفاطمة فقال الله أكبر الله أكبر اللهم كما سررتني بأن خصصت عليا بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيتي ثم قال كلي على اسم الله يا بنية فأكلت و ما خرج رسول الله ص حتى استقلت و برأت فقال عمر صدقت و بررت أشهد لقد سمعته و وعيته يا رجل خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه ثم قال يا بني عبد مناف و الله ما نجعل ما يعلم غيرنا و لا بنا عمى في ديننا و لكننا كما قال الأول

تصيدت الدنيا رجالا بفخها

فلم يدركوا خيرا بل استقبحوا الشرا

و أعماهم حب الغنى و أصمهم

فلم يدركوا إلا الخسارة و الوزرا

قيل فكأنما ألقم بني أمية حجرا و مضى الرجل بامرأته . و كتب عمر إلى ميمون بن مهران عليك سلام فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد فهمت كتابك و ورد الرجلان و المرأة و قد صدق الله يمين الزوج و أبر قسمه و أثبتته على نكاحه فاستيقن ذلك و اعمل عليه و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

فأما من قال بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير كأويس القرني و زيد بن صوحان و صعصعة أخيه و جندب الخير و عبيدة السلماني و غيرهم ممن لا يحصى كثرة و لم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله و لم تكن مقالة الإمامية و من نحا نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة و جميع ما ورد من الآثار و الأخبار في فضل الشيعة و أنهم موعودون بالجنة فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم و لذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم و تصانيفهم نحن الشيعة حقا فهذا القول هو أقرب إلى السلامة و أشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفي الإفراط و التفريط إن شاء الله

وَ سُنِّلَ عَنِ التَّوْحِيدِ وَ الْعَدْلِ فَقَالَ التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ وَ الْعَدْلُ أَلَّا تَتَّهَمَهُ هَذَانِ الرُّكْنَانِ هُمَا رُكْنَا عِلْمِ الْكَلَامِ وَ هُمَا شِعَارِ
 أَصْحَابِنَا الْمُعْتَزِلَةَ لِنَفِيهِمُ الْمَعَانِي الْقَدِيمَةَ الَّتِي يَثْبِتُهَا الْأَشْعَرِيُّ وَ أَصْحَابُهُ وَ لِنَتَّزِيهِمُ الْبَارِيَّ سُبْحَانَهُ عَنِ فِعْلِ الْقَبِيحِ . وَ
 مَعْنَى قَوْلِهِ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ أَيُّ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ جِسْمًا أَوْ صُورَةً أَوْ فِي جِهَةٍ مُخْصِوَصَةٍ أَوْ مَالِنَا لِكُلِّ الْجِهَاتِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ قَوْمٌ أَوْ
 نُورًا مِنْ الْأَنْوَارِ أَوْ قُوَّةً سَارِيَةً فِي جَمِيعِ الْعَالَمِ كَمَا قَالَهُ قَوْمٌ أَوْ مِنْ جِنْسِ الْأَعْرَاضِ الَّتِي تَحِلُّ الْحَالُ أَوْ تَحِلُّ الْمَحَلُّ وَ لَيْسَ
 بِعَرَضٍ كَمَا قَالَهُ النَّصَارَى وَ غَلَاةِ الشَّيْعَةِ أَوْ تَحِلُّهُ الْمَعَانِي وَ الْأَعْرَاضُ فَمَتَى تَوَهَّمُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ خَوْلَفَ التَّوْحِيدَ وَ
 ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ جِسْمٍ أَوْ عَرَضٍ أَوْ حَالٍ فِي مَحَلٍّ أَوْ مَحَلِّ الْحَالِ أَوْ مُخْتَصِّ بِجِهَةٍ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ مُنْقَسِمًا فِي ذَاتِهِ لَا سِيَّمَا عَلَى
 قَوْلٍ مِنْ نَفْيِ الْجَزَاءِ مُطْلَقًا وَ كُلِّ مُنْقَسِمٍ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ وَ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ وَ أَضَافَ أَصْحَابِنَا إِلَى التَّوْحِيدِ نَفْيَ الْمَعَانِي الْقَدِيمَةَ
 وَ نَفْيَ ثَانٍ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَ نَفْيَ الرُّوْيَةِ وَ نَفْيَ كَوْنِهِ مُشْتَهِيًا أَوْ نَافِرًا أَوْ مُلْتَذًا أَوْ أَلْمًا أَوْ عَالِمًا بِعِلْمٍ مُحَدَّثٍ أَوْ قَادِرًا بِقُدْرَةٍ
 مُحَدَّثَةٍ أَوْ حَيًّا بِحَيَاةٍ مُحَدَّثَةٍ أَوْ نَفْيَ كَوْنِهِ عَالِمًا بِالْمُسْتَقْبَلَاتِ أَبَدًا أَوْ نَفْيَ كَوْنِهِ عَالِمًا بِكُلِّ مَعْلُومٍ أَوْ قَادِرًا

[228]

عَلَى كُلِّ الْأَجْنَاسِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ عِلْمِ الْكَلَامِ الَّتِي يَدْخُلُهَا أَصْحَابِنَا فِي الرُّكْنِ الْأَوَّلِ وَ هُوَ التَّوْحِيدُ . وَ أَمَّا الرُّكْنُ الثَّانِي
 فَهُوَ أَلَّا تَتَّهَمَهُ أَيُّ لَا تَتَّهَمَهُ فِي أَنَّهُ أُجْبِرُكَ عَلَى الْقَبِيحِ وَ يِعَاقِبُكَ عَلَيْهِ حَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا تَتَّهَمَهُ فِي أَنَّهُ مَكَّنَ الْكُذَّابِينَ مِنْ
 الْمَعْجَزَاتِ فَأُضِلُّ بِهِمُ النَّاسَ وَ لَا تَتَّهَمَهُ فِي أَنَّهُ كَلَّفَكَ مَا لَا تَطِيقُهُ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْعَدْلِ الَّتِي يَذْكَرُهَا أَصْحَابِنَا مُفْصَلَةً
 فِي كِتَابِهِمْ كَالْعَوْضِ عَنِ الْأَلْمِ فَإِنَّهُ لَا يَدُّ مِنْهُ وَ الثَّوَابِ عَلَى فِعْلِ الْوَاجِبِ فَإِنَّهُ لَا يَدُّ مِنْهُ وَ صَدَقَ وَعْدُهُ وَ وَعِيدُهُ فَإِنَّهُ لَا يَدُّ مِنْهُ
 . وَ جَمَلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ مَذْهَبَ أَصْحَابِنَا فِي الْعَدْلِ وَ التَّوْحِيدِ مَأْخُوذٌ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ هَذَا الْمَوَاضِعُ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي قَدْ
 صَرَّحَ فِيهَا بِمَذْهَبِ أَصْحَابِنَا بَعِيْنَهُ وَ فِي فَرَشِ كَلَامِهِ مِنْ هَذَا النَّمْطِ مَا لَا يَحْصِي

[229]

وَ قَالَ ع فِي دُعَاءِ اِسْتَسْقَى بِه اَللّهُمَّ اِسْقِنَا ذُلَّ اَلسَّحَابِ اَلسَّحَابِ ذُوْنَ صِعَابِهَا قَالَ الرضی رحمہ اللہ تعالیٰ و هذا من الکلام

العجیب الفصاحة و ذلك أنه ع شبه السحب ذوات الرعود و البوارق و الرياح و الصواعق بالإبل الصعاب التي تقمص
برحالها و تتوقص بركبانها و شبه السحاب الخالية من تلك الزوابع بالإبل الذلل التي تحتلب طیعة و تقتعد مسمحة قد كفانا
الرضی رحمہ اللہ بشرحه هذه الكلمة منونة الخوض في تفسيرها

وَقِيلَ لَهُ ع لُو غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ع الْخَضَابُ زِينَةٌ وَ نَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ص يُرِيدُ وِفَاةَ
رَسُولِ اللَّهِ ص



مختارات مما قيل من الشعر في الشيب و الخضاب

قد تقدم لنا في الخضاب قول كاف و أنا أستملح قول الصابي فيه

خضاب تقاسمناه بيني و بينها
و لكن شأني فيه خالف شأنها
فيا قبحة إذ حل مني بمفرقي
و يا حسنة إذ حل منها بناتها
و سحقا له عن لمتي حين شأنها
و أهلا به في كفها حيث زانها

و قال أبو تمام

لعب الشيب بالمفارق بل جد
فأبكي تماضرا و لعوبا
خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد
دما أن رأيت شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له
إلا الفظيعين ميتة و مشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى
حسناتي عند الحسان ذنوبا

[231]

و لئن عين ما رأين لقد أنكرن
مستنكرا و عين معيبا
لو رأى الله أن في الشيب فضلا
جاورته الأبرار في الخلد شيبا

و قال

فإن يكن المشيب طغى علينا
و أودى بالبشاشة و الشباب
فإني لست أدفعه بشيء
يكون عليه أثقل من خضاب

أردت بأن ذاك و ذا عذاب
فسلطت العذاب على العذاب

ابن الرومي

لم أخضب الشيب للغواني
أبغى به عندهم ودادا
لكن خضابي على شباب
لبست من بعده حدادا

و من مختار ما جاء من الشعر في الشيب و إن لم يكن فيه ذكر الخضاب قول أبي تمام

نسج المشيب له لفاعا مغدفا
يققا فقتع مذرويه و نصفا
نظر الزمان إليه قطع دونه
نظر الشقيق تحسرا و تلهفا
ما اسود حتى ابيض كالكرم الذي
لم يبد حتى جيء كيما يقطفا
لما تفوفت الخطوب سوادها
ببياضها عبثت به فتفوها
ما كان يخطر قبل ذا في فكره
للبدن قبل تمامه أن يكسفا

و قال أيضا

غدا الهم مختطا بفودي خطة
طريق الردى منها إلى الموت مهيع

[232]

هو الزور يجفى و المعاشر يجتنوى
و ذو الإلف يلقى و الجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع
و لكنه في القلب أسود أسفع
و نحن نرجيه على الكره و الرضا
و أنف الفتى من وجهه و هو أجدع

شعلة في المفارق استودعتني
في صميم الأحشاء ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها
صعدا و هي تستثير الهموما
غرة مرة ألا إنما كنت
أغر أيام كنت بهيما
دقة في الحياة تدعى جلالا
مثل ما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتم و أراني
قبل هذا التحليم كنت حلما

و قال الصابي و ذكر الخضاب

خضبت مشيبي للتعلق بالصبا
و أوهمت من أهواه أني لم أشب
فلما ادعى مني العذار شبيبة
إذا صلعي قد صاح من فوقه كذب
فكم طرة طارت و دانت ذوانب
و كم وجنة حالت و ماء بها نضب
شواهد بالنزوير يحوين ربها
فهجرانه عند الأحبة قد وجب

البحثري

بان الشباب فلا عين و لا أثر
إلا بقية برد منه أسمال
قد كدت أخرجه عن منتهى عددي
يأسا و أسقطه إذ فات من بالي
سوء العواقب يأس قبله أمل
و أعضل الداء نكس بعد إبلال
و المرء طاعة أيام تنقله
تنقل الظل من حال إلى حال



وَقَالَ ع : مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمِ أَجْرًا مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ



نبد و حكايات حول العفة

قد تقدم القول في العفة و هي ضروب عفة اليد و عفة اللسان و عفة الفرج و هي العظمى و

قد جاء في الحديث المرفوع من عشق فكتم و عف و صبر فمات مات شهيدا و دخل الجنة و

في حكمة سليمان بن داود أن الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده . نزل خارجي على بعض إخوانه منهم مستترا من الحجاج فشخص المنزول عليه لبعض حاجاته و قال لزوجته يا ظمياء أوصيك بضيفي هذا خيرا و كانت من أحسن الناس فلما عاد بعد شهر قال لها كيف كان ضيفك قالت ما أشغله بالعمى عن كل شيء و كان الضيف أطبق جفنيه فلم ينظر إلى المرأة و لا إلى منزلها إلى أن عاد زوجها .

[234]

و قال الشاعر

إن أكن طامح اللحاظ فإني

و الذي يملك القلوب عفيف

خرجت امرأة من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه و رأسها مكشوف فرأها رجل أجنبي فرجعت و حلقت شعرها و كانت من أحسن النساء شعرا فقبل لها في ذلك قالت ما كنت لأدع على رأسي شعرا رآه من ليس لي بمحرم . كان ابن سيرين يقول ما غشيت امرأة قط في يقظة و لا نوم غير أم عبد الله و إني لأرى المرأة في المنام و أعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري عنها . و قال بعضهم

و إني لعف عن فكاهاة جارتني

و إني لمشروع إلي اغتياها

إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها

صديقا و لم تأنس إلي كلابها

و لم أك طلابا أحاديث سرها

و لا عالما من أي حوك ثيابها

دخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال ما أرى فيك يا بثينة شيئا مما كان يلهج به جميل فقالت إنه كان يرنو إلي

بعينين ليستا في رأسك يا أمير المؤمنين قال فكيف صادفته في عفته قالت كما وصف نفسه إذ قال

لا و الذي تسجد الجباه له

ما لي بما ضم ثوبها خبر

و لا بفيها و لا هممت به
ما كان إلا الحديث و النظر

و قال أبو سهل الساعدي دخلت على جميل في مرض موته فقال يا أبا سهل رجل يلقي الله و لم يسفك دما حراما و لم يشرب خمرا و لم يأت فاحشة أترجو له الجنة قلت إي و الله فمن هو قال إني لأرجو أن أكون أنا ذلك فذكرت له بثينة

[235]

فقال إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا و أول يوم من أيام الآخرة لا نالتني شفاعة محمد إن كنت حدثت نفسي بريبة معها أو مع غيرها قط . قال الشاعر

قالت و قلت ترفقي فصلي
حبل امرئ بوصالكم صب
صادق إذا بعلي فقلت لها
الغدر شيء ليس من شعبي
تنتان لا أصبو لوصلهما
عرس الصديق و جارة الجنب
أما الصديق فلست خانته
و الجار أوصاني به ربي

يقال إن امرأة ذات جمال دعت عبد الله بن عبد المطلب إلى نفسها لما كانت ترى على وجهه من النور فأبى و قال

أما الحرام فالمات دونه
و الحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه
يحمي الكريم عرضه و دينه

راود توبة بن الحمير ليلي الأخيلية مرة عن نفسها فاشمأزت منه و قالت

و ذي حاجة قلنا له لا تبج بها
فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه
و أنت لأخرى صاحب و خليل

موانع لا يعطين حبة خردل
و هن زوان في الحديث أوانس
و يكرهن أن يسمعن في اللهو ريبة
كما كرهت صوت اللجام الشوامس

آخر

بيض أوانس ما هممن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام

[236]

يحسبن من لين الكلام زوانيا
و يصدهن عن الخنا الإسلام

في الحديث المرفوع لا تكونن حديد النظر إلى ما ليس لك فإنه لا يزني فرجك ما حفظت عينيك و إن استطعت ألا تنظر إلى
ثوب المرأة التي لا تحل لك فافعل و لن تستطيع ذلك إلا بإذن الله . كان ابن المولى الشاعر المدني موصوفا بالعفة و طيب
الإزار فأنشد عبد الملك شعرا له من جملته

و أبكي فلا ليلى بكت من صباية
لباك و لا ليلى لذي البذل تبذل
و أخنع بالعتبى إذا كنت مذنبا
و إن أذنبت كنت الذي أتصل

فقال عبد الملك من ليلى هذه إن كانت حرة لأزوجنكها و إن كانت أمة لأشترينها لك بالغة ما بلغت فقال كلا يا أمير
المؤمنين ما كنت لأصعر وجه حر أبدا في حرته و لا في أمته و ما ليلى التي أنست بها إلا قوسي هذه سميتها ليلى لأن
الشاعر لا بد له من النسيب . ابن الملوح المجنون

كأن على أنيابها الخمر مجه
بماء الندى من آخر الليل غابق
و ما ذفته إلا بعيني تفرسا
كما شيم من أعلى السحابة بارق

هذا مثل بيت الحماسة

بأعذب من فيها و ما ذقت طعمه
و لكنني فيما ترى العين فارس

ما إن دعاني الهوى لفاحشة
إلا نهاني الحياء و الكرم

[237]

و لا إلى محرم مددت يدي
و لا مشيت بي لربيبة قدم

العباس بن الأحنف

أ تأذنون لصب في زيارتكم
فعدكم شهوات السمع و البصر
لا يضمّر السوء إن طال الجلوس به
عف الضمير و لكن فاسق النظر

قال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في الموسم و هي في غاية الضر و النحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل لك من
حاجة قالت حاجتي إن تنادي في الموقف بقولي

تزود كل الناس زادا يقيمهم
و ما لي زاد و السلام على نفسي

ففعلت و إذا أنا بفتى منهوك فقال أنا الزاد فمضيت به إليها فما زادوا على النظر و البكاء ثم قالت له انصرف مصاحباً فقلت
ما علمت أن التقاء كما يقتصر فيه على هذا فقالت أمسك يا فتى أما علمت أن ركوب العار و دخول النار شديد . قال
بعضهم

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني
منه الحياء و خوف الله و الحذر
و كم خلوت بمن أهوى فيقتعني
منه الفكاهة و التحديث و النظر
أهوى الملاح و أهوى أن أجالسهم
و ليس لي في حرام منهم و طر
كذلك الحب لا إتيان معصية
لا خير في لذة من بعدها سقر

قال محمد بن عبد الله بن طاهر لبنيه اعشقوا تظرفوا و عفوا تشرفوا . وصف أعرابي امرأة طرقها فقال ما زال القمر
يرينها فلما غاب أرتنيه فقيل فما كان بينكما قال ما أقرب ما أحل الله مما حرم إشارة في غير بأس و دنو من غير مساس
و لا وجع أشد من الذنوب .

[238]

كثير عزة

و إني لأرضى منك يا عز بالذي
لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا و بالأا أستطيع و بالمنى
و بالوعد حتى يسأم الوعد آمله
و بالنظرة العجلي و بالحول ينقضي
أواخره لا نلتقي و أوائله

و قال بعض الظرفاء كان أرباب الهوى يسرون فيما مضى و يقنعون بأن يمضغ أحدهم لبانا قد مضغته محبوبته أو يستاك
بسواكها و يرون ذلك عظيما و اليوم يطلب أحدهم الخلوة و إرخاء الستور كأنه قد أشهد على نكاحها أبا سعيد و أبا هريرة
. و قال أحمد بن أبي عثمان الكاتب

و إني ليرضيني المرور ببابها
و أقنع منها بالوعيد و بالزجر

قال يوسف بن الماجشون أنشدت محمد بن المنكدر قول وضاح اليمن

إذا قلت هاتي نولينى تبسمت
و قالت معاذ الله من فعل ما حرم
فما نولت حتى تضرعت حولها
و عرفتها ما رخص الله في اللمم

فضحك و قال إن كان وضاح لفتيها في نفسه . قال آخر

فقال بحق الله إلا أتيتنا
إذا كان لون الليل لون الطيالس
فجنت و ما في القوم يقظان غيرها
و قد نام عنها كل وال و حارس
فبتنا مبيتا طيبا نستلذه
جميعا و لم أمدد لها كف لامس

مرت امرأة حسناء بقوم من بني نمير مجتمعين في ناد لهم فرمقوها بأبصارهم . و قال قائل منهم ما أكملها لو لا أنها
رسحاء فالتفتت إليهم و قالت و الله

[239]

يا بني نمير ما أطعم الله و لا الشاعر قال الله تعالى **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** . و قال الشاعر

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت و لا كلابا

فأخجلتهم . و قال أبو صخر الهذلي من شعر الحماسة

لليلة منها تعود لنا
من غير ما رفث و لا إثم
أشهى إلى نفسي و لو برحت
مما ملكت و من بني سهم

آخر

و ما نلت منها محرما غير أنني
أقبل بساما من الثغر أفلجا
و التم فاها آخذا بقرونها
و أترك حاجات النفوس تخرجنا

و أعف من هذا الشعر قول عبد بني الحسحاس على فسقه

لعمر أبيها ما صبوت و لا صبت
إلي و إني من صبا لحليم
سوى قبلة أستغفر الله ذنبها
سأطعم مسكينا لها و أصوم

و قال آخر

و مجدولة جدل العناق كأنما
سنا البرق في داجي الظلام ابتسامها
ضربت لها الميعاد ليست بكنة
و لا جارة يخشى على ذمامها
فلما التقينا قالت الحكم فاحتكم

سوى خلة هيهات منك مرامها
فقلت معاذ الله أن أركب التي
تبيد و يبقى في المعاد أثمها

[240]

قوله ليست بكنة و لا جارة يخشى علي ذمامها مأخوذ من قول قيس بن الخطيم

و مثلك قد أحببت ليست بكنة
و لا جارة و لا حليلة صاحب

و هذا الشاعر قد زاد عليه بقوله و لا حليلة صاحب . و أنشد ابن مندويه لبعضهم

أنا زاني اللسان و الطرف إلا
أن قلبي يعاف ذاك و يأبى
لا يراني إلاله أشرب إلا
كل ما حل شربه لي و طابا

آخر

نلهو بهن كذا من غير فاحشة
لهو الصيام بتفاح البساتين

بشار بن برد

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم
ما في التزام و لا في قبلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته
و فاز بالطيبات الفاتك اللهج

البيت الآخر مثل قول القائل

من راقب الناس مات هما
و فاز باللذة الجسور

أبو الطيب المتنبي

و ترى الفتوة و المروعة و الأبوة
في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعاتي لذتي
في خلوتي لا الخوف من تبعاتها
إني على شغفي بما في خمرها
لأعف عما في سراويلاتها

[241]

كان صاحب رحمه الله يستهجن قوله عما في سراويلاتها ويقول إن كثيرا من العهر أحسن من هذه العفة ومعنى البيت الأول أن هذه الخلال الثلاث تراهن الملاح ضرائر لهن لأنهن يمنعهن عن الخلوة بالملاح و التمتع بهن ثم قال إن هذه الخلال هي التي تمنعه لا الخوف من تبعاتها و قال قوم هذا تهاون بالدين و نوع من الإلحاد و عندي أن هذا مذهب للشعراء معروف لا يريدون به التهاون بالدين بل المبالغة في وصف سجايهم و أخلاقهم بالطهارة و أنهم يتركون القبيح لأنه قبيح لا لورود الشرع به و خوف العقاب منه و يمكن أيضا أن يريد بتبعاتها تبعات الدنيا أي لا أخاف من قوم هذه المحبوبة التي أنست بها و لا أشفق من حربهم و كيدهم فأما عفة اليد و عفة اللسان فهما باب آخر و قد ذكرنا طرفا صالحا من ذلك في الأجزاء المتقدمة عند ذكرنا الورع . و

في الحديث المرفوع لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذار ما به البأس . و قال أبو بكر في مرض موته إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأخذ لهم درهما و لا دينارا و أكلنا من جريش الطعام و لبسنا من خشن الثياب و ليس عندنا من فيء المسلمين إلا هذا الناضح و هذا العبد الحبشي و هذه القطيفة فإذا قبضت فادفعوا ذلك إلى عمر ليجعله في بيت مال المسلمين فلما مات حمل ذلك إلى عمر فبكى كثيرا ثم قال رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده . قال سليمان بن داود يا بني إسرائيل أوصيكم بأمرين أفلح من فعلهما لا تدخلوا أجوافكم إلا الطيب و لا تخرجوا من أفواهكم إلا الطيب .

[242]

و قال بعض الحكماء إذا شئت أن تعرف ربك معرفة يقينية فاجعل بينك و بين المحارم حائطا من حديد فسوف يفتح عليك أبواب معرفته . و مما يحكى من ورع حسان بن أبي سنان أن غلاما له كتب إليه من الأهواز أن قصب السكر أصابته السنة آفة فابتع ما قدرت عليه من السكر فإنك تجد له ربعا كثيرا فيما بعد فابتاع و طلب منه ما ابتاعه بعد قليل بربح ثلاثين ألف درهم فاستقال البيع من صاحبه و قال إنه لم يعلم ما كنت أعلم حين اشتريته منه فقال البائع قد علمت الآن مقدار الربح و قد طيبته لك و أحللتك فلم يظمن قلبه و ما زال حتى رده عليه . يقال إن غنم الغارة اختلطت بغم أهل الكوفة فتورع أبو حنيفة أن يأكل اللحم و سأل كم تعيش الشاة قالوا سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين . و يقال إن المنصور حمل إليه بدرة فرمى بها إلى زاوية البيت فلما مات جاء بها ابنه حماد بن أبي حنيفة إلى أبي الحسن بن أبي قحطبة و قال إن أبي أوصاني أن أرد هذه عليك و قال إنها كانت عندي كالوديعة فاصرفها فيما أمرك الله به فقال أبو الحسن رحم الله أبا حنيفة لقد شح بدينه إذ سخت به نفوس أقوام . و قال سفيان الثوري انظر درهمك من أين هو و صل في الصف الأخير .

جابر سمعت النبي ص يقول لكعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت النار أولى به . الحسن لو وجدت رغيفا من حلال لأحرقتة ثم سحقتة ثم جعلته ذرورا ثم داويت به المرضى .

[243]

عائشة قالت يا رسول الله من المؤمن قال من إذا أصبح نظر إلى رغيفيه كيف يكتسبهما قالت يا رسول الله أما إنهم لو كلفوا ذلك لتكفوه فقال لها إنهم قد كلفوه و لكنهم يعسفون الدنيا عسفا

حذيفة بن اليمان يرفعه أن قوما يجينون يوم القيامة و لهم من الحسنات كأمثال الجبال فيجعلها الله هباء منثورا ثم يؤمر بهم إلى النار فقليل خلهم لنا يا رسول الله قال إنهم كانوا يصلون و يصومون و يأخذون أهبة من الليل و لكنهم كانوا إذا عرض عليهم الحرام وثبوا عليه

[244]

وَقَالَ ع : اَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ قَالَ وَ قَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَ قَدْ تَكَرَّرَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ بِذَاتِهَا فِي كَلَامِهِ ع . وَ مِنْ جَيِّدِ الْقَوْلِ فِي الْقَنَاعَةِ قَوْلُ الْغَزَّيِّ

أنا كالثعبان جلدي ملبسي
لست محتاجا إلى ثوب الجمال
فالخمول العز و اليأس الغنى
و القنوع الملك هذا ما بدا لي

و قال أيضا

لا تعجبن لمن يهوى و يصعد في
دنياه فالخلق في أرجوحة القدر
و اقنع بما قل فالأوشال صافية
و لجة البحر لا تخلو من الكدر

وَقَالَ ع لَزِيَادِ ابْنِ أَبِيهِ وَ قَدْ اسْتَخْلَفَهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَلَى فَارِسَ وَ أَعْمَالِهَا فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمَا نَهَاةً فِيهِ عَنْ تَقْدِيمِ تَقْدِيمِ الْخَرَاجِ . اسْتَعْمَلَ الْعَدْلَ وَ إِحْدَرَ الْعَسْفَ وَ الْأَحْيَفَ فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ وَ الْأَحْيَفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ قَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ فِي الْعَدْلِ وَ الْجَوْرِ وَ كَانَتْ عَادَةُ أَهْلِ فَارِسَ فِي أَيَّامِ عَثْمَانَ أَنْ يَطْلُبَ الْوَالِي مِنْهُمْ خَرَاجَ أَمْلاكِهِمْ قَبْلَ بَيْعِ الثَّمَارِ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِسْلَافِ أَوْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ أَوَّلَ السَّنَةِ الْقَمْرِيَّةِ هُوَ مَبْتَدَأُ وَجُوبِ الْخَرَاجِ حَمَلًا لِلْخَرَاجِ التَّابِعِ لِسَنَةِ الشَّمْسِ عَلَى الْحَقُوقِ الْهَلَالِيَّةِ التَّابِعَةِ لِسَنَةِ الْقَمَرِ كَأَجْرَةِ الْعَقَارِ وَ جِوَالِي أَهْلِ الذِّمَّةِ فَكَانَ ذَلِكَ يَجْحَفُ بِالنَّاسِ وَ يَدْعُو إِلَى عَسْفِهِمْ وَ حَيْفِهِمْ . وَ قَدْ غَلَطَ فِي هَذَا الْمَعْنَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْصَارِ وَ لَمْ يَعْلَمُوا فَرْقَ مَا بَيْنَ السَّنَتَيْنِ ثُمَّ تَتَبَهُ لَهُ قَوْمٌ مِنْ أُنْكَيَاءِ النَّاسِ فَكَبَسُوا وَ جَعَلُوا السَّنِينَ وَاحِدَةً ثُمَّ أَهْمَلَ النَّاسُ الْكَبْسَ وَ انْفَرَجَ مَا بَيْنَ السَّنَةِ الْقَمْرِيَّةِ وَ السَّنَةِ الْخَرَاجِيَّةِ الَّتِي هِيَ سَنَةُ الشَّمْسِ انْفِرَاجًا كَثِيرًا . وَ اسْتَقْصَاءُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ لَا يَلِيْقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ فَنِّ الْأَدَبِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُ كِتَابِنَا هَذَا

وَقَالَ ع : أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهَا صَاحِبُهَا صَاحِبُهُ عَظَمَ المَصِيبَةَ عَلَى حَسَبِ نِعْمَةِ العَاصِي و لهذا كان لطم الولد وجه
الوالد كبيرا ليس كلظمة وجه غير الوالد . و لما كان البارئ تعالى أعظم المنعمين بل لا نعمة إلا و هي في الحقيقة من
نعمة و منسوبة إليه كانت مخالفته و معصيته عظمة جدا فلا ينبغي لأحد أن يعصيه في أمر و إن كان قليلا في ظنه ثم
يستقله و يستهين به و يظهر الاستخفاف و قلة الاحتفال بمواقفته فإنه يكون قد جمع إلى المعصية معصية أخرى و هي
الاستخفاف بقدر تلك المعصية التي لو أمعن النظر لعلم أنها عظيمة ينبغي له لو كان رشيدا أن يبكي عليها الدم فضلا عن
الدمع فلهذا قال ع أشد الذنوب ما استخف بها صاحبها

وَقَالَ ع : مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا تَعْلِيمَ الْعِلْمِ فَرَضَ كِفَايَةَ وَ

فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ مِنْ عِلْمِ عُلَمَاءِ وَ كَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ وَ

رَوَى مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى قَالَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ خَشِيَّةُ اللَّهِ وَ دِرَاسَتُهُ تَسْبِيحٌ وَ الْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ وَ طَلَبُهُ عِبَادَةٌ وَ تَعْلِيمُهُ صَدَقَةٌ وَ بَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قَرَبَةٌ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ وَ بَيَانُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَ الْمُونِسُ فِي الْوَحْشَةِ وَ الْمَحْدَثُ فِي الْخُلُوعِ وَ الْجَلِيسُ فِي الْوَحْدَةِ وَ الصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ وَ الدَّلِيلُ عَلَى السَّرْعِ وَ الْمَعِينُ عَلَى الضَّرِّ وَ الزَّيْنُ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ وَ السَّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ . وَ رَأَى وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ يَكْتُبُ مِنْ صَبِيٍّ حَدِيثًا فَقِيلَ لَهُ مِثْلُكَ يَكْتُبُ مِنْ هَذَا فَقَالَ أَمَا إِنِّي أَحْفَظُ لَهُ مِنْهُ وَ لَكِنِّي أُرِدْتُ أَنْ أُذِيقَهُ كَأْسَ الرَّئِيسَةِ لِيُدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ .

[248]

وَ قَالَ الْخَلِيلُ الْعُلُومُ أَقْفَالٌ وَ السُّؤَالَاتُ مِفَاتِيحُهَا . وَ قَالَ بَعْضُهُمْ كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَضْنُونَ بِعِلْمِهِمْ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُرْغَبُونَ فِيهِ وَ يَبْذُلُونَ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ وَ الْيَوْمَ قَدْ بَذَلَ أَهْلُ الْعِلْمِ عِلْمَهُمْ لِأَهْلِ الدُّنْيَا فَرَهَدُوا فِيهِ وَ ضَنُّوا عَنْهُمْ بِدُنْيَاهُمْ . وَ قَالَ بَعْضُهُمْ ابْذُلْ عِلْمَكَ لِمَنْ يَطْلُبُهُ وَ ادْعُ إِلَيْهِ مِنْ لَا يَطْلُبُهُ وَ إِلا كَانَ مِثْلُكَ كَمَنْ أَهْدَيْتَ لَهُ فَاكْهَةً فَلَمْ يَطْعَمَهَا وَ لَمْ يَطْعَمَهَا حَتَّى فَسَدَتْ

[249]

وَقَالَ ع : شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تَكَلَّفَ تَكْلُفَ لَهُ إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِخَاءَ الصَّادِقَ بَيْنَهُمَا يُوجِبُ الْإِنْتِسَابَ وَتَرَكَ التَّكْلُفَ فَإِذَا احتيج إلى التكلف له فقد دل ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق و من ليس بأخ صادق فهو من شر الإخوان . و روى ابن نايقا في كتاب ملح الممالحة قال دخل الحسن بن سهل على المأمون فقال له كيف علمك بالمروعة قال ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه قال عليك بعمر بن مسعدة قال فوافيت عمرا و في داره صناع و هو جالس على آجرة ينظر إليهم فقلت إن أمير المؤمنين يأمرك أن تعلمني المروعة فدعا بأجرة فأجلسني عليها و تحدثنا مليا و قد امتلأت غيظا من تقصيره بي ثم قال يا غلام عندك شيء يؤكل فقال نعم فقدم طبقا لطيفا عليه رغيفان و ثلاث سكرجات في إحداهن خل و في الأخرى مريء و في الأخرى ملح فأكلنا و جاء الفراش فوضأنا ثم قال إذا شئت فنهضت متحفظا و لم أودعه فقال لي إن رأيت أن تعود إلي في يوم مثله فلم أذكر للمأمون شيئا مما جرى فلما كان في اليوم الذي وعدني فيه لقياه

[250]

سرت إليه فاستؤذن لي عليه فتلقاني على باب الدار فعانقتي و قبل بين عيني و قدمني أمامه و مشى خلفي حتى أقعدني في الدست و جلس بين يدي و قد فرشت الدار و زينت بأنواع الزينة و أقبل يحدثني و يتنادر معي إلى أن حضرت وقت الطعام فأمر فقدمت أطباق الفاكهة فأصبنا منها و نصبت الموائد فقدم عليها أنواع الأطعمة من حارها و باردها و حلوها و حامضها ثم قال أي الشراب أعجب إليك فاقترحت عليه و حضر الوصائف للخدمة فلما أردت الانصراف حمل معي جميع ما أحضر من ذهب و فضة و فرش و كسوة و قدم إلى البساط فرس بمركب ثقيل فركبته و أمر من بحضرته من الغلمان الروم و الوصائف حتى سعوا بين يدي و قال عليك بهم فهم لك ثم قال إذا زارك أخوك فلا تتكلف له و اقتصر على ما يحضرك و إذا دعوته فاحتفل به و احتشد و لا تدعن ممكنا كفعلنا إياك عند زيارتك إيانا و فعلنا يوم دعوناك

[251]

وَقَالَ ع فِي كَلَامٍ لَهُ : إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ قَالَ الرضِي يقال حشمه و أحشمه إذا أغضبه و قيل أخجله أو احتشمه طلب ذلك و هو مظنة مفارقتة ليس يعني أن الاحتشام علة الفرقة بل هو دلالة و أمانة على الفرقة لأنه لو لم يحدث عنه ما يقتضي الاحتشام لانبسط على عادته الأولى فالانقباض أمانة المباشنة . هذا آخر ما دونه الرضِي أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين ع في نهج البلاغة قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى . و نحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضِي مما نسبه قوم إليه فبعضه مشهور عنه و بعضه ليس بذلك المشهور لكنه قد روي عنه و عزي إليه و بعضه من كلام غيره من الحكماء و لكنه كالنظير لكلامه و المضارع لحكمته و لما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة رأينا ألا نخلي هذا الكتاب عنه لأنه كالتكملة و التتمة لكتاب نهج البلاغة .

[252]

و ربما وقع في بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبيه له لطول الكتاب و تباعد أطرافه و قد عددنا ذلك كلمة كلمة فوجدناه ألف كلمة . فإن اعترضنا معترض و قال فإذا كنتم قد أقررتم بأن بعضها ليس بكلام له فلما ذا ذكرتموه و هل ذلك إلا نوع من التطويل . أجبناه و قلنا لو كان هذا الاعتراض لازما لوجب ألا نذكر شيئا من الأشباه و النظائر لكلامه فالعذر هاهنا هو العذر هناك و هو أن الغرض بالكتاب الأدب و الحكمة فإذا وجدنا ما يناسب كلامه ع و ينصب في قلبه و يحتذي حذوه و يتقبل منهجاه ذكرناه على قاعدتنا في ذكر النظير عند الخوض في شرح نظيره . و هذا حين الشروع فيها خالية عن الشرح لجلانها و وضوحها و إن أكثرها قد سبقت نظائره و أمثاله و بالله التوفيق

[253]

الحكم المنسوبة

[254]

[255]

الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع

1 كان كثيرا ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل أشهد أن السماوات والأرض وما بينهما آيات تدل عليك و شواهد تشهد بما إليه دعوت كل ما يؤدي عنك الحجة و يشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك و معالم تدبيرك علوت بها عن خلقك فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آتسها من وحشة الفكر و كفاها رجم الاحتجاج فهي مع معرفتها بك و ولهها إليك شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام و لا تتركك العقول و لا الأبصار أعوذ بك أن أشير بقلب أو لسان أو يد إلى غيرك لا إله إلا أنت واحدا أحدا فردا صمدا و نحن لك مسلمون

2 إلهي كفاني فخرا أن تكون لي ربا و كفاني عزا أن أكون لك عبدا أنت كما أريد فأجعلني كما تريد

3 ما خاف امرؤ عدل في حكمه و أطمع من قوته و نذر من دنياه لآخرته

4 أفضل على من شنت تكن أميره و استغن عن شنت تكن نظيره و احتج إلى من شنت تكن أسيره

5 لو لا ضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة نرجو في العاجل سرعة زوالها و في الآجل عظيم ثوابها بين

أضعاف نعم لو اجتمع أهل السماوات و الأرض على إحسانها ما وفوا بها فضلا عن القيام بشكرها

6 من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار و العمل الحزم في أمره و الصدق في قوله و العدل في حكمه و الشفقة

على رعيته لا تخرجه القدرة إلى خرق و لا اللين إلى ضعف و لا تمنعه العزة من كرم عفو و لا يدعو العفو إلى

[256]

إضاعة حق و لا يدخله الإعطاء في سرف و لا يتخطى به القصد إلى بخل و لا تأخذه نعم الله ببطر

7 الفسق نجاسة في الهمة و كلب في الطبيعة

8 قلوب الجهال تستفزها الأطماع و ترتهن بالأمانى و تتعلق بالخدائع و كثرة الصمت زمام اللسان و حسم الفطنة و إماطة

الخاطر و عذاب الحس

9 عداوة الضعفاء للأقوياء و السفهاء للحلماء و الأشرار للأخيار طبع لا يستطاع تغييره

10 العقل في القلب و الرحمة في الكبد و التنفس في الرئة

11 إذا أراد الله بعبد خيرا حال بينه وبين شهوته و حجز بينه وبين قلبه و إذا أراد به شرا وكله إلى نفسه

12 الصبر مطية لا تكبو و القناعة سيف لا ينيو

13 رحم الله عبدا اتقى ربه و ناصح نفسه و قدم توبته و غلب شهوته فإن أجله مستور عنه و أملة خادع له و الشيطان موكل به

14 مر بمقبرة فقال السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة و المحال المقفرة من المؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات أنتم لنا فرط و نحن لكم تبع نزوركم عما قليل و نلحق بكم بعد زمان قصير اللهم اغفر لنا و لهم و تجاوز عنا و عنهم

[257]

الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتا أحياء و أمواتا و الحمد لله الذي منها خلقنا و عليها ممثانا و فيها معاشنا و إليها يعيدنا طوبى لمن ذكر المعاد و قنع بالكفاف و أعد للحساب

15 إنكم مخلوقون اقتدارا و مربوبون اقتسارا و مضمنون أجداثا و كائنون رفاتا و مبعوثون أفرادا و مدينون حسابا فرحم الله امرأ اقتترف فاعترف و وجل فعقل و حذر فإدجر و أجاب فأتاب و راجع فتاب و اقتدى فاحتذى و تاهب للمعاد و استظهر بالزاد ليوم رحيله و وجه سبيله و لحال حاجته و موطن فاقتته فقدم أمامه لدار مقامه فمهّدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان و فسحة الأعمار فهل ينتظر أهل غضارة الشباب إلا حواني الهرم و أهل بضاضة الصحة إلا نوازل السقم و أهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء و اقتراب الفوت و مشارفة الانتقال و إشفاء الزوال و حفز الأئين و رشح الجبين و امتداد العرنين و عزل القلق و قيظ الرمق و شدة المضض و غصص الجرض

16 ثلاث منجيات خشية الله في السر و العلانية و القصد في الفقر و الغنى و العدل في الغضب و الرضا

[258]

17 إياكم و الفحش فإن الله لا يحب الفحش و إياكم و الشح فإنه أهلك من كان قبلكم هو الذي سفك دماء الرجال و هو الذي قطع أرحامها فاجتنبوه

18 إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث صدقة جارية و علم كان علمه الناس فانتفعوا به و ولد صالح يدعو له

19 إذا فعلت كل شيء فكن كمن لم يفعل شيئا

20 سأله رجل فقال بما ذا أسوء عدوي فقال بأن تكون على غاية الفضائل لأنه إن كان يسوءه أن يكون لك فرس فاره أو كلب صيود فهو لأن تذكر بالجميل و ينسب إليك أشد مساءة

21 إذا قذفت بشيء فلا تتهاون به و إن كان كذبا بل تحرز من طرق القذف جهدك فإن القول و إن لم يثبت يوجب ريبة و

شكا

22 عدم الأدب سبب كل شر

23 الجهل بالفضائل عدل الموت

24 ما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلا

25 من لم يقهر حسده كان جسده قبرا لنفسه

26 احمد من يغلظ عليك و يعظك لا من يزكك و يتملقك

27 اختر أن تكون مغلوبا و أنت منصف و لا تختار أن تكون غالبا و أنت ظالم

28 لا تهضمن محاسنك بالفخر و التكبر

29 لا تنفك المدنية من شر حتى يجتمع مع قوة السلطان قوة دينه و قوة حكمته

[259]

30 إذا أردت أن تحمد فلا يظهر منك حرص على الحمد

31 من كثر همه سقم بدنه و من ساء خلقه عذب نفسه و من لاهى الرجال سقطت مروءته و ذهبت كرامته و أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان

32 كن ورعا تكن من أعبد الناس و ارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس و أحسن جوار من جاورك تكن مسلما و لا تكثرن الضحك فإن كثرته تميت القلب و أخرس لسانك و اجلس في بيتك و ابك على خطيئتك

33 إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه و لا يرد القدر إلا الدعاء و لا يزيد في العمر إلا البر و لا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه و عن شبابه فيم أبلاه و عن ماله من أين اكتسبه و فيم أنفقه و عما عمل فيما علم

34 في التجارب علم مستأنف و الاعتبار يفيدك الرشاد و كفاك أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك و عليك لأخيك مثل الذي عليه لك

35 الغضب يثير كامن الحقد و من عرف الأيام لم يغفل الاستعداد و من أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول

36 اسكت و استر تسلم و ما أحسن العلم يزينه العمل و ما أحسن العمل يزينه الرفق

37 أكبر الفخر ألا تفخر

38 ما أصعب اكتساب الفضائل و أيسر إتلافها

39 لا تنازع جاهلا و لا تشايح مانقا و لا تعاد مسلطا

[260]

الناشئ من استقبال الكد و الجمع لغيره و لمن ركب الدين لغرمانه و للمطلوب بالوتر و هو في جملة الأمر أمنية كل
ملهوف مجهود

41 ما كنت كاتمه عدوك من سر فلا تطلعن عليه صديقك و اعرف قدرك يستعل أمرك و كفى ما مضى مخبرا عما بقي

42 لا تعدن عدة تحقرها قلة الثقة بنفسك و لا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرا

43 اتق العواقب عالما بأن للأعمال جزاء و أجرا و احذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها

44 من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأي و من أخطأته وجوه المطالب خذلته الحيل و من أخل بالصبر أخل به حسن
العاقبة فإن الصبر قوة من قوى العقل و بقدر مواد العقل و قوتها يقوى الصبر

45 الخطأ في إعطاء من لا يبتغي و منع من يبتغي واحد

46 العشق مرض ليس فيه أجر و لا عوض

47 أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب و قائل كلمة الزور و من يمد بحبلها في الإثم سواء

48 الخصومة تمحق الدين

49 الجهاد ثلاثة جهاد باليد و جهاد باللسان و جهاد بالقلب فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ثم يصير إلى
القلب فإن كان لا يعرف معروفا و لا ينكر منكرا نكس فجعل أعلاه أسفله

[261]

50 ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه

51 الحاجة مسألة و الدعاء زيادة و الحمد شكر و الندم توبة

52 لن و احلم تنبل و لا تكن معجبا فتمقت و تمتهن

53 ما لي أرى الناس إذا قرب إليهم الطعام ليلا تكلفوا إنارة المصابيح ليبيصروا ما يدخلون بطونهم و لا يهتمون بغذاء
النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة و الذنوب في اعتقاداتهم و أعمالهم

54 الفقر هو أصل حسن سياسة الناس و ذلك أنه إذا كان من حسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس و بعضهم
يساس و كان من يساس لا يستقيم أن يساس من غير أن يكون فقيرا محتاجا فقد تبين أن الفقر هو السبب الذي به يقوم
حسن السياسة

55 لا تتكلم بين يدي أحد من الناس دون أن تسمع كلامه و تقيس ما في نفسك من العلم إلى ما في نفسه فإن وجدت ما في نفسه أكثر فحينئذ ينبغي لك أن تروم زيادة الشيء الذي به يفضل على ما عندك

56 إذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر في النفس فليس ينبغي أن تستعمله فيما لم يخطر فيها

57 إذا كان الآباء هم السبب في الحياة فمعلمو الحكمة و الدين هم السبب في جودتها

58 و شكاً إليه رجل تعذر الرزق فقال له لا تجاهد الرزق جهاد المغالب و لا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة و الإجمال

[262]

في الطلب من العفة و ليست العفة دافعة رزقا و لا الحرص جالبا فضلا لأن الرزق مقسوم و في شدة الحرص اكتساب المآثم

59 إذا استغيت عن شيء فدعه و خذ ما أنت محتاج إليه

60 العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه فتعلم الأهم فالأهم

61 من رضي بما قسم له استراح قلبه و بدنه

62 أبعد ما يكون العبد من الله إذا كان همه بطنه و فرجه

63 ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين فلا تعطوها سؤلها فيشغلكم عن ذكر الله

64 ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم

65 إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قد أقبلت فاستعينوا بالله و اصبروا ف **إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ**

66 قال له عثمان في كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبي بكر و عمر أبو بكر و عمر خير منك فقال أنا خير منك و منهما عبت الله قبلهما و عبدته بعدهما

67 أوثق سلم يتسلق عليه إلى الله تعالى أن يكون خيرا

68 ليس الموسر من كان يساره باقيا عنده زمانا يسيرا و كان يمكن أن يغتصبه غيره منه و لا يبقى بعد موته له لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائما عند مالكة و لا يمكن أن يؤخذ منه و يبقى له بعد موته و ذلك هو الحكمة

69 الشرف اعتقاد المنن في أعناق الرجال

[263]

70 يضر الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة و تكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على القوة و التفريط في العمل اتكالا على القدر

71 أحزم الناس من ملك جده هزله و قهر رأيه هواه و أعرب عن ضميره فعله و لم يخدعه رضاه عن حظه و لا غضبه عن كيده

72 من لم يصلح خلانقه لم ينفع الناس تأديبه

73 من اتبع هواه ضل و من حاد ساد و خمود الذكر أجمل من ذميم الذكر

74 لهب الشوق أخف محملا من مقاساة الملالة

75 بالرفق تنال الحاجة و بحسن التآني تسهل المطالب

76 عزيمة الصبر تطفى نار الهوى و نفي العجب يؤمن به كيد الحساد

77 ما شيء أحق بطول سجن من لسان

78 لا نذر في معصية و لا يمين في قطيعة

79 لكل شيء ثمرة و ثمرة المعروف تعجيل السراح

80 إياكم و الكسل فإنه من كسل لم يؤد الله حقا

81 احسبوا كلامكم من أعمالكم و أقلوه إلا في الخير

82 أحسنوا صحبة النعم فإنها تزول و تشهد على صاحبها بما عمل فيها

83 أكثروا ذكر الموت و يوم خروجكم من قبوركم و يوم وقوفكم بين يدي الله عز و جل يهن عليكم المصاب

[264]

84 بحسب مجاهدة النفوس و ردها عن شهواتها و منعها عن مصافحة لذاتها و منع ما أدت إليه العيون الطامحة من لحظاتها تكون المثوبات و العقوبات و الحازم من ملك هواه فكان بملكه له قاهرا و لما قدحت الأفكار من سوء الظنون زاجرا فمتى لم ترد النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ما شغفت به فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة و الأطماع الكاذبة و الأمانى المتلاشية و كما أن البصر إذا اعتل رأى أشباحا و خيالات لا حقيقة لها كذلك النفس إذا اعتلت بحب الشهوات و انطوت على قبيح الإرادات رأت الآراء الكاذبة فإلى الله سبحانه نرغب في إصلاح ما فسد من قلوبنا و به نستعين على إرشاد نفوسنا فإن القلوب بيده يصرفها كيف شاء

85 لا تؤاخذ الفاجر فإنه يزين لك فعله و يود لو أنك مثله و يحسن لك أقبح خصاله و مدخله و مخرجه من عندك شين و عار و نقص و لا الأحق فإنه يجهد لك نفسه و لا ينفك و ربما أراد أن ينفك فضرك سكوتة خير لك من نطقه و بعده خير لك من قربه و موته خير لك من حياته و لا الكذاب فإنه لا ينفك معه شيء ينقل حديثك و ينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فلا يصدق

86 ما استقصى كريم قط قال تعالى في وصف نبيه **عَرَفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضِي**

87 رب كلمة يخترعها حلیم مخافة ما هو شر منها و كفى بالحلم ناصرا

88 من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا و لا عن النار مهربا من عرف الله فأطاعه و عرف الشيطان فعصاه و عرف الحق فاتبعه و عرف الباطل فاتقاه و عرف الدنيا فرفضها و عرف الآخرة فطلبها

[265]

89 من استحيا من الناس و لم يستحي من نفسه فليس لنفسه عند نفسه قدر

90 غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه

91 البلاغة النصر بالحجة و المعرفة بمواضع الفرصة و من البصر بالحجة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة و كانت الكناية أبلغ في الدرك و أحق بالظفر

92 إياك و الشهوات و ليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهية لعقلك مهجنة لرأيك شاننة لغرضك شاغلة لك عن معاظم أمورك مشددة بها التبعة عليك في آخرتك إنما الشهوات لعب فإذا حضر اللعب غاب الجد و لن يقام الدين و تصلح الدنيا إلا بالجد فإذا نازعتك نفسك إلى اللهو و اللذات فاعلم أنها قد نزعت بك إلى شر منزع و أرادت بك أفضح الفضح فغالبتها ذلك و امتنع منها امتناع ذلك و ليكن مرجعك منها إلى الحق فإنك مهما تترك من الحق لا تتركه إلا إلى الباطل و مهما تدع من الصواب لا تدعه إلا إلى الخطأ فلا تداهنن هواك في اليسير فيطمع منك في الكثير و ليس شيء مما أوتيت فاضلا عما يصلحك و ليس لعمرك و إن طال فضل عما ينوبك من الحق اللازم لك و لا بمالك و إن كثر فضل عما يجب عليك فيه و لا بقوتك و إن تمت فضل عن أداء حق الله عليك و لا برأيك و إن حزم فضل عما لا تعذر بالخطأ فيه فليمنعك علمك بذلك من أن تطيل لك عمرا في غير نفع أو تضيع لك مالا في غير حق أو أن تصرف لك قوة في غير عبادة أو تعدل لك رأيا في غير رشد

[266]

فالحفظ الحفظ لما أوتيت فإن بك إلى صغير ما أوتيت الكثير منه أشد الحاجة و عليك بما أضعته منه أشد الرزية و لا سيما العمر الذي كل منفذ سواه مستخلف و كل ذاهب بعده مرتجع فإن كنت شاغلا نفسك بلذة فلتكن لذتك في محادثة العلماء و درس كتبهم فإنه ليس سرورك بالشهوات بالغا منك مبلغا إلا و إكبابك على ذلك و نظرك فيه بالغة منك غير أن ذلك يجمع إلى عاجل السرور تمام السعادة و خلاف ذلك يجمع إلى عاجل الغي و خامة العاقبة و قديما قيل أسعد الناس أدرتهم لهواه

إذا كان هواه في رشده فإذا كان هواه في غير رشده فقد شقي بما أدرك منه و قدما قيل عود نفسك الجميل فباعتيادك إياه يعود لنذيذا

93 وكل ثلاث بثلاث الرزق بالحمق و الحرمان بالعقل و البلاء بالمنطق ليعلم ابن آدم أن ليس له من الأمر شيء

94 ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك عبدك و زوجتك و ابنك و قد روينا هذه الكلمة لعمر فيما تقدم

95 للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة و طعامهم تهمة و غنيمتهم غلول لا يعرفون المساجد إلا هجرا و لا يأتون الصلاة إلا دبرا مستكبرون لا يألفون و لا يؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار

[267]

96 الحسد حزن لازم و عقل هانم و نفس دائم و النعمة على المحسود نعمة و هي على الحاسد نقمة

97 يا حملة العلم أتحملونه فإنما العلم لمن علم ثم عمل و وافق عمله علمه و سيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم و يخالف عملهم علمهم يقعدون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جلسيه أن يجلس إلى غيره أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه

98 تعلموا العلم صغارا تسودوا به كبارا تعلموا العلم و لو غير الله فإنه سيصير الله العلم ذكر لا يحبه إلا ذكر من الرجال

99 ليس شيء أحسن من عقل زانه علم و من علم زانه حلم و من حلم زانه صدق و من صدق زانه رفق و من رفق زانه تقوى إن ملاك العقل و مكارم الأخلاق صون العرض و الجزاء بالفرض و الأخذ بالفضل و الوفاء بالعهد و الإنجاز للوعد و من حاول أمرا بالمعصية كان أقرب إلى ما يخاف و أبعد مما يرجو

100 إذا جرت المقادير بالمكاره سبقت الآفة إلى العقل فحيرته و أطلقت الألسن بما فيه تلف الأنفس

101 لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منهم

102 لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم

103 لا تطلب سرعة العمل و اطلب تجويده فإن الناس لا يسألون في كم فرغ من العمل إنما يسألون عن جودة صنعيته

104 ليس كل ذي عين يبصر و لا كل ذي أذن يسمع فتصدقوا على أولي العقول الزمنة و الألباب الحائرة بالعلوم التي هي أفضل صدقاتكم ثم تلا **إِنَّ الَّذِينَ**

[268]

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمْ . . . أَلَّا عُنُونَ

105 من أتت عليه الأربعون من السنين قيل له خذ حذرک من حلول المقدر فإنک غیر معذور و ليس أبناء الأربعين بأحق بالحذر من أبناء العشرين فإن طالبهما واحد و ليس عن الطلب براقد و هو الموت فاعمل لما أمامك من الهول و دع عنك زخرف القول

106 سنل عن القدر فقال أقصر أم أطيل قيل بل تقصر فقال جل الله أن يريد الفحشاء و عز عن أن يكون له في الملك إلا ما يشاء

107 من علم أنه يفارق الأحباب و يسكن التراب و يواجه الحساب و يستغني عما ترك و يفتقر إلى ما قدم كان حريا بقصر الأمل و طول العمل

108 المؤمن لا تختله كثرة المصائب و تواتر النوائب عن التسليم لربه و الرضا بقضائه كالحمامة التي تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود إليه

109 ما مات من أحيا علما و لا افتقر من ملك فهما

110 العلم صبيغ النفس و ليس يفوق صبيغ الشيء حتى ينظف من كل دنس

111 اعلم أن الذي مدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك و ثوابه و جزاؤه قد سقطا عنك

112 إحسانك إلى الحر يحركه على المكافأة و إحسانك إلى النذل يبعثه على معاودة المسألة

[269]

113 الأشرار ينتبعون مساوئ الناس و يتركون محاسنهم كما ينتبع الذباب المواضع الفاسدة

114 موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة

115 ينبغي لمن ولي أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته و إلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن يستقيم ذلك العود

116 إذا قوي الوالي في عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركز في طبعه من الخير و الشر

117 ينبغي للوالي أن يعمل بخصال ثلاث تأخير العقوبة منه في سلطان الغضب و الأناة فيما يرتتبه من رأي و تعجيل مكافأة المحسن بالإحسان فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو و في تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية و في الأناة انفساح الرأي و حمد العاقبة و وضوح الصواب

118 من حق العالم على المتعلم ألا يكثر عليه السؤال و لا يعنته في الجواب و لا يلح عليه إذا كسل و لا يفشي له سرا و لا يغتاب عنده أحدا و لا يطلب عثرته فإذا زل تأنيت أوبته و قبلت معذرتة و أن تعظمه و توقره ما حفظ أمر الله و عظمه و ألا تجلس أمامه و إن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها و لا تضجرن من صحبتته فإنما هو بمنزلة النخلة ينتظر متى

يسقط عليك منها منفعة و خصه بالتحية و احفظ شاهده و غانبة و ليكن ذلك كله لله عز و جل فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله و إذا مات العالم تلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه و طالب العلم تشيعه الملائكة حتى يرجع

[270]

- 119 وصول معدم خير من جاف مكثر و من أراد أن ينظر ما له عند الله فلينظر ما لله عنده
- 120 لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة و لا صياما و لا حجا و لا اعتمارا و لكن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم و صح ورعهم و كمل يقينهم ففاقوا غيرهم بالحظوة و رفيع المنزلة
- 121 ما من عبد إلا و معه ملك يقيه ما لم يقدر له فإذا جاء القدر خلاه و إياه

122 إن الله سبحانه أدب نبيه ص بقوله **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** فلما علم أنه قد تآدب قال له **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٍ** فلما استحکم له من رسوله ما أحب قال **وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا**

123 كنت أنا و العباس و عمر نتذاكر المعروف فقلت أنا خير المعروف ستره و قال العباس خيره تصغيره و قال عمر خيره تعجيله فخرج علينا رسول الله فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال خيره أن يكون هذا كله فيه

124 العفو يفسد من اللينم بقدر ما يصلح من الكريم

125 إذا خبث الزمان كسدت الفضائل و ضرت و نفقت الرذائل و نفعت و كان خوف الموسر أشد من خوف المعسر

126 انظر إلى المنتصح إليك فإن دخل من حيث يضار الناس فلا تقبل

[271]

نصيحته و تحرز منه و إن دخل من حيث العدل و الصلاح فاقبلها منه

127 أعداء الرجل قد يكونوا أنفع من إخوانه لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها و يخاف شماتهم به فيضبط نعمته و يتحرز من زوالها بغاية طوقه

128 المرأة التي ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم و مساويه من أعدائه فيهم

129 انظر وجهك كل وقت في المرأة فإن كان حسنا فاستقبح أن تضيف إليه فعلا قبيحا و تشينه به و إن كان قبيحا فاستقبح أن تجمع بين قبحين

130 موقع الصواب من الجهال مثل موقع الخطأ من العلماء

131 ذك قلبك بالأدب كما تذكي النار بالحطب

132 كفر النعمة لوم و صحبة الجاهل شوم

133 عاديت من ماريت

134 لا تصرم أخاك على ارتياب و لا تقطعه دون استعتاب

135 خير المقال ما صدقه الفعال

136 إذا لم ترزق غنى فلا تحرم من تقوى

137 من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى

138 دع الكذب تكريما إن لم تدعه تأثما

139 الدنيا طواحة طراحة فضاحة آسية جراحة

140 الدنيا جمة المصائب مرة المشارب لا تمتع صاحبا بصاحب

141 المعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب

[272]

142 من كسل لم يؤد حقا

143 كثرة الجدل تورث الشك

144 خير القلوب أوعاها

145 الحياء لباس سابغ و حجاب مانع و ستر من المساوي واق و حليف للدين و موجب للمحبة و عين كائلة تذود عن الفساد و تنهى عن الفحشاء و العجلة في الأمور مكسبة للمذلة و زمام للندامة و سلب للمروعة و شين للحجى و دليل على ضعف العقيدة

146 إذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه

147 لا تصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه شرا و أنت لا تعلم

148 موت الصالح راحة لنفسه و موت الطالح راحة للناس

149 ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء

150 إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك فلا تقابله بمثل ما كافحك به فتعذر نفسه في الإساءة إليك و تشرع له طريقا إلى ما يحبه فيك لكن اجتهد في التزيد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها فإنك تسوءه من

غير أن توجده حجة عليك

151 إذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره فإنك تقف من مشورته على عدله و جوره و خيره و شره

152 يجب عليك أن تشفق على ولدك أكثر من إشفاقه عليك

153 زمان الجائر من السلاطين و الولاة أقصر من زمان العادل لأن الجائر مفسد و العادل مصلح و إفساد الشيء أشرع من إصلاحه

[273]

154 إذا خدمت رئيسا فلا تلبس مثل ثوبه و لا تتركب مثل مركوبه و لا تستخدم كخدمه فعساك تسلم منه

155 لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك و لا الجهال فيستثقلوك و لكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول و فهم يفهم عنك ما تقول و يكتم عليك ما يسمع فإن لعلمك عليك حقا كما أن عليك في مالك حقا بذله لمستحقه و منعه عن غير مستحقه

156 اليقين فوق الإيمان و الصبر فوق اليقين و من أفرط رجاؤه غلبت الأمانى على قلبه و استعبدته

157 إياك و صاحب السوء فإنه كالسيف كالمسلول يروق منظره و يقبح أثره

158 يا ابن آدم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا تجده

159 من أخطأ سهم المنية قيده الهرم

160 من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها

161 العاقل من اتهم رأيه و لم يثق بما سولته له نفسه

162 من سامح نفسه فيما يحب أتعبها فيما لا يحب

163 كفى ما مضى مخبرا عما بقي و كفى عبرا لذوي الألباب ما جربوا

164 أمر لا تدري متى يعشاك ما يمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك

[274]

165 ليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة

166 إذا أعجبك ما يتواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساوئك و لتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك

167 من مدحك بما ليس فيك من الجميل و هو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح و هو ساخط عليك

168 إذا تشبه صاحب الرياء بالمخلصين في الهيئة كان مثل الوارم الذي يوهم الناس أنه سمين فيظن الناس ذلك فيه و هو يستر ما يلقي من الألم التابع للورم

169 إذا قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأي و إذ ضعفت انقطع إلى البخت

170 الرغبة إلى الكريم تحركه على البذل و إلى الخسيس تغريه بالمنع

171 خيار الناس يترفعون عن ذكر معائب الناس و يتهمون المخبر بها و يأترون الفضائل و يتعصبون لأهلها و يستعرضون مآثر الرؤساء و إفضالهم عليهم و يطالبون أنفسهم بالمكافأة عليها و حسن الرعاية لها

172 لكل شيء قوت و أنتم قوت الهوام و من مشى على ظهر الأرض فإن مصيره إلى بطنها

173 من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه و حنينه إلى أوطانه و حفظه قديم إخوانه

[275]

174 و من دعائه اللهم إن كنا قد قصرنا عن بلوغ طاعتك فقد تمسكنا من طاعتك بأحبها إليك لا إله إلا أنت جاءت بالحق من عندك

175 أصابت الدنيا من أمنها و أصاب الدنيا من حذرها

176 و وقف على قوم أصيبوا بمصيبة فقال إن تجزعوا فحق الرحم بلغتم و إن تصبروا فحق الله أديتم

177 مكارم الأخلاق عشر خصال السخاء و الحياء و الصدق و أداء الأمانة و التواضع و الغيرة و الشجاعة و الحلم و الصبر و الشكر

178 من أداء الأمانة المكافأة على الصنيعة لأنها كالوديعة عندك

179 الخير النفس تكون الحركة في الخير عليه سهلة متيسرة و الحركة في الإضرار عسرة بطينة و الشرير بالضد من ذلك

180 البخلاء من الناس يكون تغافلهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على يسير الإحسان

181 مثل الإنسان الحصيف مثل الجسم الصلب الكثيف يسخن بطينا و تبرد تلك السخونة بأطول من ذلك الزمان

182 ثلاثة يرحمون عاقل يجري عليه حكم جاهل و ضعيف في يد ظالم قوي و كريم قوم احتاج إلى لنيم

183 من صحب السلطان وجب أن يكون معه كراكب البحر إن سلم بجسمه من الغرق لم يسلم بقلبه من الفرق

[276]

184 لا تقبلن في استعمال عمالك و أمرانك شفاعه إلا شفاعه الكفاية و الأمانة

185 إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عدواتك و دخل في مودتك

186 العدل صورة واحدة و الجور صور كثيرة و لهذا سهل ارتكاب الجور و صعب تحري العدل و هما يشبهان الإصابة في الرماية و الخطأ فيها و إن الإصابة تحتاج إلى ارتياض و تعهد و الخطأ لا يحتاج إلى شيء من ذلك

187 لا يخطئ المخلص في الدعاء إحدى ثلاث ذنب يغفر أو خير يعجل أو شر يؤجل

188 لا ينتصف ثلاثة من ثلاثة بر من فاجر و عاقل من جاهل و كريم من لنيم

189 أشرف الملوك من لم يخالطه البطر و لم يحل عن الحق و أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا و خير الأصدقاء من لم يكن على إخوانه مستصعبا و خير الأخلاق أعونها على التقى و الورع

190 أربع القليل منهن كثير النار و العداوة و المرض و الفقر

191 أربعة من الشقاء جار السوء و ولد السوء و امرأة السوء و المنزل الضيق

192 أربعة تدعو إلى الجنة كتمان المصيبة و كتمان الصدقة و بر الوالدين و الإكثار من قول لا إله إلا الله

[277]

193 لا تصحب الجاهل فإن فيه خصالا فاعرفوه بها يغضب من غير غضب و يتكلم في غير نفع و يعطي في غير موضع الإعطاء و لا يعرف صديقه من عدوه و يفشي سره إلى كل أحد

194 إياك و مواقف الاعتذار فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه و إن كان برينا

195 الصراط ميدان يكثر فيه العثار فالسالم ناج و العاثر هالك

196 لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل

197 إن لله عبادا في الأرض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم و أهل النار في نارهم اليقين و أنواره لامعة على وجوههم قلوبهم محزونة و شرورهم مأمونة و أنفسهم عفيفة و حوانجهم خفيفة صبروا أياما قليلة لراحة طويلة أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله سبحانه بأدعيتهم قد حلا في أفواههم و حلا في قلوبهم طعم مناجاته و لذيق الخلوة به قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثتهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده و أما نهارهم فحلماة علماء بررة أتقياء كالقذاح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى و ما بالقوم من مرض أو يقول قد خولطوا و لعمرى لقد خالطهم أمر عظيم جليل

198 عاتبه عثمان فأكثر و هو ساكت فقال ما لك لا تقول قال إن قلت لم أقل إلا ما تكره و ليس لك عندي إلا ما تحب

199 بليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة وأكثر الخلق ثروة و بذلا و أعظم الخلق في الخلق طاعة و أوفى الخلق كيدا و تكثرا بليت بالزبير لم يرد وجهه قط

[278]

و بيعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة و يعطي كل رجل ثلاثين دينارا و فرسا على أن يقاتلني و بعائشة ما قالت قط بيدها هكذا إلا و اتبعها الناس و بطلحة لا يدرك غوره و لا يطال مكره

200 بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة و الزبير فعاد فقال يا أمير المؤمنين جنتك بالخيبة فقال كلا أصبت خيرا و أجرت ثم قال إن من العجب انقيادهما لأبي بكر و عمر و خلافهما علي أما و الله إنهما ليعلمان أني لست بدون واحد منهما اللهم عليك بهما

201 الرزق مقسوم و الأيام دول و الناس شرع سواء آدم أبوهم و حواء أمهم

202 قوت الأجسام الغذاء و قوت العقول الحكمة فمتى فقد واحد منهما قوته بار و اضمحل

203 الصبر على مشقة العباد يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر

204 الروح حياة البدن و العقل حياة الروح

205 حقيق بالإنسان أن يخشى الله بالغيب و يحرس نفسه من العيب و يزداد خيرا مع الشيب

206 أفضل الولاية من بقي بالعدل ذكره و استمده من يأتي بعده

207 قدم العدل على البطش تظفر بالمحبة و لا تستعمل الفعل حيث ينجع القول

[279]

208 البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله و السخي يبخل من عرضه بمقدار ما يسخو به من ماله

209 فضل العقل على الهوى لأن العقل يملكك الزمان و الهوى يستعبدك للزمان

210 كل ما حملت عليه الحر احتمله و رآه زيادة في شرفه إلا ما حظه جزءا من حريته فإنه يأباه و لا يجيب إليه

211 إذا منعك اللينيم البر مع إعظامه حقتك كان أحسن من بذل السخي لك إياه مع الاستخفاف بك

212 الملك كالنهر العظيم تستمد منه الجداول فإن كان عذبا عذبت و إن كان ملحا ملحت

213 الفرق بين السخاء و التبذير أن السخي يسمح بما يعرف مقداره و مقدار الرغبة فيه إليه و يضعه بحيث يحسن وضعه و تزكو عارفته و المبذر يسمح بما لا يوازن به رغبة الراغب و لا حق القاصد و لا مقدار ما أولى و يستفزه لذلك خطرة من خطراته و التصدي لإطراء مطر له بينهما بون بعيد

214 لا تلاج الغضبان فإنك تقلقه باللجاج و لا ترده إلى الصواب

215 لا تفرح بسقطة غيرك فإنك لا تدري ما تتصرف الأيام بك

216 قليل العلم إذا وقر في القلب كالطل يصيب الأرض المظمنة فتعشب

217 مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب و طعمها

[280]

طيب و مثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب و طعمها مر و مثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل

الحنظلة طعمها مر و لا ريح لها

218 المؤمن إذا نظر اعتبر و إذا سكت تفكر و إذا تكلم ذكر و إذا استغنى شكر و إذا أصابته شدة صبر فهو قريب الرضا

بعيد السخط يرضيه عن الله اليسير و لا يسخطه البلاء الكثير قوته لا تبلغ به و نيته تبلغ مغموسة في الخير يده ينوي

كثيرا من الخير و يعمل بطائفة منه و يتلهف على ما فاته من الخير كيف لم يعمل به و المنافق إذا نظر لها و إذا سكت سها

و إذا تكلم لغا و إذا أصابه شدة شكا فهو قريب السخط بعيد الرضا يسخطه على الله اليسير و لا يرضيه الكثير قوته تبلغ و

نيته لا تبلغ مغموسة في الشر يده ينوي كثيرا من الشر و يعمل بطائفة منه فيتلهف على ما فاته من الشر كيف لم يأمر به

و كيف لم يعمل به على لسان المؤمن نور يسطع و على لسان المنافق شيطان ينطق

219 سوء الظن يدوي القلوب و يتهم المأمون و يوحش المستأنس و يغير مودة الإخوان

220 إذا لم يكن في الدنيا إلا محتاج فأغنى الناس أقنعهم بما رزق

221 قيل له إن درعك صدر لا ظهر لها إنا نخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال إذا وليت فلا واءلت

222 أشد الأشياء الإنسان لأن أشدها فيما يرى الجبل و الحديد

[281]

ينحت الجبل و النار تأكل الحديد و الماء يطفى النار و السحاب يحمل الماء و الريح يفرق السحاب و الإنسان يتقي من

الريح

223 إنما الناس في نفس معدود و أمل ممدود و أجل محدود فلا بد للأجل أن يتناهى و للنفس أن يحصى و للأمل إن

ينقضي ثم قرأ **وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ**

224 اللهم لا تجعل الدنيا لي سجنا و لا فراقها علي حزنا أعود بك من دنيا تحرمني الآخرة و من أمل يحرمني العمل و من

حياة تحرمني خير الممات

225 تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم رائحة الذنوب

226 للنكبات غايات تنتهي إليها و دواؤها الصبر عليها و ترك الحيلة في إزالتها فإن الحيلة في إزالتها قبل انقضاء مدتها
سبب لزيادتها

227 لا يرضى عنك الحاسد حتى يموت أحدكما

228 لا يكون الرجل سيد قومه حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس

229 كتب إلى عامل له اعمل بالحق ليوم لا يقضى فيه إلا بالحق

230 نظر إلى رجل يغتاب آخر عند ابنه الحسن فقال يا بني نزه سمعك عنه فإنه نظر إلى أخبث ما في وعانه فأفرغه في
وعانك

231 احذروا الكلام في مجالس الخوف فإن الخوف يذهل العقل الذي منه نستمد و يشغله بحراسة النفس عن حراسة
المذهب الذي نروم نصرته و احذر الغضب ممن يحملك عليه فإنه مميت للخواطر مانع من التثبت و احذر من تبغضه فإن
بغضك له يدعوك إلى الضجر به و قليل الغضب كثير في أذى النفس و العقل و الضجر مضيق

[282]

للصدر مضعف لقوى العقل و احذر المحافل التي لا إنصاف لأهلها في التسوية بينك و بين خصمك في الإقبال و الاستماع و
لا أدب لهم يمنعمهم من جور الحكم لك و عليك و احذر حين تظهر العصبية لخصمك بالاعتراض عليك و تشييد قوله و
حجته فإن ذلك يهيج العصبية و الاعتراض على هذا الوجه يخلق الكلام و يذهب بهجة المعاني و احذر كلام من لا يفهم
عنك فإنه يضجرك و احذر استصغار الخصم فإنه يمنع من التحفظ و رب صغير غلب كبير

232 لا تقبل الرئاسة على أهل مدينتك فإنهم لا يستقيمون لك إلا بما تخرج به من شرط الرئيس الفاضل

233 لا تهزأ بخطب غيرك فإن المنطق لا يملكه و أقلل من الخطب الذي أنت فيه بقدر الصبر و اجعل العقل و الحق إماميك
تلل البغية بهما

234 الرأي يريك غاية الأمر مبدأه

235 الخير من الناس من قدر على أن يصرف نفسه كما يشاء و يدفعها عن الشرور و الشرير من لم يكن كذلك

236 السلطان الفاضل هو الذي يحرس الفضائل و يوجد بها لمن دونه و يرهاها من خاصته و عامته حتى تكثر في أيامه
و يتحسن بها من لم تكن فيه

237 للكريم رباطان أحدهما الرعاية لصديقه و ذوي الحرمة به و الآخر الوفاء لمن أئزمه الفضل ما يجب له عليه

238 إذا تحركت صورة الشر و لم تظهر ولدت الفرع فإذا ظهرت ولدت الألم و إذا تحركت صورة الخير و لم تظهر ولدت
الفرج فإذا ظهرت ولدت اللذة

239 الفرق بين الاقتصاد و البخل أن الاقتصاد تمسك الإنسان بما في يده خوفا على حريته و جاهه من المسألة فهو يضع الشيء موضعه و يصبر عما لا تدعو ضرورة إليه و يصل صغير بره بعظيم بشره و لا يستكثر من المودات خوفا من فرط الإجحاف به و البخيل لا يكافئ على ما يسدى إليه و يمنع أيضا اليسير من استحق الكثير و يصبر لصغير ما يجري عليه على كثير من الذلة

240 لا تحتقرن صغيرا يمكن أن يكبر و لا قليلا يمكن أن يكثر

241 ما زلت مظلوما منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا و لقد كنت أظلم قبل ظهور الإسلام و لقد كان أخي عقيل يذنب أخي جعفر فيضربني

242 لو كسرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم حتى تزهر تلك القضايا إلى الله عز و جل و تقول يا رب إن عليا قضى بين خلقك بقضائك

243 مر بدار بالكوفة في مراد تبني ف وقعت منها شظية على صلته فأدمتها فقال ما يومي من مراد بواحد اللهم لا ترفعها قالوا فو الله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجماء بين الغنم ذوات القرون

244 أقتل الأشياء لعدوك ألا تعرفه أنك اتخذته عدوا

245 الخيرة في ترك الطيرة

246 قيل له في بعض الحروب إن جالت الخيل أين نطلبك قال حيث تركتموني

247 شفيح المذنب إقراره و توبته اعتذاره

248 قصم ظهري رجلا جاهل متنسك و عالم متهتك

249 أ لا أخبركم بذات نفسي أما الحسن ففتى من الفتيان و صاحب جفنة و خوان و لو التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحرب غناء عصفور و أما عبد الله بن جعفر فصاحب لهو و ظل باطل و أما أنا و الحسين فنحن منكم و أنتم منا

250 قال في المنبرية صار ثمنها تسعا على البديهة و هذا من العجائب

251 جاء الأشعث إليه و هو على المنبر فجعل يتخطى رقاب الناس حتى قرب منه ثم قال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قريبيك يعني العجم فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان ما لنا و للأشعث ليقولن أمير المؤمنين ع اليوم في العرب قول لا يزال يذكر فقال ع من يعذرني من هؤلاء الضيافة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار و

يهجر قوما للذكر أفتامروني أن أطردهم ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين أما و الذي فلق الحبة و برأ النسمة
ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا

252 كان إذا رأى ابن ملجم يقول أريد حياته البيت فيقال له فاقتله فيقول كيف أقتل قاتلي

253 إلهي ما قدر ذنوب أقابل بها كرمك و ما قدر عبادة أقابل بها نعمك و إني لأرجو أن تستغرق ذنوبي في كرمك كما
استغرقت أعمالني في نعمك

[285]

254 إذا غضب الكريم فألن له الكلام و إذا غضب اللئيم فخذ له العصا

255 غضب العاقل في فعله و غضب الجاهل في قوله

256 رأى رجلا يحدث منكر الحديث فقال يا هذا أنصف أذنك من فمك فإنما جعل الأذنان اثنتين و الفم واحدا لتسمع أكثر
مما تقول

257 إياك و كثرة الاعتذار فإن الكذب كثيرا ما يخالط المعاذير

258 اشكر لمن أنعم عليك و أنعم على من شكرك

259 سل مسألة الحمقى و احفظ حفظ الأكياس

260 مروا الأحداث بالمراء و الجدال و الكهول بالفكر و الشيوخ بالصمت

261 عود نفسك الصبر على جليس السوء فليس يكاد يخطئك

262 يا بني إن الشر تاركك إن تركته

263 لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة إلى الكذوب فإنه يقربها و إن كانت بعيدة و لا إلى أحق فإنه يريد أن ينفكك فيضرك و لا
إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته

264 إياك و صدر المجلس فإنه مجلس قلعة

265 احذروا صولة الكريم إذا جاع و صولة اللئيم إذا شبع

266 سررك دمك فلا تجربينه إلا في أوداجك

267 و سنل عن الفرق بين الغم و الخوف فقال الخوف مجاهدة الأمر المخوف قبل وقوعه و الغم ما يلحق الإنسان من
وقوعه

268 المعروف كنز فانظر عند من تودعه

269 إذا أرسلت لبعير فلا تأت بتمر فيؤكل تمرك و تعنف على خلافك

270 إذا وقع في يدك يوم السرور فلا تخله فاتك إذا وقعت في يد يوم الغم لم يهلك

271 إذا أردت أن تصادق رجلا فانظر من عدوه

272 الانقباض من الناس مكسبة للعداوة و الانبساط مجلبة لقرين السوء فكن بين المنقبض و المسترسل فإن خير الأمور

أوساطها

273 إنا عبد الله و أخو رسول الله لا يقولها بعدي إلا كذاب

274 أخذ رسول الله ص بيدي فهزها و قال ما أول نعمة أنعم الله بها عليك قلت أن خلقتني حيا و أقدرني و أكمل حواسي و مشاعري و قواي قال ثم ما ذا قلت أن جعلني ذكرا و لم يجعلني أنثى قال و الثالثة قلت أن هداني للإسلام قال و الرابعة قلت

وَ إِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا

275 اللهم إني أسألك إخبات المخبتين و إخلاص الموقنين و مرافقة الأبرار و العزيمة في كل بر و السلامة من كل إثم و

الفوز بالجنة و النجاة من النار

276 لما ضربه ابن ملجم و أوصى ابنه بما أوصاهما قال لابن الحنفية هل فهمت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فإني أوصيك بمثله و بتوقير أخويك و اتباع أمرهما و ألا تبرم أمرا دونهما ثم قال لهما أوصيكما به فإنه شقيقكما و ابن أبيكما و

قد علمتما أن أباكما كان يحبه فأحياه

277 أما هذا الأعور يعني الأشعث فإن الله لم يرفع شرفا إلا حسده و لا أظهر فضلا إلا عابه و هو يمني نفسه و يخدعها

يخاف و يرجو فهو بينهما لا يثق

بواحد منهما و قد من الله عليه بأن جعله جبانا و لو كان شجاعا لقتله الحق و أما هذا الأكتف عند الجاهلية يعني جرير بن عبد الله البجلي فهو يرى كل أحد دونه و يستصغر كل أحد و يحتقره قد ملئ ناراً و هو مع ذلك يطلب رئاسة و يروم إمارة

و هذا الأعور يغويه و يطغيه إن حدثه كذبه و إن قام دونه نكص عنه فهما كالشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين

278 بلوغ أعلى المنازل بغير استحقاق من أكبر أسباب الهلكة

279 الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب و إذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان

280 الكرم حسن الفطنة و اللوم سوء التغافل

281 أسوأ الناس حالا من اتسعت معرفته و بعدت همته و ضاقت قدرته

282 أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد و شدة الاعتذار

283 عادة النوكى الجلوس فوق القدر و المجيء في غير الوقت

284 العافية الملك الخفي

285 سوء حمل الغنى يورث مقتا و سوء حمل الفاقة يضع شرفا

286 لا ينبغي لأحد أن يدع الحزم لظفر ناله عاجز و لا يسامح نفسه في التفريط لنكبة دخلت على حازم

287 ليس من حسن التوكل أن يقال العاشر عشرة ثم يركبها ثانية

[288]

288 سوء القالة في الإنسان إذا كان كذبا نظير الموت لفساد دنياه فإن كان صدقا فأشد من الموت لفساد آخرته

289 ترضى الكرام بالكلام و تصاد اللنام بالمال و تستصلح السفلة بالهوان

290 لا يزال المرء مستمرا ما لم يعثره فإذا عثر مرة لج به العثار و لو كان في جدد

291 المتواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها و قطر غيرها و المتكبر كالربوة لا يقر عليها قطرها و لا قطر غيرها

292 لا يصبر على الحرب و يصدق في اللقاء إلا ثلاثة مستبصر في دين أو غيران على حرمة أو ممتعض من ذل

293 مجاوزتك ما يكفيك فقر لا منتهى له

294 قيل له أي الأمور أعجل عقوبة و أسرع لصاحبها صرعة فقال ظلم من لا ناصر له إلا الله و مجازاة النعم بالتقصير و

استطالة الغني على الفقير

295 الجماع للمحن جماع و للخيرات مناع حياء يرتفع و عورات تجتمع أشبه شيء بالجنون و لذلك حجب عن العيون

نتيجته ولد فتون إن عاش كد و إن مات هد

296 ما شيء أهون من ورع و إذا رابك أمر فدعه

297 إذا أتى علي يوم لا ازداد فيه عملا يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم

298 أشرف الأشياء العلم و الله تعالى عالم يحب كل عالم

- 299 ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم بل أي شيء فات من أدرك العلم
- 300 لا يسود الرجل حتى لا يبالي في أي ثوبه ظهر
- 301 سمع رجلا يدعو لصاحبه فقال لا أراك الله مكروها فقال إنما دعوت له بالموت لأن من عاش في الدنيا لا بد أن يرى المكروه
- 302 من صفة العاقل ألا يتحدث بما يستطاع تكذيبه فيه
- 303 السعيد من وعظ بغيره و الشقي من اتعظ به غيره
- 304 ذو الهمة و إن حط نفسه يأبى إلا علوا كالشعلة من النار يخفيها صاحبها و تأبى إلا ارتفاعا
- 305 الدين غل الله في أرضه إذا أراد أن يذل عبدا جعله في عنقه
- 306 العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها حكمة و مثلا و الأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها حلفا
- 307 الحركة لقاح الجد العظيم
- 308 ثلاثة لا يستحي من الختم عليها المال لنفي التهمة و الجوهر لنفاسته و الدواء للاحتياط من العدو
- 309 إذا أسرت فكل الرجال رجالك و إذا أسرت أنكرك أهلك
- 310 من الحكمة جعل المال في أيدي الجهال فإنه لو خص به العقلاء لمات

- الجهال جوعا و لكنه جعل في أيدي الجهال ثم استنزلهم عنه العقلاء بلطفهم و فطنتهم
- 311 ما رد أحد أحدا عن حاجة إلا و تبين العز في قفاه و الذل في وجهه
- 312 ابتداء الصنيعة نافلة و ربها فريضة
- 313 الحاسد المبطن للحسد كالنحل يمج الدواء و يبطن الداء
- 314 الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه
- 315 التواضع إحدى مصايد الشرف
- 316 تواضع الرجل في مرتبته ذب للشماتة عنه عند سقطته

317 رب صلف أدى إلى تلف

318 سوء الخلق يعدي و ذاك أنه يدعو صاحبه إلى أن يقابلك بمثله

319 المروءة التامة مياينة العامة

320 أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداءه و أحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه

321 السفلة إذا تعلموا تكبروا و إذا تمولوا استطالوا و العلية إذا تعلموا تواضعوا و إذا افتقروا صالوا

322 ثلاث لا يستصلح فسادهن بحيلة أصلا العداوة بين الأقارب و تحاسد الأكفاء و ركافة الملوك

323 السخي شجاع القلب و البخيل شجاع الوجه

[291]

324 العزلة توفر العرض و تستر الفاقة و ترفع ثقل المكافأة

325 ما احتكك أحد قط إلا أحب الخلوة و العزلة

326 خير الناس من لم تجربه

327 الكريم لا يلين على قسر و لا يقسو على يسر

328 المرأة إذا أحببتك آذتك و إذا أبغضتك خانتك و ربما قتلتك فحبها أذى و بغضها داء بلا دواء

329 المرأة تكتم الحب أربعين سنة و لا تكتم البغض ساعة واحدة

330 الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطرابا ازداد اختناقا

331 كل ما لا ينتقل بانتقالك من مالك فهو كفيل بك

332 أجل ما ينزل من السماء التوفيق و أجل ما يصعد من الأرض الإخلاص

333 اثنان يهون عليهما كل شيء عالم عرف العواقب و جاهل يجهل ما هو فيه

334 شر من الموت ما إذا نزل تمنيت بنزوله الموت و خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة

335 ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا نل له

336 المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذا شاء لا إذا شاعت

337 أبصر الناس لعوار الناس المعور

338 العجب ممن يخاف عقوبة السلطان و هي منقطعة و لا يخاف عقوبة الديان و هي دائمة

[292]

339 من عرف نفسه فقد عرف ربه

340 من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز

341 لو تكاشفتكم لما تدافنتم

342 شيطان كل إنسان نفسه

343 إن لم تعلم من أين جنت لم تعلم إلى أين تذهب

344 غاية كل متعمق في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور عن إدراكها

345 الكمال في خمس ألا يعيب الرجل أحدا يعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس و ألا يطلق لسانه و يده حتى يعلم أ في طاعة ذلك أم في معصية و ألا يلتمس من الناس إلا ما يعطيهم من نفسه مثله و أن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم و توفيتهم حقوقهم و أن ينفق الفضل من ماله و يمسك الفضل من قوله

346 صديق البخيل من لم يجربه

347 من الخيط الضعيف يقتل الحبل الحصيف و من مقدحة صغيرة تحترق مدينة كبيرة و من لبنة لبنة تبني قرية حصينة

348 محب الدراهم معذور و إن أدنته من الدنيا لأنها صانته عن أبناء الدنيا

[293]

349 عجا لمن قيل فيه الخير و ليس فيه كيف يفرح و عجا لمن قيل فيه الشر و ليس فيه كيف يغضب

350 ثلاث موبقات الكبر فإنه حظ إبليس عن مرتبته و الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة و الحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه

351 الفطام عن الحطام شديد

352 إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمار قطوف و إذا أدبرت أدبرت على البراق

353 أصاب متأمل أو كاد و أخطأ مستعجل أو كاد

354 ستة لا تخطنهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى و مكثر يخاف على ماله و طالب مرتبة فوق قدره و الحسود و الحقود و مخالط أهل الأدب و ليس بأديب

355 طلبت الراحة لنفسى فلم أجد شيئا أروح من ترك ما لا يعنيني و توحشت في الفقر البلقع فلم أر وحشة أشد من قرين السوء و شهدت الزحوف و لقيت الأقران فلم أر قرنا أغلب من المرأة و نظرت إلى كل ما يذل العزيز و يكسره فلم أر شيئا أذل له و لا أكسر من الفاقة

356 أول رأي العاقل آخر رأي الجاهل

357 المسترشد موقى و المحترس ملقى

358 الحر عبد ما طمع و العبد حر ما قنع

[294]

359 ما أحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز و ما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم

360 ما الحيلة فيما أعنى إلا الكف عنه و لا الرأي فيما ينال إلا اليأس منه

361 الأحمق إذا حدث ذهل و إذا حدث عجل و إذا حمل على القبيح فعل

362 إثبات الحجة على الجاهل سهل و لكن إقراره بها صعب

363 كما تعرف أواني الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور كذلك يمتحن الإنسان بمنطقه فيعرف ما عنده

364 احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل لأن الصبر على الفقر قناعة و الصبر على الذل ضراعة

365 الدنيا حمقاء لا تميل إلا إلى أشباهها

366 السفر ميزان الأخلاق

367 العقل ملك و الخصال رعيته فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها

368 الكذاب يخيف نفسه و هو آمن

369 لو لا ثلاث لم يسئل سيف سلك أدق من سلك و وجه أصبح من وجه و لقمة أسوغ من لقمة

370 قد يحسن الامتتان بالنعمة و ذلك عند كفرانها و لو لا أن بني إسرائيل

[295]

كفروا النعمة لما قال الله لهم **أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**

371 إذا تناهى الغم انقطع الدمع

372 إذا ولي صديقك ولاية فأصبتة على العشر من صداقته فليس بصاحب سوء

373 أعجب الأشياء بديهة أمن وردت في مقام خوف

374 الحرص محرمة و الجبن مقتلة و إلا فانظر فيمن رأيت و سمعت أ من قتل في الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا و انظر أ من يطلب بالإجمال و التكرم أحق أن تسخو نفسك له أم من يطلب بالشره و الحرص

375 إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليقدّم به صاحبه على الأمور فإن العاقل أبدا متوان مترقب متخوف

376 عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هوى و الهوى آفة العفاف و ترك العمل بما يعلم أنه صواب تهاون و التهاون آفة الدين و إقدامه على ما لا يدري أ صواب هو أم خطأ لجاج و اللجاج آفة العقل

377 ضعف العقل أمان من الغم

378 لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت و لا طعاما حتى يستمرنه و لا صديقا حتى يستقرضه و ليس من حسن الجوار ترك الأذى و لكن حسن الجوار الصبر على الأذى

379 لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يضرب

380 الفرق بين المؤمن و الكافر الصلاة فمن تركها و ادعى الإيمان كذبه فعله و كان عليه شاهد من نفسه

[296]

381 من خاف الله خافه كل شيء

382 من النقص أن يكون شفيحك شيئا خارجا عن ذاتك و صفاتك

383 و يلي على العبد اللينيم عبد بني ربيعة نزع به عرق الشرك العبشمي إلى مساعتي و تذكر دم الوليد و عتبه و شيبه أولى له و الله ليريني في موقف يسوءه ثم لا يجد هناك فلانا و فلانا يعني سالما مولى حذيفة

384 أنا قاتل الأقران و مجدل الشجعان أنا الذي فقأت عين الشرك و تثلث عرشه غير ممتن على الله بجهادي و لا مدل إليه بطاعتي و لكن أحدث بنعمة ربي

385 الصوم عبادة بين العبد و خالقه لا يطلع عليها غيره و كذلك لا يجازي عنها غيره

386 طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن لا يعرف الناس و لا يعرفه الناس طوبى لمن كان حيا كميته و موجودا كمعدوم قد كفى جاره خيره و شره لا يسأل عن الناس و لا يسأل الناس عنه

387 ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعز له من الصدق

388 لا يكن فقرك كفرا و غناك طغيانا

389 ثمرة القناعة الراحة و ثمرة التواضع المحبة

390 الكريم يلين إذا استعطف و اللئيم يقسو إذا لوطف

391 أنكى لعدوك ألا تريه أنك اتخذته عدوا

392 عذابان لا يأبه الناس لهما السفر البعيد و البناء الكثير

[297]

393 ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم تاجر البحر و صاحب السلطان و المرتشي في الحكم

394 أعجز الناس من قصر في طلب الصديق و أعجز منه من وجده فضيعه

395 أشد المشاق وعد كذاب لحريص

396 العادات قاهرات فمن اعتاد شيئا في سره و خلوته فضحه في جهره و علانيته

397 الأخ البار مغيض الأسرار

398 عدم المعرفة بالكتابة زمانة خفية

399 قديم الحرمة و حديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة

400 ركوب الخيل عز و ركوب البراذين لذة و ركوب البغال مهزمة و ركوب الحمير مذلة

401 العقل يظهر بالمعاملة و شيم الرجال تعرف بالولاية

402 قال له قائل علمني الحلم فقال هو الذل فاصطبر عليه إن استطعت

403 قلت إن فلانا أفاد مالا عظيما فهل أفاد أياما ينفقه فيها

404 عيادة النوكى أشد على المريض من وجعه

405 المريض يعاد و الصحيح يزار

[298]

407 الشيء الذي لا يستغنى عنه بحال من الأحوال التوفيق

408 أوسع ما يكون الكريم مغفرة إذا ضاقت بالذنب المعذرة

409 ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت

410 التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه

411 إذا رفعت أحدا فوق قدره فتوقع منه أن يحط منك بقدر ما رفعت منه

412 إساءة المحسن أن يمنعك جدواه و إحسان المسيء أن يكف عنك أذاه

413 اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم أضمرُوا لرسولك ص ضربوا من الشر و الغدر فَعَجَزُوا عنها و حلت بينهم و بينها فكانت الوجبة بي و الدائرة علي اللهم احفظ حسنا و حسينا و لا تمكن فجرة قريش منهما ما دمت حيا فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم و أنت على كل شيء شهيد

414 قال له قائل يا أمير المؤمنين أ رأيت لو كان رسول الله ص ترك ولدا ذكرا قد بلغ الحلم و آنس منه الرشد أ كانت العرب تسلم إليه أمرها قال لا بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت إن العرب كرهت أمر محمد ص و حسدته على ما آتاه الله من فضله و استطالت أيامه حتى قذفت زوجته و نفرت به ناقته مع عظيم إحسانه إليها و جسيم مننه عندها و أجمعت مذ كان حيا على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته و لو لا أن قريشا جعلت اسمه ذريعة إلى الرناسة و سلما إلى العز و الإمرة لما عبدت الله بعد موته يوما واحدا

[299]

و لارتدت في حافرتها و عاد قارحها جذعا و بازلهها بكرا ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة و تمولت بعد الجهد و المخصصة فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجا و ثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربا و قالت لو لا أنه حق لما كان كذا ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء و لاتها و حسن تدبير الأمراء القائمين بها فتأكد عند الناس نباهة قوم و خمول آخرين فكنا نحن ممن خمل ذكره و خبت ناره و انقطع صوته وصيته حتى أكل الدهر علينا و شرب و مضت السنون و الأحقاب بما فيها و مات كثير ممن يعرف و نشأ كثير ممن لا يعرف و ما عسى أن يكون الولد لو كان إن رسول الله ص لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب و اللحمة بل للجهاد و النصيحة أ فتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت و كذاك لم يكن يقرب ما قربت ثم لم يكن عند قريش و العرب سببا للحظوة و المنزلة بل للحرمان و الجفوة اللهم إنك تعلم أنني لم أورد الإمرة و لا علو الملك و الرناسة و إنما أردت القيام بحدودك و الأداء لشرعك و وضع الأمور في مواضعها و توفير الحقوق على أهلها و المضي على منهاج نبيك و إرشاد الضال إلى أنوار هدايتك

415 البر ما سكنت إليه نفسك و اطمأن إليه قلبك و الإثم ما جال في نفسك و تردد في صدرك

416 الزكاة نقص في الصورة و زيادة في المعنى

417 ليس الصوم الإمساك عن المأكل و المشرب الصوم الإمساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه

[300]

418 إذا كان الراعي ذنباً فالشاة من يحفظها

419 كل شيء يعصيك إذا أغضبتك إلا الدنيا فإنها تطيعك إذا أغضبتها

420 رب مغبوط بنعمة هي داؤه و مرحوم من سقم هو شفاؤه

421 إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسدا

422 شرب الدواء للجسد كالصابون للثوب ينقيه و لكن يخلقه

423 الحسد خلق دني و من دناءته أنه موكل بالأقرب فالأقرب

424 لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى و قد سمعتم قوله **هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا**

425 أستغفر الله مما أملك و أستصلحه فيما لا أملك

426 إذا قعدت و أنت صغير حيث تحب قعدت و أنت كبير حيث تكره

427 الولد العاق كالإصبع الزائدة إن تركت شأنك و إن قطعت آلمت

428 خرج العز و الغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا

429 الصديق نسيب الروح و الأخ نسيب الجسم

430 جزية المؤمن كراء منزله و عذابه سوء خلق زوجته

431 الوعد وجه و الإنجاز محاسنه

432 أنعم الناس عيشاً من عاش في عيشه غيره

433 لا تشاتمن أحدا و لا تردن سانلا إما هو كريم تسد خلته أو لنيم تشتري عرضك منه

[301]

434 النمام سهم قاتل

435 ثلاثة أشياء لا دوام لها المال في يد المبذر و سحابة الصيف و غضب العاشق

436 الزاهد في الدينار و الدرهم أعز من الدينار و الدرهم

437 رب حرب أحييت بلفظة و رب ود غرس بلحظة

438 إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فإن ولد له فقد كسر به

439 صلاح كل ذي نعمة في خلاف ما فسد عليه

440 أنعم الناس عيشة من تحلى بالعفاف و رضي بالكفاف و تجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف

441 التواضع نعمة لا يفتن لها الحاسد

442 ينبغي للعاقل أن يمنع معرفه الجاهل و اللئيم و السفیه أما الجاهل فلا يعرف المعروف و لا يشكر عليه و أما اللئيم

فأرض سبخة لا تنبت و أما السفیه فيقول إنما أعطاني فرقا من لساني

443 خير العيش ما لا يطعيك و لا يلهيك

444 ما ضرب الله العباد بسوط أوجع من الفقر

445 إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمة كان أول ما يغير منه عقله

446 خير الدنيا و الآخرة في خصلتين الغنى و التقى و شر الدنيا و الآخرة في خصلتين الفقر و الفجور

447 ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم الآتي طعاما لم يدع إليه

[302]

و المتأمر على رب البيت في بيته و طالب المعروف من غير أهله و الداخل بين اثنين لم يدخله و المستخف بالسلطان و

الجالس مجلسا ليس له بأهل و المقبل بحديثه على من لا يسمعه و من جرب المجرب

448 أنفس الأعلام عقل قرن إليه حظ

449 اللطافة في الحاجة أجدى من الوسيلة

450 احتمال نخوة الشرف أشد من احتمال بطر الغنى و ذلة الفقر مانعة من الصبر كما أن عز الغنى مانع من كرم

الإتصاف إلا لمن كان في غريزته فضل قوة و أعراق تنازعه إلى بعد الهمة

451 أبعد الناس سفرا من كان في طلب صديق يرضاه

452 استشارة الأعداء من باب الخذلان

453 الجاهل يعرف بست خصال الغضب من غير شيء و الكلام في غير نفع و العطية في غير موضعها و ألا يعرف صديقه من عدوه و إفشاء السر و الثقة بكل أحد

454 سوء العادة كمين لا يؤمن

455 العادة طبيعة ثانية غالبية

456 التجني وافد القطيعة

457 صديقك من نهاك و عدوك من أغراك

458 يا عجباً من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد

459 من سعادة المرء أن يطول عمره و يرى في أعدائه ما يسره

460 الضغائن تورث كما تورث الأموال

[303]

461 رب عزيز أدله خرقه و ذليل أعزه خلقه

462 لا يصلح اللينيم لأحد و لا يستقيم إلا من فرق أو حاجة فإذا استغنى أو ذهب خوفه عاد إليه جوهره

463 ثلاثة في المجلس و ليسوا فيه الحاقن و الضيق الخف و السيئ الظن بأهله

464 و سنل ما أبقى الأشياء في نفوس الناس فقال أما في أنفس العلماء فالندامة على الذنوب و أما في نفوس السفهاء فالحدق

465 إذا انقضى ملك قوم خبيوا في آرائهم

466 الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالعدو الضعيف

467 الحزن سوء استكانة و الغضب لؤم قدرة

468 كل ما يؤكل ينتن و كل ما يوهب يأرج

469 الطرش في الكرام و الهوج في الطوال و الكيس في القصار و النبل في الربعة و حسن الخلق في الحول و الكبر في العور و البهت في العميان و الذكاء في الخرس

470 ألام الناس من سعى بإنسان ضعيف إلى سلطان جانر

471 أعسر الحيل تصوير الباطل في صورة الحق عند العاقل المميز

472 الغدر ذل حاضر و الغيبة لؤم باطن

473 القلب الفارغ يبحث عن السوء و اليد الفارغة تنازع إلى الإثم

474 لا كثير مع إسراف و لا قليل مع احتراف و لا ذنب مع اعتراف

[304]

475 المتعبد على غير فقه كحمار الرحي يدور و لا يبرح

476 المحروم من طال نصبه و كان لغيره مكسبه

477 في الاعتبار غنى عن الاختبار

478 غيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله

479 أذل الناس معتذر إلى اللئيم

480 أشجع الناس أثبتهم عقلا في بداهة الخوف

481 المعتذر منتصر و المعاتب مغاضب

482 المروءة بلا مال كالأسد الذي يهاب و لم يفترس و كالسيف الذي يخاف و هو مغمد و المال بلا مروءة كالكلب الذي يجتنب عقرا و لم يعقر

483 عليكم بالأدب فإن كنتم ملوكا برزتم و إن كنتم وسطا فقتم و إن أعوزتكم المعيشة عشتم بأدبكم

484 الملوك حكام على الناس و العلماء حكام على الملوك

485 لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين أما في الغاية القصوى من مطالب الدنيا و أما في الغاية القصوى من الترك لها

486 من أفضل أعمال البر الجود في العسر و الصدق في الغضب و العفو عند القدرة

487 إن الله أنعم على العباد بقدر قدرته و كلفهم من الشكر بقدر قدرتهم

488 العيش في ثلاث صديق لا يعد عليك في أيام صداقتك ما يرضى به أيام عداوتك و زوجة تسرك إذا دخلت عليها و تحفظ غيبك إذا غبت عنها و غلام يأتي على ما في نفسك كأنه قد علم ما تريد

[305]

489 تحتاج القرابة إلى مودة و لا تحتاج المودة إلى قرابة

490 الصابر على مخالطة الأشرار و صحبتهم كراكب البحر إن سلم ببدنه من التلف لم يسلم بقلبه من الحذر

491 لأخيك عليك إذا حزبه أمر أن تشير عليه بالرأي ما أطاعك و تبذل له النصر إذا عصاك

492 الغيبة ربيع المنام

493 أطول الناس نصبا الحريص إذا طمع و الحقود إذا منع

494 الشريف دون حقه يقتل و يعطي نافلة فوق الحق عليه

495 اجعل عمرك كنفقة دفعت إليك فكما لا تحب أن يذهب ما تنفق ضياعا فلا تذهب عمرك ضياعا

496 من أظهر شكرك فيما لم تأت إليه فاحذر أن يكفرك فيما أسديت إليه

497 لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوب إليه أنصح منه لك

498 لا يؤمنك من شر جاهل قرابة و لا جوار فإن أخوف ما تكون لحريق النار أقرب ما تكون إليها

499 كن في الحرص على تفقد عيوبك كعدوك

500 عليك بسوء الظن فإن أصاب فالحزم و إلا فالسلامة

501 رضا الناس غاية لا تدرك فحذر الخير بجهدك و لا تبال بسخط من يرضيه الباطل

[306]

502 لا تماكس في البيع و الشراء فما يضيع من عرضك أكثر مما تنال من عرضك

503 الدين رق فلا تبذل رقبك لمن لا يعرف حقاك

504 احذر كل الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في صورة التوكل و يورثك الهوينى بالإحالة على القدر فإن الله أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل و بالتسليم للقضاء بعد الإعذار فقال **خُذُوا حِذْرَكُمْ وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** و قال النبي ص اعقلها و توكل

505 لا تصحب في السفر غنيا فإنك إن ساويته في الإنفاق أضربك و إن تفضل عليك استذلك

506 إذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فإنه لا يفكر إلا في خير و إذا سألت لنيما حاجة فغافصه فإنه إذا فكر عاد إلى طبعه

507 ما أقبح بالصبيح الوجه أن يكون جاهلا كدار حسنة البناء و ساكنها شر و كجنة يعمرها بوم أو صرمة يحرسها ذئب

508 قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة و قد أمكنه أن يكون إنسانا و قد أمكنه أن يكون ملكا و أن يرضى لنفسه بقنية معارة و حياة مستردة و له أن يتخذ قنية مخلدة و حياة مؤبدة

509 الذي يستحق اسم السعادة على الحقيقة سعادة الآخرة و هي أربعة أنواع بقاء بلا فناء و علم بلا جهل و قدرة بلا عجز و غنى بلا فقر

[307]

510 ما خاب من استخار

511 الدين قد كشف عن غطاء قلبه يرى مطلوبه قد طبق الخافقين فلا يقع بصره على شيء إلا رآه فيه

512 من غرس النخل أكل الرطب و من غرس الصفصاف و العليق عدم ثمرته و ذهبت ضياعا خدمته

513 إذا أردت العلم و الخير فانفض عن يدك أداة الجهل و الشر فإن الصانع لا يتهيا له الصياغة إلا إذا ألقى أداة الفلاحة عن يده

514 الصبر مفتاح الفرج

515 غاية كل متعمق في علمنا أن يجهل

516 ستعرف الحال على حقيقتها و لكن حيث لا تستطيع أن تذاكر أحدا بها

517 السعادة التامة بالعلم و السعادة الناقصة بالزهد و العبادة من غير علم و لا زهادة تعب الجسد

518 الآمال مطايا و ربما حسرت و نقتب أخفافها

519 حب الرئاسة شاغل عن حب الله سبحانه

520 يا أبا عبيدة طال عليك العهد فنسيت أم نافست فأنسيت لقد سمعتها و وعيتها فهلا رعيتها

521 قال لما سمعت خطبة عمر بالمدينة التي شرح فيها قصة السقيفة معذرة و رب الكعبة و لكن بعد ما ذا هيهات علقت معالقها و صر الجندب

522 أول من جرأ الناس علينا سعد بن عبادة فتح بابا ولجه

[308]

غيره و أضرم نارا كان لهبها عليه و ضوءها لأعدائه

523 ما لنا و لقريش يخضمون الدنيا باسمنا و يطنون على رقابنا فيا لله و للعجب من اسم جليل لمسمى ذليل

524 الخير كله في السيف و ما قام هذا الدين إلا بالسيف أ تعلمون ما معنى قوله تعالى **وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ** هذا هو السيف

525 لم يفت من لم يمت

526 من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فإنه لو غص بغيره لأساغ الماء غصته

527 من ضمن بعرضه فليدع المرء

528 من أيقظ فتنة فهو أكلها

529 من أثرى كرم على أهله و من أملق هان على ولده

530 من أمل أحدا هابه و من جهل شيئا عابه

531 أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه و لا يثق به أحد لسوء أثره

532 أحب الناس إليك من كثرت أياديه عندك فإن لم يكن فمن كثرت أياديك عنده

533 من طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه و من الوحشة ما لا يضره

534 من زاد عقله نقص حظه و ما جعل الله لأحد عقلا وافرا إلا احتسب به عليه من رزقه

535 من عمل بالعدل فيمن دونه رزق العدل ممن فوقه

[309]

536 من طلب عزا بظلم و باطل أورثه الله ذلا بإنصاف و حق

537 من وطنته الأعين وطنته الأرجل

538 ينادي منادي يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى**

اللَّهِ

539 اصحب الناس بأي خلق شئت يصحبوك بمثله

540 كأنك بالدنيا لم تكن و كأنك بالآخرة لم تنزل

541 قال لمريض أبل من مرضه إن الله ذكرك فاذكره و أقالك فاشكره

542 الدار دار من لا دار له و بها يفرح من لا عقل له فأنزلوها منزلتها

543 لا تستصغرن أمر عدوك إذا حاربتك فإنك إن ظفرت به لم تحمد و إن ظفر بك لم تعذر و الضعيف المحترس من العدو

القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالضعيف

544 لا تصحب من تحتاج إلى أن تكتمه ما يعرف الله منك

545 لا تسأل غير الله فإنه إن أعطاك أغناك

546 صاحب كالرقعة في الثوب فاتخذة مشاكلا

547 إياك و كثرة الإخوان فإنه لا يؤذيك إلا من يعرفك

548 دع اليمين لله إجلالا و للناس إجمالا

549 العادات قاهرات فمن اعتاد شيئا في سره فضحه في علانيته

550 إذا كان لك صديق و لم تحمد إخاءه و مودته فلا تظهر ذلك للناس فإنه هو بمنزلة السيف الكليل في منزل الرجل يرهب به عدوه و لا يعلم العدو أ صارم هو أم كليل

[310]

551 دع الذنوب قبل أن تدعك

552 إذا نزل بك مكروه فانظر فإن كان لك حيلة فلا تعجز و إن لم يكن فيه حيلة فلا تجزع

553 تعلموا العلم فإنه زين للغني و عون للفقير و لست أقول إنه يطلب به و لكن يدعو به إلى القناعة

554 لا ترضين قول أحد حتى ترضى فعله و لا ترض فعله حتى ترضى عقله و لا ترض عقله حتى ترضى حياءه فإن الإنسان مطبوع على كرم و لوم فإن قوي الحياء عنده قوي الكرم و إن ضعف الحياء قوي اللؤم

555 تعلموا العلم و إن لم تتألوا به حظا فلأن يذم الزمان لكم أحسن من أن يذم بكم

556 اجعل شرك إلى واحد و مشورتك إلى ألف

557 إن الله خلق النساء من عي و عورة فداوا عيهن بالسكوت و استروا العورة بالبيوت

558 لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بانجازها و لا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر و عرا و اعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب و أن للأموار بغتات فكن على حذر

559 لا تجاهد الطلب جهاد المغالب و لا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة و الإجمال في الطلب من العفة و ليست العفة برافعة رزقا و لا الحرص بجالب فضلا

560 من لم تستقم له نفسه فلا يلومن من لم يستقم له

[311]

561 من رجي الرزق لديه صرفت أعناق الرجال إليه

562 من انتجعك مؤملا فقد أسلفك حسن الظن

563 إذا شئت أن تطاع فاسأل ما يستطاع

564 من أعذر كمن أنجح

565 من كانت الدنيا همه كثر في القيامة غمه

566 من أجمل في الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب

567 من ركب العجلة لم يأمن الكبوة

568 من لم يثق لم يوثق به

569 من أفاده الدهر أفاد منه

570 من أكثر ذكر الضغائن اكتسب العداوة

571 من لم يحمد صاحبه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة

572 تأمل ما تتحدث به فإنما تملئ على كاتبك صحيفة يوصلانها إلى ربك فانظر على من تملئ و إلى من تكتب

573 أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بك و عظم نفسك عن التعظم و تطول و لا تتطاول

574 عاملوا الأحرار بالكرامة المحضة و الأوساط بالرغبة و الرهبة و السفلة بالهوان

575 كن للعدو المكاتم أشد حذرا منك للعدو المبارز

576 احفظ شينك ممن تستحيي أن تسأله عن مثل ذلك الشيء إذا ضاع لك

[312]

577 إذا كنت في مجلس و لم تكن المحدث و لا المحدث فقم

578 لا تستصغرن حدثا من قريش و لا صغيرا من الكتاب و لا صلوكا من الفرسان و لا تصادقن ذميا و لا خصيا و لا

مؤننا فلا ثبات لموداتهم

579 لا تدخل في مشورتك بخيلا فيقصر بفعلك و لا جبانا فيخوفك ما لا تخاف و لا حريصا فيعدك ما لا يرجى فإن الجبن و

البخل و الحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله تعالى

580 لا تكن ممن تغلبه نفسه على ما يظن و لا يغلبها على ما يستيقن

581 أعص هواك و النساء و افعل ما بدا لك

582 ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك

583 كل من الطعام ما تشتهي و البس من الثياب ما يشتهي الناس

584 و لتكن دارك أول ما يبتاع و آخر ما يبيع

585 من كان في يده شيء من رزق الله سبحانه فليصلحه فإنكم في زمان إذا احتاج المرء فيه إلى الناس كان أول ما يبذله

لهم دينه

586 ابذل لصديقك مالك و لمعرفتك رفدك و محضرك و للعامة بشرك و تحننك و لعدوك عدلك و إنصافك و اضنن بدينك و

عرضك عن كل أحد

587 جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء فإن العقل يقع على العقل

588 كن في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك و بحذرك أفرح منك بنجدتك فإن الحرب حرب المتهور و غنيمة المتحذر

589 النعم و حشية فقيدوها بالمعروف

[313]

590 إذا أخطأتك الصنعة إلى من يتقي الله فاصنعها إلى من يتقي العار

591 لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض

592 إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك فإن زوال الكرامة بزوالهما و لكن ليعجبك إن أكرمك الناس لدين أو

أدب

593 ينبغي لمن لم يكرم وجهه عن مسألتك أن تكرم وجهك عن رده

594 إياك و مشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن و عزمهن إلى وهن و اكفف من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة

الحجاب خير لك من الارتياح و ليس خروجهن بأشد عليك من دخول من لا تثق به عليهن و إن استطعت ألا يعرفن غيرك

فافعل و لا تمكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها فإن ذلك أنعم لبالها و أرخى لحالها و إنما المرأة ريحانة و ليست بقهرمانة

فلا تعد بكرامتها نفسها و لا تعطها أن تشفع لغيرها و لا تطل الخلوة معهن فيملنك و تملهن و استبق من نفسك بقية فإن

إمساكك عنهن و هن يردنك ذلك باقتدار خير من أن يهجمن منك على انكسار و إياك و التغاير في غير موضع الغيرة فإن

ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم

595 إذا أردت أن تختتم على كتاب فأعد النظر فيه فإنما تختتم على عقلك

596 إن يوما أسكر الكبار و شيب الصغار لشديد

597 كم من مبرد له الماء و الحميم يغلى له

598 الصلاة صابون الخطايا

599 إن امرأ عرف حقيقة الأمر و زهد فيه لأحمق و إن امرأ جهل حقيقة الأمر مع وضوحه لجاهل

[314]

600 إذا قال أحدكم و الله فلينظر ما يضيف إليها

601 رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم من أمورك و مالك لا يغني الناس كلهم فاخصص به أهل الحق و كرامتك لا تطبق بذلها في العامة فتوخ بها أهل الفضل و ليالك و نهارك لا يستوعبان حوانجك فأحسن القسمة بين عملك و دعتك

602 أحي المعروف بإماتته

603 اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه و ينسى أياديته عندكم

604 جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم

605 إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم

606 لا تثقن كل الثقة بأخيك فإن سرعة الاسترسال لا تقال

607 انتقم من الحرص بالقناعة كما تنتقم من العدو بالقصاص

608 إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر

609 من لم ينشط لحديثك فارع عنه مؤنة الاستماع منك

610 الزمان ذو ألوان و من يصحب الزمان ير الهوان

611 لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف كم من راغب أصبح مرغوبا إليه و متبوع أمسى تابعا

612 إن غلبت يوما على المال فلا تغلبن على الحيلة على كل حال

613 كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا أقل ما تكون في الباطن مالا

614 لا تكونن المحدث من لا يسمع منه و الداخل في سر اثنين لم يدخله

فيه و لا الآتي وليمة لم يدع إليها و لا الجالس في مجلس لا يستحقه و لا طالب الفضل من أيدي اللئام و لا المتحمق في الدالة و لا المتعرض للخير من عند العدو

615 اطبع الطين ما دام رطباً و اغرس العود ما دام لنا

616 خف الله حتى كأنك لم تطعه و ارج الله حتى كأنك لم تعصه

617 لا تبلغ في سلامك على الإخوان حد النفاق و لا تقصرهم عن درجة الاستحقاق

618 انصح لكل مستشير و لا تستشير إلا الناصح اللبيب

619 ما أقبح بك أن ينادي غدا يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم ثم ينادي ثانيا يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم ما أراك يا مسكين إلا تقوم مع أهل كل خطيئة

620 ما أصاب أحد ذنبا ليلا إلا أصبح و عليه مذلتة

621 الاستغفار يحت الذنوب حت الورق ثم تلا قوله تعالى **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**

622 أيها المستكثر من الذنوب إن أباك أخرج من الجنة بذنب واحد

623 إذا عصى الرب من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه

624 لقاء أهل الخير عمارة القلوب

625 أنا من رسول الله ص كالعضد من المنكب و كالذراع

من العضد و كالكف من الذراع رباني صغيرا و أخائي كبيرا و لقد علمتم أنني كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه غيري و أنه أوصى إلي دون أصحابه و أهل بيته و لأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم سألته مرة أن يدعو لي بالمغفرة فقال أفعل ثم قام فصلى فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه فإذا هو قائل اللهم بحق علي عندك اغفر لعلي فقلت يا رسول الله ما هذا فقال أ واحد أكرم منك عليه فأستشفع به إليه

626 و الله ما قلعت باب خيبر و دكدكت حصن يهود بقوة جسمانية بل بقوة إلهية

627 يا ابن عوف كيف رأيت صنيعك مع عثمان رب واثق خجل و من لم يتوخ بعمله وجه الله عاد مادحه من الناس له

628 لو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك

629 ليس الحلم ما كان حال الرضا بل الحلم ما كان حال الغضب

630 ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول لا إله إلا الله كلمة التقوى

631 لا تحملوا ذنوبكم و خطاياكم على الله و تذكروا أنفسكم و الشيطان

632 إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة من الدجال أئمة مضلون و هم رؤساء أهل البدع

633 إذا زللت فارجع و إذا ندمت فاقلع و إذا أسأت فاندم و إذا مننت فاكتم و إذا منعت فأجمل و من يسلف المعروف يكن

ربحه الحمد

[317]

634 استشر عدوك تجربة لتعلم مقدار عداوته

635 لا تطلب من نفسك العام ما وعدتك عاما أول

636 أطول الناس عمرا من كثر علمه فتأدب به من بعده أو كثر معرفه فُشرف به عقبه

637 استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه

638 لا دين لمن لا نية له و لا مال لمن لا تدبير له و لا عيش لمن لا رفق له

639 من اشتغل بتفقد اللفظة و طلب السجعة نسي الحجة

640 الدنيا مطية المؤمن عليها يرتحل إلى ربه فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم

641 من رأى أنه مسيء فهو محسن و من رأى أنه محسن فهو مسيء

642 سينة تسوءك خير من حسنة تعجبك

643 اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس فإن بيد الله قضاءها

644 عذب حسادك بالإحسان إليهم

645 إظهار الفاقة من خمول الهمة

646 يا عالم قد قام عليك حجة العلم فاستيقظ من رقدتك

647 الرفق يفل حد المخالفة

648 أرجح الناس عقلا و أكملهم فضلا من صحب أيامه بالموادعة و إخوانه بالمسالمة و قبل من الزمان عفوه

[318]

649 الوجوه إذا كثرت تقابلها اعتصر بعضها ماء بعض

650 أداء الأمانة مفتاح الرزق

651 حصن علمك من العجب و وقارك من الكبر و عطاءك من السرف و صرامتك من العجلة و عقوبتك من الإفراط و عفوك من تعطيل الحدود و صمتك من العي و استماعك من سوء الفهم و استئناسك من البذاء و خلواتك من الإضاعة و غراماتك من اللجاجة و روعاتك من الاستسلام و حذراتك من الجبن

652 لا تجد للموتور المحقود أمانا من أذاه أوثق من البعد عنه و الاحتراس منه

653 احذر من أصحابك و مخالطيك الكثير المسألة الخشن البحث اللطيف الاستدراج الذي يحفظ أول كلامك على آخره و يعتبر ما أخرت بما قدمت و لا تظهرن له المخافة فيرى أنك قد تحررت و تحفظت و اعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر فخالط هذا مخالطة الآمن و تحفظ منه تحفظ الخائف فإن البحث يظهر الخفي و يبدي المستور الكامن

654 من سره الغنى بلا سلطان و الكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته فإنه واجد ذلك كله

655 الشيبب إعدار الموت

656 من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سانساً

657 لله تعالى كل لحظة ثلاثة عساكر فعسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام و عسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض و عسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة

[319]

658 اللهم ارحمني رحمة الغفران إن لم ترحمني رحمة الرضا

659 إلهي كيف لا يحسن مني الظن و قد حسن منك المن إلهي إن عاملتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة و إن أنلتنا فضلك لم يبق لنا سيئة

660 العلم سلطان من وجده صال به و من لم يجده صيل عليه

661 يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة فإذا مضى يوم مضى بعضك

662 حيث تكون الحكمة تكون خشية الله و حيث تكون خشيته تكون رحمته

663 اللهم إني أرى لدي من فضلك ما لم أسألك فعلمت أن لديك من الرحمة ما لا أعلم فصغرت قيمة مطلبي فيما عاينت و
قصرت غاية أمني عند ما رجوت فإن ألحقت في سؤالي فلفاقتني إلى ما عندك و إن قصرت في دعائي فبما عودت من
ابتدائك

664 من كان همته ما يدخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه

665 يقول الله تعالى : يا ابن آدم لم أخلقك لأربح عليك إنما خلقتك لتربح علي فاتخذني بدلا من كل شيء فإني ناصر لك من
كل شيء

666 الرجاء للخالق سبحانه أقوى من الخوف لأنك تخافه لذنبك و ترجوه لوجوده فالخوف لك و الرجاء له

667 أسألك بعزة الوجدانية و كرم الإلهية ألا تقطع عني برك بعد مماتي كما لم تزل تراني أيام حياتي أنت الذي تجيب من
دعائك و لا تخيب من رجاك ضل من يدعو إلا إياك فإتك لا تحجب من أتاك و تفضل على من

[320]

عصاك و لا يفوتك من ناواك و لا يعجزك من عاداك كل في قدرتك و كل يأكل رزقك

668 لا تطلبن إلى أحد حاجة ليلا فإن الحياء في العينين

669 من ازداد علما فليحذر من توكيد الحجة عليه

670 العاقل ينافس الصالحين ليلحق بهم و يحبهم ليشاركهم بمحبته و إن قصر عن مثل عملهم و الجاهل يذم الدنيا و لا
يسخو بإخراج أقلها يمدح الجود و يبخل بالبذل يتمنى التوبة بطول الأمل و لا يعجلها لخوف حلول الأجل يرجو ثواب عمل
لم يعمل به و يفر من الناس ليطلب و يخفى شخصه ليشتهر و يذم نفسه ليمدح و ينهى عن مدحه و هو يحب ألا ينتهي من
الثناء عليه

671 الأنس بالعلم من نبل الهمة

672 اللهم كما صنعت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك

673 من الناس من ينقصك إذا زدته و يهون عليك إذا خاصصته ليس لرضاه موضع تعرفه و لا لسخطه مكان تحذره فإذا
لقيت أولئك فابذل لهم موضع المودة العامة و احرمهم موضع الخاصة ليكون ما بذلت لهم من ذلك حائلا دون شرهم و ما
حرمتهم من هذا قاطعا لحرمتهم

674 من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات يلقي الغطاء على قلبه و النعاس على عينه و الكسل على بدنه

675 ذم العقلاء أشد من عقوبة السلطان

676 يقطع البليغ عن المسألة أمران ذل الطلب و خوف الرد

[321]

678 قل أن ينطق لسان الدعوى إلا و يخرسه كعام الامتحان

679 انظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقه و ما عند غيرك فلا تأخذه إلا بحقه

680 إذا صافاك عدوك رياء منه فتلق ذلك بأوكد مودة فإنه إن ألف ذلك و اعتاده خلصت لك مودته

681 لا تألف المسألة فيألفك المنع

682 لا تسأل الحوانج غير أهلها و لا تسألها في غير حينها و لا تسأل ما لست له مستحقا فتكون للحرمان مستوجبا

683 إذا غشك صديقك فاجعله مع عدوك

684 لا تعدن من إخوانك من آخاك في أيام مقدرتك للمقدرة و اعلم أنه ينتقل عنك في أحوال ثلاث يكون صديقا يوم حاجته إليك و معرضا يوم غناه عنك و عدوا يوم حاجتك إليه

685 لا تسرن بكثرة الإخوان ما لم يكونوا أخيارا فإن الإخوان بمنزلة النار التي قليلها متاع و كثيرها بوار

686 كفاك خيانة أن تكون أمينا للخونة

687 لا تحقرن شيئا من الخير و إن صغر فإنك إذا رأيت سره مكانه و لا تحقرن شيئا من الشر و إن صغر فإنك إذا رأيت ساءك مكانه

688 يا ابن آدم ليس بك غناء عن نصيبك من الدنيا و أنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر

[322]

689 معصية العالم إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها و إذا ظهرت ضرت صاحبها و العامة

690 يجب على العاقل أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسمه من الغذاء

691 أعسر العيوب صلاحا العجب و اللجاجة

692 لكل نعمة مفتاح و مغلاق فمفتاحها الصبر و مغلاقها الكسل

693 الحزن و الغضب أميران تابعان لوقوع الأمر بخلاف ما تحب إلا أن المكروه إذا أتاك ممن فوقك نتج عليك حزنا و إن أتاك ممن دونك نتج عليك غضبا

694 أول المعروف مستخف و آخره مستثقل تكاد أوائله تكون للهوى دون الرأي و أواخره للرأي دون الهوى و لذلك قيل
رب الصنيفة أشد من الابتداء بها

695 لا تدع الله أن يغنيك عن الناس فإن حاجات الناس بعضهم إلى بعض متصلة كاتصال الأعضاء فمتى يستغني المرء
عن يده أو رجله و لكن ادع الله أن يغنيك عن شرارهم

696 احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه و من ذكر قديم الشرف عند من لا قديم له فإن ذلك مما يحقدما عليك

697 ينبغي لذوي القربات أن يتزاوروا و لا يتجاوروا

698 لا تواخ شاعرا فإنه يمدحك بئمن و يهجوك مجانا

699 لا تنزل حوانجك بجيد اللسان و لا بمتسرع إلى الضمان

[323]

700 كل شيء طلبته في وقته فقد فات وقته

701 إذا شككت في مودة إنسان فاسأل قلبك عنه

702 العقل لم يجن على صاحبه قط و العلم من غير عقل يجني على صاحبه

703 يا ابن آدم هل تنتظر إلا هرما حائلا أو مرضا شاغلا أو موتا نازلا

704 ابنك يأكلك صغيرا و يرثك كبيرا و ابنتك تأكل من وعائك و ترث من أعدائك و ابن عمك عدوك و عدو عدوك و
زوجتك إذا قلت لها قومي قامت

705 إذا ظفرتم فأكرموا الغلبة و عليكم بالتغافل فإنه فعل الكرام و إياكم و المن فإنه مهدمة للصنيفة منبهة للضعيفة

706 من لم يرج إلا ما يستوجبه أدرك حاجته

707 بلغ من خدع الناس أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء و الثناء على الغائب استمالة للشاهد

708 من احتاج إليك ثقل عليك و من لم يصلحه الخير أصلحه الشر و من لم يصلحه الطالي أصلحه الكاوي

709 من أكثر من شيء عرف به و من زنى زني به و من طلب عظيما خاطر بعظمته و من أحب أن يصرم أخاه فليقرضه
ثم ليتقاضه و من أحبك لشيء ملك عند انقضائه و من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار

[324]

710 من بلغ السبعين اشتكى من غير علة

711 في المال ثلاث خصال مذمومة إما أن يكتسب من غير حله أو يمنع إنفاقه في حقه أو يشغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى

712 يباعدك من غضب الله ألا تغضب

713 لا تستبدلن بأخ لك قديم أcha مستفادا ما استقام لك فإنك إن فعلت فقد غيرت و إن غيرت تغيرت نعم الله عليك

714 أشد من البلاء شماتة الأعداء

715 ليس يزني فرجك إن غضضت طرفك

716 كما ترك لكم الملوك الحكمة و العلم فاتركوا لهم الدنيا

717 الهدية تفتأ عين الحكيم

718 ليكن أصدقاؤك كثيرا و اجعل سرّك منهم إلى واحد

719 يا عبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم أصولكم و عقولكم أهواءكم قولكم شفاء يبرئ الداء و عملكم داء لا يقبل الدواء و لستم كالكرمة التي حسن ورقها و طاب ثمرها و سهل مرتقاها و لكنكم كالشجرة التي قل ورقها و كثر شوكها و خبث ثمرها و صعب مرتقاها جعلتم العلم تحت أقدامكم و الدنيا فوق رؤوسكم فالعلم عندكم مذل ممتهن و الدنيا لا يستطيع تناولها فقد منعتم كل أحد من الوصول إليها فلا أحرار كرام أنتم و لا عبيد أتقياء و يحكم يا أجراء السوء أما الأجر فتأخذون و أما العمل فلا تعملون إن عملتم فللعمل تفسدون و سوف تلقون ما تفعلون يوشك رب العمل أن ينظر في عمله الذي أفسدتم و في أجره الذي أخذتم يا غرماء السوء تبتدون بالهدية قبل قضاء

[325]

الدين تتطوعون بالنوافل و لا تؤدون الفرائض إن رب الدين لا يرضى بالهدية حتى يقضى دينه

720 الدنيا مزرعة إبليس و أهلها أكرة حراثون له فيها

721 وا عجا ممن يعمل للدنيا و هو يرزق فيها بغير عمل و لا يعمل للأخرة و هو لا يرزق فيها إلا بالعمل

722 لا تجالسوا إلا من يذكركم الله رؤيته و يزيد في عملكم منطقه و يرغبكم في الآخرة عمله

723 كثرة الطعام تميت القلب كما تميت كثرة الماء الزرع

724 ضرب الوالد الولد كالسماد للزرع

725 إذا أردت أن تصادق رجلا فأغضبه فإن أنصفك في غضبه و إلا فدعه

726 إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس يعني السلام فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم و إن أفاضوا في غيره فخلهم و انهض

727 الأوطار تكسب الأوزار فارفض وطرك و اغضض بصرك

728 إذا قعدت عند سلطان فليكن بينك و بينه مقعد رجل فلعله أن يأتيه من هو أثر عنده منك فيريد أن تتنحى عن مجلسك فيكون ذلك نقصا عليك و شيئا

729 ارحم الفقراء لقلته صبرهم و الأغنياء لقلته شكرهم و ارحم الجميع لطول غفلتهم

[326]

730 العالم مصباح الله في الأرض فمن أراد الله به خيرا اقتبس منه

731 لا يهونن عليك من قبح منظره و رث لباسه فإن الله تعالى ينظر إلى القلوب و يجازي بالأعمال

732 من كذب ذهب بماء وجهه و من ساء خلقه كثر غمه و نقل الصخور من مواضعها أهون من تفهيم من لا يفهم

733 كنت في أيام رسول الله ص كجزء من رسول الله ص ينظر إلي الناس كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء ثم غض الدهر مني فقرن بي فلان و فلان ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان فقلت و اذفراه ثم لم يرض الدهر لي بذلك حتى أردلني فجعلني نظيرا لابن هند و ابن النابغة لقد استنتت الفصال حتى القرعى

734 أما و الذي فلق الحبة و برأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أن الأمة ستعذر بك من بعدي

735 لامته فاطمة على قعوده و أطالت تعنيفه و هو ساكت حتى أذن المؤذن فلما بلغ إلى قوله أشهد أن محمدا رسول الله قال لها أ تحبين أن تزول هذه الدعوة من الدنيا قالت لا قال فهو ما أقول لك

736 قال لي رسول الله ص إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك و إلا فألصق كلكك بالأرض فلما تفرقوا عني جررت على المكروه ذيلي و أعضيت على القذى جفني و ألصقت بالأرض كلكلي

737 الدنيا حلم و الآخرة يقظة و نحن بينهما أضغاث أحلام

[327]

738 لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا و يرفع حقيرا و ليس بفاعل

739 لو تميزت الأشياء كان الكذب مع الجبن و الصدق مع الشجاعة و الراحة مع اليأس و التعب مع الطمع و الحرمان مع الحرص و الذل مع الدين

740 المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة

741 كثرة مال الميت تسلي ورثته عنه

742 من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله

743 من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه

744 كثرة الدين تضطر الصادق إلى الكذب و الواعد إلى الإخلاف

745 عار النصيحة يكدر لذتها

746 أول الغضب جنون و آخره ندم

747 انفرد بسرك و لا تودعه حازما فيزل و لا جاهلا فيخون

748 لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه و لا تتبعه بعد القطيعة وقيعة فيه فتسد طريقه عن الرجوع إليك و

لعل التجارب أن ترده عليك و تصلحه لك

749 من أحس بضعف حيلته عن الاكتساب بخل

750 الجاهل صغير و إن كان شيخا و العالم كبير و إن كان حدثا

751 الميت يقل الحسد له و يكثر الكذب عليه

752 إذا نزلت بك النعمة فاجعل قراها الشكر

[328]

753 الحرص ينقص من قدر الإنسان و لا يزيد في حظه

754 الفرصة سريعة الفوت بطينة العود

755 أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه

756 لا تتبع الذنب العقوبة و اجعل بينهما وقتا للاعتذار

757 اذكر عند الظلم عدل الله فيك و عند القدرة قدرة الله عليك

758 لا يحملنك الحنق على اقرار الإثم فتشفي غيظك و تسقم دينك

759 الملك بالدين يبقى و الدين بالملك يقوى

760 كأن الحاسد إنما خلق ليغتاز

761 عقل الكاتب في قلمه

762 اقتصر من شهوة خالفت عقلك بالخلاف عليها

763 اللهم صن وجهي باليسار و لا تبذل جاهي بالإقتار فأسترزق طالبي رزقك و أستعطف شرار خلقك و أبتلى بحمد من أعطاني و أفتتن بدم من منعني و أنت من وراء ذلك ولي الإعطاء و المنع إنك على كل شيء قدير

764 كل حقد حقدته قريش على رسول الله ص أظهرته في و ستظهره في ولدي من بعدي ما لي و لقريش إنما وترتهم بأمر الله و أمر رسوله أ فهذا جزاء من أطاع الله و رسوله إن كانوا مسلمين

765 عجباً لسعد و ابن عمر يزعمان أنني أحارب على الدنيا أ فكان رسول الله ص يحارب على الدنيا فإن زعماً أن رسول الله ص حارب لتكسير الأصنام و عبادة الرحمن فإنما حاربت لدفع الضلال و النهي عن

[329]

الفحشاء و الفساد أ فمئلي يزن بحب الدنيا و الله لو تمثلت لي بشرا سويا لضربتها بالسيف

766 اللهم أنت خلقتني كما شئت فارحمني كيف شئت و وفقني لطاعتك حتى تكون ثقتي كلها بك و خوفي كله منك

767 لا تسبن إبليس في العلانية و أنت صديقه في السر

768 من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما قرها

769 لا تطمع في كل ما تسمع

770 من عاتب و وبخ فقد استوفى حقه

771 الجود الذي يستطيع أن يتناول به كل أحد هو أن ينوي الخير لكل أحد

772 من صحب السلطان بالصحة و النصيحة كان أكثر عدوا ممن صحبه بالغش و الخيانة

773 من عاب سفلة فقد رفعه و من عاب كريما فقد وضع نفسه

774 الموالي ينصرون و بنو العم يحسدون

775 الصدق عز و الكذب مذلة و من عرف بالصدق جاز كذبه و من عرف بالكذب لم يجز صدقه

776 إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها فإنها تتخطاك

777 نحن نريد ألا نموت حتى نتوب و نحن لا نتوب حتى نموت

778 أنزل الصديق منزلة العدو في رفع المنونة عنه و أنزل العدو منزلة الصديق في تحمل المنونة له

779 أول عقوبة الكاذب أن صدقه يرد عليه

780 الأدب عند الأحمق كالماء العذب في أصول الحنظل كلما ازداد ربا ازداد مرارة

781 إياكم وحمية الأوغاد فإنهم يرون العفو ضيما

782 الكريم لا يستقصي في محافة المعتذر خوفا أن يجزي من لا يجد مخرجا من ذنبه

783 العفو عن المقر لا عن المصر

784 ما استغنى أحد بالله إلا افتقر الناس إليه

785 من جاد بماله فقد جاد بنفسه فإن لم يكن جاد بها بعينها فقد جاد بقوامها

786 الدين ميسم الكرام و طالما وقر الكرام بالدين

787 الماضي قبلك هو الباقي بعدك و التهنئة بأجل الثواب أولى من التعزية بعاجل المصاب

788 مما تكتسب به المحبة أن تكون عالما كجاهل و واعظا كموعوظ

789 لا تحمدن الصبي إذا كان سخيا فإنه لا يعرف فضيلة السخاء و إنما يعطي ما في يده ضعفا

790 خير الإخوان من إذا استغثت عنه لم يزدك في المودة و إن احتجت إليه لم ينقصك منها

791 عجا للسلطان كيف يحسن و هو إذا أساء وجد من يزكيه و يمدحه

792 إذا صادقت إنسانا و جب عليك أن تكون صديق صديقه و ليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه لأن هذا إنما يجب على خادمه و ليس يجب على مماثل له

793 ليس تكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقا لمتعاديين

794 من سعادة الحدث ألا يتم له فضيلة في رذيلة

795 إذا منعت من شيء قد التمسته فليكن غيظك منه على نفسك في المسألة أكثر من غيظك على من منعك

796 الأسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموت و البخلاء يشمتون بالأسخياء عند الفقر

797 ليس يضبط العدد الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة

798 إذا أحسن أحد من أصحابك فلا تخرج إليه بغاية برك و لكن اترك منه شيئا تزيده إياه عند تبينك منه الزيادة في نصيحته

799 الوقوع في المكروه أسهل من توقع المكروه

800 الحسود ظالم ضعفت يده عن انتزاع ما حسدك عليه فلما قصر عليك بعث إليك تأسفه

801 أعم الأشياء نفعا موت الأشرار

802 الشيء المعزي للناس عن مصائبهم علم العلماء أنها نقعاء اضطرارية و تأسى العامة بعضها ببعض

803 العقل الإصابة بالظن و معرفة ما لم يكن بما كان

[332]

804 يا عجباً للناس قد مكنهم الله من الاقتداء به فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهائم

805 سلوا القلوب عن المودات فإنها شهود لا تقبل الرشا

806 إنما يحزن الحسدة أبداً لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط بل و لما ينال الناس من الخير

807 العشق جهد عارض صادف قلباً فارغاً

808 تعرف حساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه و إخباره عما لا يسأل عنه

809 لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غد فإنك لا تعرف ما يعرض في غد

810 إن تتعب في البر فإن التعب يزول و البر يبقى

811 أجهل الجهال من عثر بحجر مرتين

812 كفاك موبخاً على الكذب علمك بأنك كاذب و كفاك ناهياً عنه خوفك من تكذيبك حال إخبارك

813 العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً و الجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً

814 لا تتكلموا على البخت فربما لم يكن و ربما كان و زال و لا على الحسب فطالما كان بلاء على أهله يقال للناقص هذا

ابن فلان الفاضل فيتضاعف غمه و عاره و لكن عليكم بالعلم و الأدب فإن العالم يكرم و إن لم ينتسب و يكرم و إن كان

فقيراً و يكرم و إن كان حدثاً

[333]

815 خير ما عوشر به الملك قلة الخلاف و تخفيف المنونة و أصعب الأشياء على الإنسان أن يعرف نفسه و أن يكتم سره

816 العدل أفضل من الشجاعة لأن الناس لو استعملوا العدل عموماً في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعة

817 أولى الأشياء أن يتعلمها الأحداث الأشياء التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها

818 لا ترغب في اقتناء الأموال و كيف ترغب فيما ينال بالبخت لا بالاستحقاق و يأمر البخل و الشره بحفظه و الجود و الزهد بإخراجه

819 إذا عاتبك الحدث فاترك له موضعاً من ذنبه لنلا يحمله الإخراج على المكابرة

820 ما انتقم الإنسان من عدوه بأعظم من أن يزداد من الفضائل

821 إنما لم تجتمع الحكمة و المال لعزة وجود الكمال

822 يمنع الجاهل أن يجد ألم الحمق المستقر في قلبه ما يمنع السكران أن يجد مس الشوكة في يده

823 القنية مخدومة و من خدم غير نفسه فليس بحر

824 لا تطلب الحياة لتأكل بل اطلب الأكل لتحييا

825 إذا رأيت العامة منازل الخاصة من السلطان حسدتها عليها و تمنيت أمثالها فإذا رأيت مصارعها بدا لها

826 الشيء الذي لا يستغني عنه أحد هو التوفيق

[334]

827 ليس ينبغي أن يقع التصديق إلا بما يصح و لا العمل إلا بما يحل و لا الابتداء إلا بما تحسن فيه العاقبة

828 الوحدة خير من رفيق السوء

829 لكل شيء صناعة و حسن الاختبار صناعة العقل

830 من حسدك لم يشكرك على إحسانك إليه

831 البغي آخر مدة الملوك

832 لأن يكون الحر عبداً لعبيده خير من أن يكون عبداً لشهواته

833 من أمضى يومه في غير حق قضاءه أو فرض أداه أو مجد بناه أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عقر يومه

834 أرسل إليه عمرو بن العاص يعيبه بأشياء منها أنه يسمى حسناً و حسيناً ولدي رسول الله ص فقال لرسوله قل للشائئ ابن الشائئ لو لم يكونا ولديه لكان أبتراً كما زعمه أبوك

835 قال معاوية لما قتل عمار و اضطرب أهل الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم تقتله الفنة الباغية إنما قتله من أخرجته إلى الحرب و عرضه للقتل فقال أمير المؤمنين ع فرسول الله ص إذن قاتل حمزة

836 هذا يدي يعني محمد بن الحنفية و هذان عيناى يعني حسنا و حسينا و ما زال الإنسان يذب بيده عن عينيه قالها لمن قال له إنك تعرض محمدا للقتل و تقذف به في نحور الأعداء دون أخويه

837 شكرت الواهب و بورك لك في الموهوب و رزقت خيره و بره خذ إليك أبا الأملاك قالها لعبد الله بن العباس لما ولد ابنه علي بن عبد الله

[335]

838 ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لأنى أكره عادة العجز

839 اجتماع المال عند الأسخياء أحد الخصيين و اجتماع المال عند البخلاء أحد الجديين

840 من عمل عمل أبيه كفي نصف التعب

841 المصطنع إلى اللنيم كمن طوق الخنزير تبرا و قرط الكلب درا و ألبس الحمار وشيا و ألقم الأفعى شهدا

842 الحازم إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها و لذلك الحازم يجمع وجوه الرأي في الأمر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص إليه الصواب

843 الأشراف يعاقبون بالهجران لا بالحرمان

844 الشح أضر على الإنسان من الفقر لأن الفقير إذا وجد اتسع و الشحيح لا يتسع و إن وجد

845 أحب الناس إلى العاقل أن يكون عاقلا عدوه لأنه إذا كان عاقلا كان منه في عافية

846 عليك بمجالسة أصحاب التجارب فإنها تقوم عليهم بأعلى الغلاء و تأخذها منهم بأرخص الرخص

847 من لم يحمدك على حسن النية لم يشكرك على جميل العطية

848 لا تتكحوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن و لا لأموالهن

[336]

فعسى أموالهن أن تطغيهن و انكوهن على الدين و لأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل

849 أفضل العبادة الإمساك عن المعصية و الوقوف عند الشبهة

850 ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر

851 من عدم فضيلة الصدق في منطقه فقد فجع بأكرم أخلاقه

852 ليس يضرك أن ترى صديقك عند عدوك فإنه إن لم ينفك لم يضرك

853 قل أن ترى أحدا تكبر على من دونه إلا و بذلك المقدار وجود بالذل لمن فوقه

854 من عظمت عليه مصيبة فليذكر الموت فإنها تهون عليه و من ضاق به أمر فليذكر القبر فإنه يتسع

855 خير الشعر ما كان مثلاً و خير الأمثال ما لم يكن شعراً

856 الق الناس عند حاجتهم إليك بالبشر و التواضع فإن نابتك نائبة و حالت بك حال لقيتهم و قد أمنت ذلة التنصل إليهم و التواضع

857 إن الله يحب أن يعفى عن زلة السري

858 من طال لسانه و حسن بيانه فليترك التحدث بغرائب ما سمع فإن الحسد لحسن ما يظهر منه يحمل أكثر الناس على تكذبه و من عرف أسرار الأمور الإلهية فليترك الخوض فيها و إلا حملتهم المنافسة على تكفيره

859 ليس كل مكتوم يسوغ إظهاره لك و لا كل معلوم يجوز أن تعلمه غيرك

[337]

860 ليس يفهم كلامك من كان كلامه لك أحب إليه من الاستماع منك و لا يعلم نصيحتك من غلب هواه على رأيك و لا يسلم لك من اعتقد أنه أتم معرفة بما أشرت عليه به منك

861 خف الضعيف إذا كان تحت راية الإنصاف أكثر من خوفك القوي تحت راية الجور فإن النصر يأتيه من حيث لا يشعر و جرحه لا يندمل

862 إخافة العبيد و التضييق عليهم يزيد في عبوديتهم و صيانتهم و إظهار الثقة بهم يكسبهم أنفة و جبرية

863 أضر الأشياء عليك أن تعلم رئيسك أنك أعرف بالرئاسة منه

864 عداوة العاقلين أشد العداوات و أنكاها فإنها لا تقع إلا بعد الإعذار و الإنذار و بعد أن ينس إصلاح ما بينهما

865 لا تخدم رئيساً كنت تعرفه بالخمول و سميت به الحال و يعرف منك أنك تعرف قديمه فإنه و أن سر بمكانك من خدمته إلا إنه يعلم العين التي تراه بها فينقبض عنك بحسب ذلك

866 إذا احتجت إلى المشورة في أمر قد طرأ عليك فاستبد به بداية الشبان فإنهم أحد أذهانا و أسرع حدسا ثم رده بعد ذلك إلى رأي الكهول و الشيوخ ليستعقبوه و يحسنوا الاختيار له فإن تجربتهم أكثر

867 الإنسان في سعيه و تصرفاته كالعائم في اللجة فهو يكافح الجرية في إدباره و يجري معها في إقباله

868 ينبغي للعقل أن يستعمل فيما يلتمسه الرفق و مجانبة الهذر

[338]

فإن العلة تأخذ بهدونها من الدم ما لا تأخذه البعوضة باضطرابها و فرط صياحها

869 أقوى ما يكون التصنع في أوائله و أقوى ما يكون التطبع في أواخره

870 غاية المرودة أن يستحيي الإنسان من نفسه و ذلك أنه ليس العلة في الحياء من الشيخ كبر سنه و لا بياض لحيته و

إنما علة الحياء منه عقله فينبغي إن كان هذا الجوهر فينا أن نستحيي منه و لا نحضره قبيحا

871 من ساس رعية حرم عليه السكر عقلا لأنه قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه

872 لا تتباعدن مملوكا قوي الشهوة فإن له مولى غيرك و لا غضوبا فإنه يؤذيك في استخدامك له و لا قوي الرأي فإنه

يستعمل الحيلة عليك لكن اطلب من العبيد من كان قوي الجسم حسن الطاعة شديد الحياء

873 لا تعادوا الدول المقبلة و تشربوا قلوبكم بغضها فتدبروا بإقبالها

874 الغريب كالفرس الذي زایل شربه و فارق أرضه فهو ذاو لا يتقد و ذابل لا يثمر

875 السفر قطعة من العذاب و الرفيق السوء قطعة من النار

876 كل خلق من الأخلاق فإنه يكسد عند قوم من الناس إلا الأمانة فإنها نافقة عند أصناف الناس يفضل بها من كانت فيه

حتى أن الآنية إذا لم تنشف

[339]

و بقي ما يودع فيها على حاله لم ينقص كانت أكثر ثناء من غيرها مما يرشح أو ينشف

877 اصبر على سلطانك في حاجاتك فلست أكبر شغله و لا بك قوام أمره

878 قوة الاستشعار من ضعف اليقين

879 إذا أحسست من رأيك بإكداد و من تصورك بفساد فاتهم نفسك بمجالستك لعامي الطبع أو لسيئ الفكر و تدارك إصلاح

مزاج تخيلك بمكاشرة أهل الحكمة و مجالسة ذوي السداد فإن مفاوضتهم تريح الرأي المكدود و ترد ضالة الصواب المفقود

880 من جلس في ظل الملق لم يستقر به موضعه لكثرة تنقله و تصرفه مع الطباع و عرفه الناس بالخديعة

881 كثير من الحاجات تقضى برما لا كرما

882 أصحاب السلطان في المثل كقوم رقوا جبلا ثم سقطوا منه فأقربهم إلى الهلكة و التلف أبعدهم كان في المرتقى

883 لا تضع سرك عند من لا سر له عندك

884 سعة الأخلاق كيمياء الأرزاق

885 العلم أفضل الكنوز و أجملها خفيف المحمل عظيم الجدوى في الملا جمال و في الوحدة أنس

886 السباب مزاح النوكى و لا بأس بالمفاكهة يروح بها الإنسان عن نفسه و يخرج عن حد العبوس

[340]

887 ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الهدية و الرسول و الكتاب

888 التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة و التهنة بعد ثلاث استخفاف بالمودة

889 أنت مخير في الإحسان إلى من تحسن إليه و مرتهن بدوام الإحسان إلى من أحسنت إليه لأنك إن قطعته فقد أهدرتة و إن أهدرتة فلم فعلته

890 الناس من خوف الذل في ذل

891 إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا و إذا كان الإيجاز مقصرا كان الإكثار واجبا

892 بنس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد

893 الخلق عيال الله و أحب الناس إلى الله أشفقهم على عياله

894 تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك

895 العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أنس منه بلين العيش مع السفهاء

896 الانقباض بين المنبسطين ثقل و الانبساط بين المنقبضين سخف

897 السخاء و الجود بالطعام لا بالمال و من وهب ألفا و شح بصحفة طعام فليس بجواد

898 إن بقيت لم يبق الهم

899 لا يقوم عز الغضب بذلة الاعتذار

900 الشفيح جناح الطالب

901 الأمل رفيق مؤنس إن لم يبلغك فقد استمتعت به

902 إعادة الاعتذار تذكير بالذنب

903 الصبر في العواقب شاف أو مريح

904 من طال عمره رأى في أعدائه ما يسره

905 لا نعمة في الدنيا أعظم من طول العمر و صحة الجسد

906 الناس رجالان أما مؤجل بفقد أحبائه أو معجل بفقد نفسه

907 العقل غريزة تربيها التجارب

908 النصح بين المملأ تقريع

909 لا تنكح خاطب سرك

910 من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع الغنم الكثير

911 الدار الضيقة العمى الأصغر

912 النمام جسر الشر

913 لا تشن وجه العفو بالتقريع

914 كثرة النصح تهجم بك على كثرة الظنة

915 لكل ساقطة لاقطة

916 ستساق إلى ما أنت لاق

917 عاداك من لاحاك

918 جدك لا كدك

919 تذكر قبل الورد الصدر و الحذر لا يغني من القدر و الصبر من أسباب الظفر

920 عار النساء باق يلحق الأبناء بعد الآباء

921 أعجل العقوبة عقوبة البغي و الغدر و اليمين الكاذبة و من إذا تضرع إليه و سنل العفو لم يغفر

922 لا ترد بأس العدو القوي و غضبه بمثل الخضوع و الذل كسلامة الحشيش من الريح العاصف بانثنائه معها كيفما

مالت

923 قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك و لا تفرط في مقاربتة فتذل نفسك و ناصرك و تأمل حال الخشبة المنصوبة

في الشمس التي إن أملتها زاد ظلها و إن أفرطت في الإمالة نقص الظل

924 إذا زال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شيء

925 العجز نانم و الحزم يقظان

926 من تجرأ لك تجرأ عليك

927 ما عفا عن الذنب من قرع به

928 عبد الشهوة أذل من عبد الرق

929 ليس ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره و طاعة نفسه عليه ممتنعة

930 الناس رجالان واجد لا يكتفي و طالب لا يجد

931 كلما كثر خزان الأسرار زادت ضياعا

932 كثرة الآراء مفسدة كالقدر لا تطيب إذ كثر طبأخوها

933 من اشتاق خدم و من خدم اتصل و من اتصل وصل و من وصل عرف

934 عجا لمن يخرج إلى البساتين للفرجة على القدرة و هلا شغلته رؤية القادر عن رؤية القدرة

935 كل الناس أمروا بأن يقولوا لا إله إلا الله إلا رسول الله فإنه رفع قدره عن ذلك و قيل له فاعلم أنه لا إله إلا الله فأمر

بالعلم لا بالقول

[343]

936 كل مصطنع عارفة فإنما يصنع إلى نفسه فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت به إلى نفسك و تمتت به لذتك و وقيت به

عرضك

937 ولدك ريحانتك سبعا و خادمك سبعا ثم هو عدوك أو صديقك

938 من قبل معروفك فقد باعك مروءته

939 إلى الله أشكو بلادة الأمين و يقظة الخائن

940 من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا و عند الخطأ عاذرا

941 من كثر حقه قل عتابه

942 الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة و الهم بالحادثه عن الحيلة لدفعها

943 كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا فيها

944 من قبل عطاءك فقد أعتاك على الكرم و لو لا من يقبل الجود لم يكن من يجود

945 إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا

946 زلة العالم كاتكسار السفينة تغرق و يغرق معها خلق

947 أهون الأعداء كيدا أظهرهم لعداوتهم

948 أبقى لرضاك من غضبك و إذا طرت فقع قريبا

949 لا تلتبس بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه فإن البحر لا يكاد يسلم صاحبه في حال سكونه فكيف يسلم مع

اختلاف رياحه و اضطراب أمواجه

950 إذا خلى عنان العقل و لم يحبس على هوى نفس أو عادة دين أو عصبية لسلف ورد بصاحبه على النجاة

[344]

951 إذا زادك الملك تأنيسا فزده إجلالا

952 من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه

953 قليل يترقى منه إلى كثير خير من كثير ينحط عنه إلى قليل

954 جنبوا موتاكم في مدافنهم جار السوء فإن الجار الصالح ينفع في الآخرة كما ينفع في الدنيا

955 زر القبور تذكر بها الآخرة و غسل الموتى يتحرك قلبك فإن الجسد الخاوي عظة بليغة و صل على الجنانز لعله

يحزنك فإن الحزين قريب من الله

956 الموت خير للمؤمن و الكافر أما المؤمن فيتعجل له النعيم و أما الكافر فيقل عذابه و آية ذلك من كتاب الله تعالى **وَ مَا**

عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا

957 جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك و صبرك في مصيبتك أحسن من جزعك

958 من خاف إساءتك اعتقد مساءتك و من رهب صولتك ناصب دولتك

959 من فعل ما شاء لقي ما شاء

960 يسرني من القرآن كلمة أرجوها لمن أسرف على نفسه قال عذابي أصيب به من أشاء و رحمتي وسعت كل شيء
فجعل الرحمة عموما و العذاب خصوصا

[345]

961 الاستنثار يوجب الحسد و الحسد يوجب البغضة و البغضة توجب الاختلاف و الاختلاف يوجب الفرقة و الفرقة توجب الضعف و الضعف يوجب الذل و الذل يوجب زوال الدولة و ذهاب النعمة

962 لا يكاد يصح رؤيا الكذاب لأنه يخبر في اليقظة بما لم يكن فأحر به أن يرى في المنام ما لا يكون

963 يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له

964 لا تكاد الظنون تزدهم على أمر مستور إلا كشفته

965 المشورة راحة لك و تعب على غيرك

966 حق كل سر أن يسان و أحق الأسرار بالصيانة سر ك مع مولاك و سره معك و اعلم أن من فضح فضح و من باح فلدمه أباح

967 يا من ألم بجناب الجلال احفظ ما عرفت و اكنم ما استودعت و اعلم أنك قد رشحت لأمر فافطن له و لا ترض لنفسك أن تكون خاننا فمن يؤد الأمانة فيما استودع أخلق الناس بسمة الخيانة و أجدر الناس بالإبعاد و الإهانة

968 لا تعامل العامة فيما أنعم به عليك من العلم كما تعامل الخاصة و اعلم أن الله سبحانه رجلا أودعهم أسراراً خفية و منعهم عن إشاعتها و أذكر قول العبد الصالح لموسى و قد قال له هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبيرا و كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا

969 لكل دار باب و باب دار الآخرة الموت

970 إن لك فيمن مضى من آبانك و إخوانك لعبرة و إن ملك الموت دخل

[346]

على داود النبي فقال من أنت قال من لا يهاب الملوك و لا تمنع منه القصور و لا يقبل الرشاش قال فإذن أنت ملك الموت جنت و لم أستعد بعد فقال فأين فلان جارك أين فلان نسيبك قال ماتوا قال أ لم يكن لك في هؤلاء عبرة لتستعد

971 ما أخسر صفقة الملوك إلا من عصم الله باعوا الآخرة بنومة

972 إن هذا الموت قد أفسد على الناس نعيم الدنيا فما لكم لا تلتمسون نعيما لا موت بعده

973 انظر العمل الذي يسرك أن يأتيك الموت و أنت عليه فافعله الآن فلست تأمن أن تموت الآن

974 لا تستبطئ القيامة فتسكن إلى طول المدة الآتية عليك بعد الموت فإنك لا تفرق بعد عودك بين ألف سنة و بين ساعة واحدة ثم قرأ **و يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ** الآية

975 لا بد لك من رفيق في قبرك فاجعله حسن الوجه طيب الريح و هو العمل الصالح

976 رب مرتاح إلى بلد و هو لا يدري أن حمامه في ذلك البلد

977 الموت قانص يصمي و لا يشوي

978 ما من يوم إلا يتصفح ملك الموت فيه وجوه الخلائق فمن رآه على معصية أو لهو أو رآه ضاحكا فرحا قال له يا مسكين ما أغفلك عما يراد بك اعمل ما شئت فإن لي فيك غمرة أقطع بها وتينك

[347]

979 إذا وضع الميت في قبره اعتورته نيران أربع فتجيء الصلاة فتطفئ واحدة و يجيء الصوم فيطفئ واحدة و تجيء الصدقة فتطفئ واحدة و يجيء العلم فيطفئ الرابعة و يقول لو أدركتهن لأطفأتهن كلهن فقر عينا فانا معك و لن ترى بؤسا

980 استجيروا بالله تعالى و استخيروه في أموركم فإنه لا يسلم مستجيروا و لا يحرم مستخيروا

981 أ لا أدلكم على ثمرة الجنة لا إله إلا الله بشرط الإخلاص

982 من شرف هذه الكلمة و هي الحمد لله أن الله تعالى جعلها فاتحة كتابه و جعلها خاتمة دعوى أهل جنته فقال و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

983 ذاك الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم و كالدائر العامرة بين الربوع الخربة

984 أفضل الأعمال أن تموت و لسانك رطب بذكر الله سبحانه

985 الذكر ذكران أحدهما ذكر الله و تحميده فما أحسنه و أعظم أجره و الثاني ذكر الله عند ما حرم الله و هو أفضل من الأول

986 ما أضيقت الطريق على من لم يكن الحق تعالى دليله و ما أوحشها على من لم يكن أنيسه و من اعتز بغير عز الله ذل و من تكثر بغير الله قل

987 اللهم إن فهت عن مسألتي أو عمهت عن طلبتي فدلني على مصالحي و خذ بناصيتي إلى مرشدي اللهم احملني على عفوك و لا تحملني على عدلك

988 مخ الإيمان التقوى و الورع و هما من أفعال القلوب و أحسن أفعال الجوارح ألا تزال مالنا فاك بذكر الله سبحانه

989 اللهم فرغني لما خلقتني له و لا تشغلني بما تكفلت لي به و لا تحرمني و أنا أسألك و لا تعذبني و أنا أستغفرك

990 سبحان من ندعوه لحظنا فيسرع و يدعونا لحظنا فنبطئ خيره إلينا نازل و شرنا إليه صاعد و هو مالك قادر

991 اللهم إنا نعوذ بك من بيات غفلة و صباح ندامة

992 اللهم إني أستغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه و أستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك و أستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها علي معصيتك

993 اللهم إني أعوذ بك أن أقول حقاً ليس فيه رضاك ألتمس به أحدا سواك و أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك و أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك و أعوذ بك أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني

994 يا من ليس إلا هو يا من لا يعلم ما هو إلا هو اعف عني

995 اللهم إن الآمال منوطة بكرمك فلا تقطع علائقها بسخطك اللهم إني أبرأ من الحول و القوة إلا بك و أدرأ بنفسني عن التوكل على غيرك

996 اللهم صل على محمد و آل محمد كلما ذكره الذاكرون و صل على محمد و آل محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون اللهم صل على محمد و آل محمد عدد كلماتك و عدد معلوماتك صلاة لا نهاية لها و لا غاية لأمدها

997 سبحان الواحد الذي ليس غيره سبحان الدائم الذي لا نفاذ له سبحان القديم الذي لا ابتداء له سبحان الغني عن كل شيء و لا شيء من الأشياء يعني عنه

998 يا الله يا رحمان يا رحيم يا حي يا قيوم يا بديع السموات و الأرض يا ذا الجلال و الإكرام اعف عني و هذا حين انتهاء قولنا في شرح نهج البلاغة و لم ندرك ما أدركناه منه بقوتنا و حولنا فإننا عاجزون عما هو دونه و لقد شرعنا فيه و إنه لفي أنفسنا كالطود الأملس تزل الوعول العصم عن قذفاته بل كالفلك الأطلس لا تبلغ الأوهام و العقول إلى حدود غيابه فما زالت معونة الله سبحانه و تعالى تسهل لنا حزنه و تذلل لنا صعبه حتى أصبح أبويه و أطاع عصيه و فتحت علينا بحسن النية و إخلاص الطوية في تصنيفه أبواب البركات و تيسرت علينا مطالب الخيرات حتى لقد كان الكلام ينثال علينا انثيالاً و يواتينا بديهة و ارتجالاً فتم تصنيفه في مدة قدرها أربع سنين و ثمانية أشهر و أولها غرة شهر رجب من سنة أربع و أربعين و ستمائة و آخرها سلخ صفر من سنة تسع و أربعين و ستمائة و هو مقدار مدة خلافة أمير المؤمنين ع و ما كان في الظن و التقدير أن الفراغ منه يقع في أقل من عشر سنين إلا أن الألفاظ الإلهية و العناية السماوية شملتنا بارتفاع العوائق و انتفاء الصوارف و شحذت بصيرتنا فيه و أرهفت هممتنا في تشييد مبانيه و تنضيد ألفاظه و معانيه . و كان لسعادة المجلس المولوي المؤيدي الوزيري أجرى الله بالخير أقلامه و أمضى

في طلى الأعداء حسامه في المعونة عليه أوفر قسط و أوفى نصيب و حظ إذ كان مصنوعا لخزائنه و موسوما بسمته و لأن همته أعلاها الله ما زالت تتقاضى عنده بإتمامه و تحته على إنجاز ه و إبرامه و ناهيك بها من همة راضت الصعب الجامح و خففت العبء الفادح و يسرت الأمر العسير و قطعت المدى الطويل في الزمن القصير . و قد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين و الحكماء خاصة ألفاظ القوم مع علمي بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم المحسوسات و قولهم الكل و البعض و قولهم الصفات الذاتية و قولهم الجسمانيات و قولهم أما أولا فالحال كذا و نحو ذلك مما لا يخفى عن له أدنى أنس بالأدب و لكننا استهجننا تبديل ألفاظهم و تغيير عباراتهم فمن كلم قوما كلمهم باصطلاحهم و من دخل ظفار حمر . و النسخة التي بني هذا الشرح على نصها أتم نسخة وجدتها بنهج البلاغة فإنها مشتملة على زيادات تخلو عنها أكثر النسخ . و أنا أستغفر الله العظيم من كل ذنب يبعد من رحمته و من كل خاطر يدعو إلى الخروج عن طاعته و أستشفع إليه بمن أنصبت جسدي و أسهرت عيني و أعملت فكري و استغرقت طائفة من عمري في شرح كلامه و التقرب إلى الله بتعظيم منزلته و مقامه أن يعتق رقبتني من النار و ألا يبتليني في الدنيا ببلاء تعجز عنه قوتي و تضعف عنه طاقتي و أن يصون وجهي عن المخلوقين و يكف عني عادية الظالمين إنه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد النبي و آله و سلامه